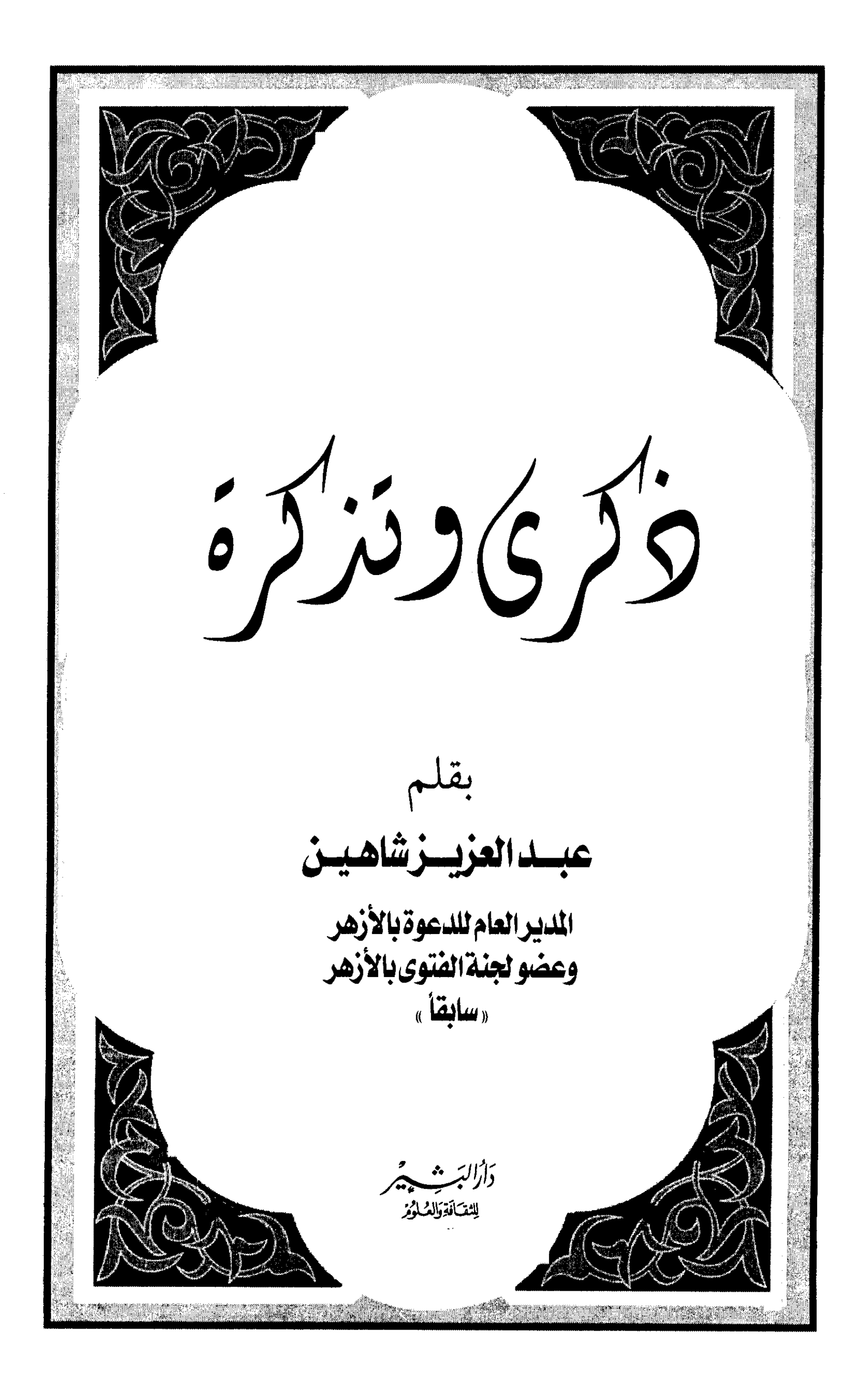


ذكرى وتذكرة

بقلم

عبد العزيز شاهين

المدير العام للدعوة بالأزهر
وعضو لجنة الفتوى بالأزهر
«سابقاً»

دار البشير
للثقافة والعلوم

للثقافة والعلوم

اسم الكتـــــاب : ذكرى وتذكرة
التـــــأليـف : عبد العزيز شاهين.
الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .
عـدد الصـفحـات : 192صفحة
عـدد الطبـعـات : (الطبعة الأولى 2008م)
قياس الصـفـحة : 24×17
الـنـاشـــــــر : دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا
تليفاكس 040/ 3316316
darelbasheer@hotmail.com
dar_elbasheer@yahoo.com
الإيداع القـانونى : 2006/23873
التـرقـيم الدولى : 8ـ 411 ـ 278 ـ 977

1428 هـ
2008 م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، حمداً لك: يا من تَنَزَّه عن الشريك ذَاتُك، وتقدَّستْ عن مُشَابهة الأغْيار صفاتُك، مَنْ تكلَّم سمعْت قوْله، ومن سكَت عَلمْت سرَّه، تعْلم خائنة الأعين وما تُخْفى الصدور، إسْتغْنيت بالكمال بينما إحْتاج إليه كل مَن سواك، وإسْتعْليت بالقوة بينما ضَعُف إليها كل مَنْ عداك، أسْألك مسألة المسكين، وأبْتهل إليك إبتهال الخاشع الذليل أنْ تصلى وتسلم على البشير النذير، وأنْ تَرْحَم ضعفنا، وتشفىَ أمراضنا، وتجْبُر كسْرنا

يا من يجير المسْتَغيثَ إذا دَعَا ... ويجيب فيه خالص الدعوات

إنى أتيتُ إليك فاقْبل توبتى ... واغفر فإنَّك غافر الذلأت

أفْنيتُ عمرى فى الذنوب فعافنِى ... يارب.. واختم بالقبول حياتى

وبعد..

فلقد إسْتفْتحْتُ هذا الكتاب بالكلام على خيرالورى محمد ﷺ، فالكَلام عنه حُلْوُ المذاق، طيبُ الطَّعم والرائحة، تستريح له النفس، ويَنْشرح له الصدر ويطمئن إليه القلب، وبه تهْدأ الأعصاب، ولذلك سمَّيْتُه **(ذكرى وتذكرة)**، والذكرى هى ذكرى المصطفى عليه السلام

يا مُصطفى منْ قبل نشأة آدم ... والكون لم تُفَتح له أغَلاقُ

أيَرُومُ مخْلوقٌ ثناءَك بَعْدَمَا ... أثْنَى على أخْلاقك الخَلاَّقُ

هذا النبى أسَّسَ دَوْلة، وأقام أمة ونقلها نقلةً قوية من القاع إلى القمة فَعَلَت بإيمانها، وارْتقَتْ بإنْسَانيتها إلى قمَّة الكمَال البشرى، وبَهَرتْ العالم بما فجَّرت فيه منْ ألوان العلم والمعْرفة، هذا النبىَ لحُب الله فيه صلى عليه وأمَرَ عبَاده بالصلاة عليه فَقال: **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبىَ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾** من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشْراً، روى الإمام النسائى عن أبى طلحة رضى الله عنهم قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً يُعْرَف البشْر فى وجْهه فقالوا:

إنَّا نَعْرف البشْر فى وَجْهكُ يا رسول الله فقال : «أتانى آت من ربى فأخْبرنى أنه لنْ يُصلّى علىَّ أحدٌ من أمتى إلا ردَّها الله عليه عشر أمثالها» .

ولكن طلع علينا اليوم بُغَاة الشرّ فعابوا ديننا ، وسفَّهوا أجدادنا ، وَسَبُّوْا رَسُولنا ووصفوه بأوْصاف يمجُّها الذوق السليم ، وَصوَّره بصورَ تنُم عن الحقد الدفين ، وقالوا فيه ما لم يَقُلْه أحد ، وهاجت الدنيا كُلها بالسبّ ، واللَّعْن فى رسول الله ، وتعانق الأعداء وتعاونوا ، واتفقوا على إشعال الحرب على الإسلام ، والهجوم الشرس على شخْص رسول الله بدأها سَلمَان رُشدى صاحب الآيات الشيطانية ، وجاء بعده الطاغوت الأمريكى ، وبابا الفاتيكان والصحف البريطانية ، والأمريكية والدنماركية ، واتَّفق الجميع على الكيد للإسلام والمسلمين ، دمارْ فى العراق ، خراب فى لبنان ، حرب إبادة فى أفغانستان ، تخويف وإرهاب فى السودان ، حرب تجويع فى الصومال ، ما هذا الذى يحدث للإسلام ورسول الإسلام والمسلمين؟ ! !

أين المسلمون؟ أين الأمة الإسلامية ، أين زعماء العالم الإسلامى ، لقد إنكمشَت الأمة فى مرقدها ، ورضيت بالصفعات على وجهها ، والضرب على رأسها ، والطعن فى بطنها ، ولو حدث هذا أيام القوة الإسلامية أيام أن كان للمسلمين كلمة ، لجُيِّشَت الجيوش ، وأعدت العدَّة لرد المعتدين ، وقطع دابر الكافرين ، كما حدث أيام رسول الله حينما دبَّر يهود بنى النضير مُؤامرة لقتْله ﷺ : إسْتضافوه وهَمُّوا بإلقَاء صخْرة عليه منْ فوْق السْطح وقبْل أن تنْزل الصخْرة نزل الوحى على رسول الله فأخْبره فقامَ على الفوْر وقام المسْلمون خلْفه ، وما كان من رسول الله إلا أنْ أرْسَل إليهم محمد بن مسلمة يُخْبرهم بأمْر رسول الله بأنْ يَخْرجُوا من المدينة وأمهلهم عشْرة أيام وإلاَّ حَاق بهم الهلاك .

وكما فعل الخليفة العباسى « **المعتصم بالله** » حينما إعْتدى رجل رُومىّ على امْرأة مسْلمة فَصَاحت وقالت : وَامعْتصمَاه فما كان من المعتصم إلا أن جيَّشَ الجيُوش وقام لحرب الروم **﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** (1) .

ولكنّ الأمة الإسلامية ، أفْلستْ فى إيمانها ، وانْكمشَتْ فى موْقعها ، وتركت الميْدان لغيْرها بمحْض إرادتها ، وذلك عندما انصرفتْ عن دينها ، وانْقادت

(1) الآية 7 سورة محمد .

لشهواتها، وجاوزت الحدّ فى طُغْيانها، فلا يُقْلقها فساد، ولا يزْعجها انْحراف، ولا يَهُمُّها منْكر، ولا تَرْتاح إلا بمحاكَاة أبْناء العم سام، فتآكلتْ جذورها، وتَفككتْ أوْصَالها، وأدْركها الهرم وسَرى فيها الوهن، وصدق فيها قول النبى ﷺ حينما تَنبَّأ بهذا الواقع المُرّ فقال: «**يوشك أنْ تداعى عيكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصْعتها**» قالوا: أمنْ قلَّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**لا.. بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولَيْنزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفَنّ فى قلوبكم الوهن**» قالوا: وما الوهن؟ قال: «**حبُ الدنيا وكراهية الموت**»(1)، ﴿ **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾(2).

فالله تعالى لا يظلم أحدًا، ولا يجامل أحدًا، ولا يحابى أحدًا، وسُنَنُه فى الكون لا تتخلَّف أمام مسلم أو كافر، وهذه سنة الله فى خلقه ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾.

ثم عرجْتُ فثنَّيتُ بالكلام على بعض الآداب الإسلامية والأخلاق التى يجب على المسلم أن يتحلى بها، فى سلوكه وأخلاقه، وتعامله مع الناس، وأن يكون عنصرًا فاعلاً فى مجتمعه يحب للناس ما يحبه لنفسه، ويكره لهم ما لا يرتضيه لنفسه، ولا يكْمُل إيمانُه إلا بهذا الخُلق، والإيمان القوىّ يَلدُ الخُلق القَوى، وانْهيار الأخلاق مردُّه ضْعف الإيمان، وما الإيمان والأخلاَق وَكل العبادات إلا عناصر مُتَرابطة مُتَلازمة لرسالة الإسلام، لذلك حدّدَ الرسول ﷺ الغَايةَ من بعثته فى قوله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» والأخلاق إما أن تكون ربّانية كالخشية من الله والرجاء فيه، والتَّوكل عليه وتفويض الأمْر إليه، وكالمحبة، والشوق، والورع وهكذا وهذه أخلاق لا يتحلى بها إلا أولو العزم من البشر.

وإما أنْ تكون أخلاق إنسانية، كالصدق، والأمَانة، والوفاء بالعهد والوعد، وطاعة الوالدين، وصحبة المسلم لأخيه المسلم وتعاونه معه، والأخذ بيده فى السرَّاء، والضراء، وكل هذه وأمثالها، روابط نورانية تجمع الشَّتيتَ من البشر على كلمة الله، فلا تفرقَة بين الأبناء، ولا عقوق للآباء والأمهات، إنها أسْمى مبادىء

---

(1) رواه أبو داود والنسائى.

(2) جزء الآية 33 سورة النحل.

للإنسانية، وأرقى حضارة عرفتها البشرية وبين دَفَّتَيْ الكتاب تعرضْت لبعض الشخْصيات الإسلامية التى كان لها وقع فى أحداث الإسلام.

وأرجو من الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينْفع به، إنه سميع، قريب، مجيب، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

عبد العزيز محمد شاهين

المدير العام للدعوة بالأزهر

عضو لجنة الفتوى بالأزهر

(سابقا)



بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء ورجاء

من أقوال الأمام النووى رضي الله عنه قال :

يا مَنْ يَرَى ما فى الضَّمِيرِ وَيسْمَعُ — أنْتَ المُعَدُّ لكُلّ مَا يُتَوَقَّعُ

يا مَنْ يُرَجَّى للشّدائد كُلهَا — يا مَنْ إليْهِ المُشْتَكى وَالمفْزَعُ

يا منْ خَزَائنُ مُلْكِه فى قَوْل كُنْ — أمْنُنْ فَإنَّ الخَيْرَ عنْدَكَ أجْمَعُ

مَالى سِوَى فَقْرى إليْكَ وسَيلَةٌ — فَا بالأفْتقَار[1] إليْكَ فَقْرِىَ أدْفَعُ

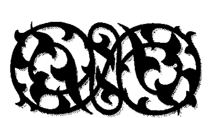
مَالِى سِوَى قَرْعِى لبَابكَ حيلَةٌ — فَلإن رُددْتُ فَأىَّ بَابٍ أقْرَعُ

وَمَن الذى أدْعُو وأهْتف بأسْمِه — إن كانَ جُودك عَنْ فَقيرِكَ يُمْنَعُ

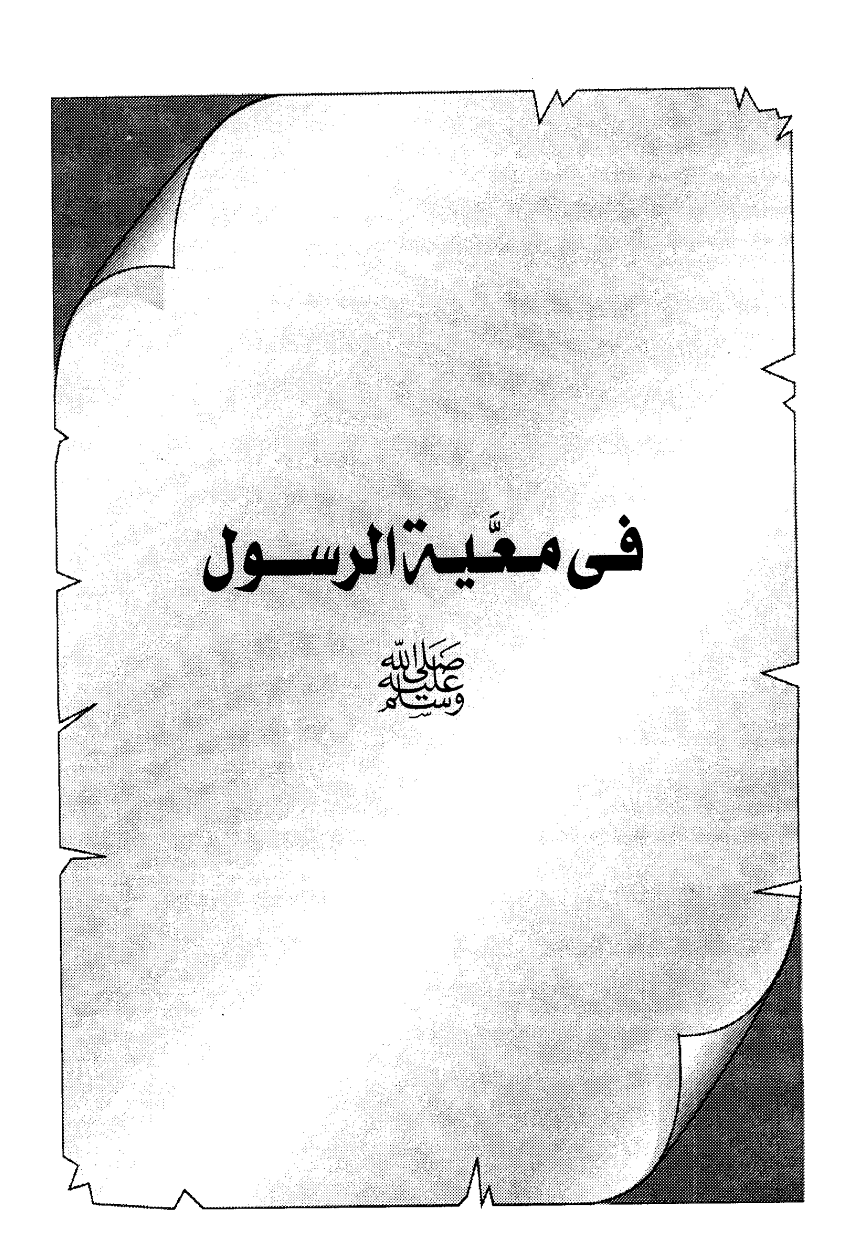
حَاشَا لجُودِكَ أنْ تُقنط عَاصِيًا — الفَضْلُ أجْزَلُ والمَواهبُ أوْسَعُ

قال الأمامُ النووى رحمه الله منْ قالها، ودعا الله عز وجل بعدها «باخلاص» أسْتجيب له، فاللهم إنَّ سَمْعى وبصرى، وقلبى وبَدَنى، ملْكٌ لك، لم تُملكْنى من ذلك شيئا، فوفِّقْنى فيما تَملكُ ولا أمْلك، ويا رَحْمنَ الدنْيا والآخرة إرْحمَ عَبدًا لا يملُكُ دُنْيا ولاَ آخره، وتَقبَّل منى هذا العمل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . .

المؤلف



(1) تقرأ هكذا «فَبلفْتقَار إليك».


فى معيّة الرسول
صلى الله عليه وسلم

ذكرى مولد النبي ﷺ

سيدى أبا القاسم يا رسول الله، فى ذكْرى مولْدك لا أدْرى ماذا أهْدى إليك فلَيْس عنْدى ما أقدمه إليك غير أنى أقول: إن العالم بأسْره يا سيدى مَدينْ لك. سواءُ مَنهم منْ كانَ معك أوْ عليك. لأنَّك سَمَّوْت بإنْسانية الأنْسان، وَحطَّمْت الأغْلال من الأعْناق، وحرَّرْت الوجوه من السّجود إلا لله، فما منْ كائن يدُبُّ على الأرض إلا وقَد نَالَ نصيبٌ من رحْمتك. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (1)، وما من مسلم إلا ولك منَّةٌ فى رَقَبته **«حياتى خيرٌ لكم، ومماتى خيرٌ لكم تعرض علىَّ أعمالكم، فإنْ وجدت خيراً حمدَت الله تعالى، وإن وجدت غير ذلك إسْتغفرتُ لكم»**. (2)

سيدى أبا القاسم يا رسول الله. إنَّ فى القلب آمالاً يُثيرُ الشَّوْقْ أشْجانّها، ويأبى أدبى معك إلا كتْمانها، فإذا قال لى الشَّوْق أطْلق الشَّكْوى ببيَانك قال لى الأدب: بل أنْظر بعينيْكَ إلى نور المصطفى وَأحْفظْ عليك لسانك.. وَلكنّى أحومَ حول هذه الواحة المقدَّسة وأضع كَفِّى على نظرى كما قال حسَّان بن ثابت قَال:

لَمَّا نظَرتُ إلى أنْواره سَطعت — وَضعْتُ منْ ضعفى كَفِّى على بَصرى

خَوْفا على بَصَرِى منْ حُسَن صُورته — فَلسْتُ أنْظره إلا على قَدرى

رُوح من النور فى جِسْم منَ القَمر — كحلْية نُسجت فى الأنجُم الزهرى

وأقول يا صاحب الذكرى، يا ثَرْوةَ وجُودنا، وكَنْز أمَانينَا، ورجَاءُنا فى الرَّجاء من ربنَا نَسْأل الله ربَّ العرش أنْ يُنْقذَ حَيَاتَنَا من الحِرْص عَلى الحياة، فأن الخوفَ على ضَيَاعهَا هو الموْتُ قَبل الممَات.

قال الأمام البوصيرى:

وأنْسب إلى ذاته ما شئت منْ شرف — وأنْسب إلى قَدْره ما شئت من عظم

فأن فضْل رسول الله ليس له حدّ — فيعرب عنه ناطق بفم

---

(1) الأنبياء: **107**

(2) الشفاء للقاضى عياض

لذلك . . . لا يسْتطيع أيَّ مخلوق مَهْما أوتى منْ قُوَّة البيان، وجزالة الألفاظ، ودقَّة التَّعبير، أن يحيط بشمائله، ومنْ ذَا الذى يستطيع أَن يَجْمع ضَوْء الشَّمس في قَبْضَته، أوْ أنْ يُسْيطر على عطْر الدنيا ويجْعلَه فى حَوْزَته، ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾(1)

يا سيِّد الثَّقلَين يَا نُورُ الهُدَى	لك مُعْجزَاتٌ لم تكنْ لسِوَاكَا
عليك ظَلَّلت الغَمّامةُ فى الورَى	والجِزْعُ حنَّ إلى كَرِيم لُقَاكَا
والماء فاض بَراحتَيْك وَسَبَّحتْ	صُمُّ الحَصَى بالفَضْل فى يمنَاكَا
وَمَسَسْتَ شاةً لأم مَعْبدٍ	فدَرَّتْ منْ شَفَا رُقْيَاكَا
والذئبُ جاءَك والغزَالةُ تَشْتكي	بل تَسْتجيرُ وتَحْتَمى بحِمَاكَا
صلىَّ عليكَ اللُه يَا عَلَم الهُدَى	مَا إشْتاق مُشْتاق إلى رؤْياكَا

أخى القارىء الكريم:

الكلام عنْ رسول الله حُلْو المذَاق، مُعَطَّر الكلمات، تَسْتريح له النَّفس، ويْطمئن إليه القلب، وينْشرح له ألصدر، ولطيب الكلام يطيب لى أن أبْدأ من عبد الله والده شاءت الأقْدار لشاب من شباب مكة، وَفَتىً منْ فتْيانها العظام إسْمه عبد الله بن عبد المطلب أنْ يتزوج من بنات أقربائه من بنى النجاَر فى يثرب، ومكث مع عروسه «آمنة بنت وهب» أيامًا تُعدّ ثم خرج مع القافلة التى تذهب كل عام إلى بلاد الشام للتجارة، وعادت القافلة، ولكن عبد الله لم يعد، عادت القافلة برجالها وأموالها، بآمالها وأحْلام أهلها لكن عبد الله لم يعد، لقد مات فتى الفتيان، وزينة الشباب ومن إفْتداه أبوه بمائة من الأبل. لقد كتب عليه أن يموت بعيداً عن بلده، وأهله، وزوجه قال الأمام الشافعي رحمه الله :

مشيْنَاها خُطى كُتبت علينا	ومنْ كُتبت عليه خُطَى مشَاهَا
ومن كانت مَنيَّتُه بأرْضٍ	فليسَ يموتُ بأرْضٍ سواهَا

وعلمت الزوجة بمصابها الجلل، دون سابق إنْذار، أو إعلان أو مقَدَّمات، فإذا

(1) المائدة: 15

جاء الأجل إنقطعت كل الأسبابِ وإختفتْ كلُ الحِيَلّ، ووقف الطب عاجزًا مُتفرجا قال القائل:

إنَّ الطبيَب له عِلْـــمٌ يُـــدَلُّ به	مَادَامَ فى أَجلِ الأَنسانِ تأْخــيرُ
حتى إذا ما إنْتهتْ أيام مُهْلتـهِ	حَـار الطَبيبُ وخانته العقَاقـيرُ

فـالموت لا يعْرف المجامـلات، ولا يعْترف بالمسَاوَمَات، ولا يعرف أنْصـاف الحلول قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

علمت «آمنة» بمصابها فضَاقت عليها الأرض بما رحبت، وباتَتْ لا تدرى أيَّ المسالك تَسْلُك، ولا من أى المخارج تخرج، ولا تعلم ما يُخَبؤُه لها القدر. لكنَّ الذى خَفف آلامها، وكَفكَفَ دمْعَها، وَأراح فؤادها أنها رأَت فى منامها من يقول لها: «أبْشرى يا آمنة فلقد حملت بسيد البشر» وتم حملها ووضْعها ولكنَّها وضعت النور المبين، ومن أعدَّ ليكون سيد العالمين ﷺ.

وجاء محمد إلى هذا العالم، ومصاعب الحياة بين يديه، وبساط اليتم تحت قدميه وشظف العيش بين عينيه.

كان من عادات العرب أنَّ الأم لا ترضع ولدها بل تأخذه نساء البادية، وجاءت المرضعات، وكُلُّهن أملٌ فى أولاد الموسرين، كلهن يبْحثْن عن أبْنَاء السادة وأخذتَ كلُ واحدة منْهُنّ ما أرادت، ولم يبق إلا محمد، فمن التى تأخذ هذا اليتيم؟ من التى تأخذ هذا الفقير المسكين؟، والفقْر هو الخصْم العنيد والضَّجيع البغيض، قال ﷺ: **«اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بِئْست البطانة»**.

ويقول القائل:

يَمْشِى الفقيرُ وكلُ شـيءٍ ضِـــدَّه	والناسُ تغْلــقُ دُونَـــهُ أبْوابَهـــا
وتَراهُ مَمْقُوتًا ولَيْـــسَ بمذْنـبٍ	ويَرَى العَـدَاوةَ لا يَرَى أسْبابهـــا
حَتَّى الكلابَ إذَا رأتْ رَجُلَ الغنـى	حَنَّـتْ إليه وَحرَّكَـــتْ أذْنَابَهَـــا

---

(1) الأعراف: 34.

وإذا رأتْ يَوْمًا فقيراً ماشِيًا ... نَبَحَتْ عليه وكَشَّرت أنْيابها

ويقول الآخر:

فَصَاحةُ حسَّان وخَطُّ ابنُ مُقْلةٍ ... وحِكْمة لُقمان وَزُهْدُ ابنُ أدْهمِ

لَوْ اجْتمعوا فى المرءِ والمرءُ مُفْلِسٌ ... ونَادَوْا عليه لا يُباعُ بدرْهمِ

ولَمَّا لمْ يبْق إلا حليمة وهذا اليتيم أخذته وهى لا تَدْرى أنّها أخذت السراج المنير، ومن أعدَّ ليكون سَيِّدَ المرسلين.

وشَبَّ حتى بلغ مبلغ الصِّبْيان، وقد أخذ منْ يتْمه زادًا لرجُولَته، ومن فقْره زادًا لعطفه ومحبَّته، صقَلتْه الحياة فأخذ منها الدرسَ والعبرة حتى بلغ مَبلغ الرجال فَصار مضرَب الأمثال، فى صدْقه وأمانته، فى طُهره وعفَّته، فى حلمه ورحمته ما عُرفتْ له ذَلَّة، أو حفظت عنه هفْوَة. ولم تزده كثرةُ الأذى إلا صبرًا ولا إسْرافَ جاهلٍ إلا حلمًا، وما انتقم لنفْسه قطٌّ، يْعفو عن المسىء، ويصْفَحُ الصفح الجميل، لم يكن مِّنْ الشَباب الماجن، ولا من الشباب المخنث الضائع أصحابُ السَّلاسل الذهبية المعلَّقة فى الصدور، الممزَّق داخليًا وخارجيًا نظرًا لما يحيط به من صراعات وَفتن، يراها بعَيْنه، ويسْمعُها بأذُنه، وَيلمَسُها بيَده، بل كان ﷺ فى قَيْظ الحياة ولفحها، فى يُسْرهَا وَعُسْرها حياتُه مقْرُوءة وأخلاقه عَاليَة مرفوعة، وتلك هى سرُّ عظمته ﷺ حتى قبل أنْ يبْعثْ.

اصطفاء الله له:

اصطفاه ربنا، واختاره رَسُولاً لنا: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[1] ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[2] ولكن لم يتم هذا الاختيار إلا بعد ابتلاء وتمحيص وتدريب وتعليم، ومقدرة نفسية وذاتية وأخرى إيمانية وعقلية ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[3] فقام ص يَصْدع بأمْر ربه ولكنه نظر إلي مجتمعه فرأى عجبا رآهم يعيشون حياة معقَّدة التركيب فهم نشأوا علي السَّطو والسلب، والنهب، والكر وألفر وإنغمسوا في بحر اللذة واللهو رآهم يسْجدون للحجر، ويركعون للصنم، ويطلبون الصفح والغفران من البشر، فَسَدت عقولهم، وسَاءَ تفْكيرهم، وهَانت عليهم كرامتهم.

---

(1) القصص: 68. (2) الحج: 75: . (3) الأنعام: 124.

يقول أبو الحسن الندوي:

(نظر ﷺ إلى العالم فرأى إنْسانًا هانت عليه إنْسانيته، رأى إنسانًا معكُوسًا فسَدَ عقْله، وفَسد نظام تفكيره فإذا النظرى عنده بديهى، والبديهى نظرى يسْتريب فى موضع الجزم، ويؤمن فى موضع الشك.

رأى مجتمعًا هو الصورة المصغَّرة للعالم كل شيء فيه فى غير محلِّه، أصْبح الذئب فيه راعيًا، والخصْم الجائر قاضيًا وأصبح المجرم سعيدًا حظيًا، والصالح محرومًا شقيًا رأى الأمم قطعانًا من الغنم ليس لها راع، والسياسة كجَمل هائج بلا حارس، والسلطان كسيْف فى يد سكران يضْرب به فى كلّ إتجاه.

رأى مُعَاقَرةَ الخمْر إلى حدّ الأدْمَان، والخلاعةَ والفُجور إلى حدّ الأسْتهتار، وتَعَاطى الربا إلى حدّ الأغْتصاب) [1].

جاء ﷺ إلى هذا المجتمع الغشوم فَقَلبهُ رأسًا على عَقب، وكان هذا أغْربُ إنْقلاب فى تاريخ البشرية كلها، لأن الدين الذى جاء بهَ كان غريبًا فى قُوَّته وسُرْعته، غريبًا فى عُمْقه وأصالته، غريبًا فى ظُهُوره وَوُضُوحه، غريبًا فى سلْمه وحَرْبه، غريبًا فى كُلّ شيَء، ولعَلَّ هذا يُعْطينا معْنًى أعْمق، ومفْهُومًا أوْسع وأشْمل لدائرة الحديث النبوى المعروف والمشهور **«بدأ الأسلام غريبًا وسيَعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء»** ولقد حاول ﷺ أنْ يقْتلع جرثومة الفساد من نفوسهم، فدعا إلى الإيمان بالله، ورفْض الأوثان، والكفر بالطاغوت وحدَّد لدعوته أهدافًا ثلاثة.

أهداف الرسالة:

ولقد حدَّد ﷺ لهذا الدين أهدافًا ثلاثة:

الأول: إصلاح حال العبد فيما بينه وبين ربه.

الثاني: إصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه.

الثالث: إصلاح حال العبد فيما بينه وبين الناس.

وهذه الأهداف يرتبط بعْضُها ببعْض، وأوَّلُها يُعْتبر أسَاسًا لثانيها وثالثُها

(1) كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) بتصرف يسير.

وآمَنَ المسلمون بهذه الأهداف، وقاموا بتنفيذها على الوجه الذى يرْضاه رسول الله آمنوا بها لأنَّهم آمنوا بقائلها بحقّ وصدق لأنَّهم شاهدوه، وعاصروه مُنْذ أهلَ على الدنيا، وليْس على طَوْر من أطْوار حياته ستْرٌ ولا حجاب، لم يسمعوه يكذب مرّه، أو يخون مرة، لَم يْظلم أحدًا، ولم يَقْطع رحمًا، ولم يشْتُم أحدا، ولم يسْجد لصنم أبدًا، إن حياته كالصفحة البيضاء، طُهْرٌ، ونَقَاء، وعظمة، لذلك آمنوا به، وهم يرونْه فقيرًا من المال، أعْزل من السلاح لا يملك لهم ضَرًّا ولا نفعا ويجْهر فيهم بقوله: «**لا أملك لكم نفْعًا ولا ضرا.. ولا أدرى ما يفعل بي ولا بكم**» وامْتلأت قلوبهم يقينًا وعزما.

بيْدَ أنَّ قريشًا صبَّت العذاب عليهم صبًا، واشْعلتها عليهم نارًا تلَظّى، ونزل العذاب بالمسلمين كالعاصفة المجْنُونَة التى لا تُفرق بين أخْضر ويابس، أوْ سَيِّد ومَسُود، ولكنَّهُم استعْذبوا العذاب، واستَحْلُوا الصِّعاب، وأنْقلبت الدنيا فىَ أعْينهم إشراقةً من الرضا النَّفْسى، والأطمئنان القَلْبى، واليقين العينى ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[1] .

لذلك كانت حياتهم نورًا فى نور، ونورًا يعْلُوه نور، كانت حياتهم قبسًا شعَاعًا من هذا الهدى منْ أجْل ذلك نزلت الملائكة وحاربت فى صفوفهم إمَّا بالقتال الفعْلى، أو التثْبيت القلبى قال تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾[2] .

وقال: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [3] .

شَعَّ نور الذات العَلِيَّة على المسلمين فى بدْر. قال تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ**

---

(1) الرعد: 28
(2) الأنفال: 12.
(3) الأنفال: 9.

ولَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [1] وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [2] وقال: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[3] .

قمة الكمال البشرى:

وبهذه الروح الايمانية، والضَّوابط الأخْلاقية، والثَّوابت الأنسانية، تَغَيَّر وَجْهُ التاريخ فنقَل ﷺ الأمَّةَ الأمية التى كانت لا تَعْرف من العَدِّ مَا بعْد الألْف نقلها نقْلةً قويَّةً من القَاع إلى القمَّة، ومنَ الضَّعْف إلى القُوَّة، ومن الذِّلة والمهَانة إلى العزَّة والكَرَامة، فَعَلَتْ بأيمَانها، وسَمَتْ بأخْلاقها وإرْتقَتْ بأنْسانيَّتها إلى قمَّة الكمَال البَشَرىّ، فأقامتْ عوَجَ الحياة، وقَعَّدتْ قَواعد الحرِّية المفْقُودة، والتى كانت كالفاكهة المحَرَّمة فى العالم عامّة، والعربىّ خاصةً، تراها الأمم، وتَسْمعُ عنْها، لكنَّها لا تَعرفُ طَعْمها، ولا تَتذَوَقُ ثمارها، ولا تَسْتوْردها ولا تُصدِّرُها . . . وبذلك عزلت الأمم المريضة عنْ قيادة العالم، وتولَّتْ القيادَةَ بلا مُنَازع ثم فَجَّرت كلَّ ألوان العلم والمعْرفة، وفتَحت أمام العقْل باب اللا نهائية فليس عليه حجْر هنا أو هناك، ودَعتْه إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض **وأعلن الأسلام أن العقْل هو ميزَان الحياة، ولو إخْتلَّ هذا الميزان لأخْتلَّ ميزان الكون، ولَوْلاه ما عرفْنا الله، ولولاه ما دبّت على الأرض حياة وهو هبةٌ من الله غالية، لا يجْحد فضْلها إلا ظالم، ولا يُهْملُها إلا جاحد .** قال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [4] وبالأيمان والعلم عزَلتُ الأمم المريضة عن قيادة العالم، ووقف العالم مشْدُوهًا أمام هذه الأمة الفَتيَّة يتأمَّلُ قُوَّتها الأيمانية التى فاقَت الوصف، ونهْضتَها العلْمية التى فاقت الحدّ، وعبْقريتَها العسْكرية التى كانت من عجائب الدهر .

نظام غريبٌ، فريدٌ، عجيبٌ لم يألفْهُ العالم من قبْل . صنَعهُ محمد!!! وبثَّهُ فيهم صاحبُ الذكرى فَربَّاهم عليه، فأحبُّوه وإلتفُّوا إليه ﷺ .

واستْمع لما يُرْوى:

هذا عُقْبة بن نافع يقف بالأسلام على شاطىء المحيط الأطْلسى، وقد أنزل

---

(1) الأنفال: 17. (2) الأنفال: 17.
(3) التوبة: 14. (4) لقمان: 32.

جواده فى الماء، ثم رمى ببَصره إلى الأفق البعيد ثم قال: اللهم ربَّ محمد لولا هذا البحر لفَتَحْتُ الدنيا فى سَبيل إعلاء كلمتك اللهم فأشْهد . . .

ويتجه بالإسلام إلى آخر بلاد المشرق «قُتيبة الباهلىّ» ويأبى إلاَّ أن يتَوغَّل فى بلاد الشرك، فيقولُ له أحد أصحابه مشفقًا عليه، ومحذِّرًا له: لقد أوْغلْت فى بلاد الشِّرك، والحوادثُ بين أجْنحة ألدهَر تُقْبَل وتَدْبر. فيقول له قتيبه: بثقَتى بنصْر الله أوْغلت، فإذا إنقضت المدَّة لم تَنْفع العُدَّة، فيردُّ عليه المشْفقُ النَّاصحَ قائلاً: أسْلُك سَبيلك يا قُتيبة فهذا عزْم الرجال، هذا عزْم الأبْطال، عزْم أَحباب رسول الله . .

هؤلاء الرجال عقَدُوا عَزْمَهم على أن يَطرُقوا باب الجنة مهْما غلا ثَمنُها لأنَّهم علموا أنَّ أرْباح الدنيا مهْما تعاظمت، وتكاثرت فهى زائلة فانية أمَّا أرباح الجنة فَمهْما قَلَّتْ، أوْ ضَعُفت فهى خالدة باقية ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[1].

لهذا كُله، ولغيره أخضذُوا بناصية الأمم، وأصْبح العالم كلُّه مدينًا لهُم، ويسيرُ فى ركابهم، ويُحَاول أن يحاكيهم، وأَنْ يتَقَرب منْهم، ويخطب وُدَّهُم.

وهاك مثل للقوة العسكرية:

ضَاقَ الناس ذرعًا من ظُلْم الحجاج بن يوسف الثَّقفىّ فى عهد الوليد بن عبد الملك فجهَّزُوا جيْشًا كثيفًا لحرب الحجاج بقيادَة عبد الرحمن بن الأشْعثْ، وبعد قتَال مَرير إنْهزم ابن الأشعث، وتَفرَّق جيْشَه، قُتَل منْه منْ قُتل، وهرب من هرب، وَغَرق مَنْ غرق، ولجأ إبن الأشَعث إلى «روتبيل» مَلك التُرك، وإحْتمى به فأمَّنَهُ روتبيل، وأنزله منزلاً حَسنًا، ولما عَلم الحجاج بعث برسالة إلى ملك التُرك يقول فيها: «بلغنى أنّك آويت إبن الأشعثَ وأمَّنْته ووالله لأنْ لم تَبعثْ إلىّ به لأبْعثَنَّ إلى بلادك ألْف ألْفَ مُقاتل، ولأهدمنَّها عليك، ولأخربنَّها» ولما تحقَّق ملك التُرك منْ وَعيَد الحجاج اسْتشار وُزَراءه، وأمراءه فأشاروا عليه بنْقض الأمَان، وتسْليم إبن الأشْعث وقالوا: لا نُريد أنْ تُخربَّ دِيَارُنا، ويأخْذ الحجَاج عامَّة أمْصَارنا، وعند ذلك غَدرَ ملك الترك بأبن الأشعث، وَذَبحهُ وأرْسل برأسه إلى الحجاج، وَقال قولته

(1) جزء الآية 96 سورة النحل.

المشْهوره : (لا قبل لنا بالحجاج) [1] .

وهاك آخر للقوة العلمية:

جاء فى كتاب (القرآن والمنهج العلمى المعاصر) للأستاذ عبد الحليم الجندى قال : حسْب القارىء بيانا لمدى الأنتفاع بعلوم الأندلس فى عالم الظلمات الأوربى خطاب صادرٌ إلى الخليفة هشام سنة ٤١٨-٤٢٢هـ فى نَصِّه غنًى عنْ أى تَفْصيل جاء إلى الخليفة ما نَصُّه :

«منْ جُوْرج الثانى ملك إنجلترا وفرنسا والنرويج إلى الخليفة هشام الثانى بعْد التَّعظيم، والتوقير، سمعْنا عن الرقىّ العظيم الذى تَتَمتَّعُ بفيْضه الصَّافى معاهد العلم فى بلادكم العامرة، فأردْنا لبلادنا إقْتباس هذه الفضائل لنشْر العلم فى بلادنا التى يحيطُها الجهل منْ أركانها الأربعة، وقد وضَعْنا إبنة شَقيقَتنا الكبرى الأميرة «دوبانت» على رأس بعثة من بنات الأشراف الأنجليز» .

من خادمكم المطيع جورج

وهكذا وصلت الأمة الأسلامية مكانًا عليًّا فى القوَّة الدينيّة التى فاقَت الوصف والقُوة العلمية التى لا تقف عند حَدّ، والقوة العسْكريَة التى كانت من عجائب الدهر .

هؤلاء عقدوا العزْم على أن يَطْرُقوا باب الجنة مهما غلا ثمنها، لأنهم علموا أنَّ أربَاحَ الدنيا مهما تعاظمت، وتشَامختْ فهى زائلة فانية، أمَّا أرْباح الآخرة فَمهْما قَلَّت أوْ ضَعُفت فهى خالدةٌ باقية ﴿مَا عندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عندَ اللَّه بَاقٍ﴾ [2] لذلك : راقبوا الله فى سرهم وعلانيتهم، واسْتشْعرُوا عظَمتهُ فى غُدوهم ورواحهم، ركنوا إليه فمنحهم القوة، ولجأوا إليه فأعْطاهم العزَّة، وفوضوا أمرهم إليه فتولى أمرهم، وملائكة السَّماء تُشيرُ عليهم وتقول : ﴿سَيَهْديهِمْ وَيُصْلحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ .

لقد حَرَّرَ الإسلام نفوسهم من المطامع والأهواء، وربط قلوبهم بالله خالق

(1) البداية والنهاية جـ5 ص96 .
(2) النحل: 96.

الكون والحياة وقيَّدوا إرادتهم بإرادة الله . صلاة وسلامًا عليك صاحب الذكرى .

يا مصْطفى منْ قبْل نَشْـأة آدم   والكوْنُ لم تُفْتح له أغْـلاقُ

أيرُوم مخْلوق ثناءك بَعْدَمَـا   أثْنى على أخْلاقِك الخـلاقُ

ويقول الآخر :

أقْسمْت بالغار، والقرآن، والحـرَمِ   أقْسمْتُ بالعرش والكُرسيّ والقَلَمِ

أقْسمْت بالوحْي والآياتُ شاهـدة   ما جاء مثْلك يا مُختـار للأمُـمِ

صلى على المصطفى قوم به سَعِـدُوا   والله صلى على المخْتار منْ قِـدَمِ

* * *



هُوَ. كَمَا هُوَ «صلى الله عليه وسلم»

ما منْ عظيم إلا وله ذَلَّة، وما منْ حليم إلاَّ وله هفْوة، ماعدا سيد الخلق ﷺ فلم يزده كثْرةُ الأذى إلا صبراً، ولا إسْراف جاهل إلا حلمًا، ولا بَغْيَ باغ إلا عفْواً وصَفْحا، وما إنْتقم لنفْسه قط. فإذا أنتهكت محارم الله إنّتقم لله ظلْ ﷺ من مهده إلى مبعثه، ومنْ مبْعثه إلى وفاته هو: هو: لم يتَغيَّر، لا فى اليُسْر أو العُسْر، ولا فى المنْشط أو المكره حتى الأعداء، لم يجدُوا له هفْوةً واحدة، ولا مأخذًا واحدًا، جمع الكمالات الظاهرة والباطنة، وبذلك ساد أهل الدنيا والآخرة. كان دائم البشر، سهْل الخلق، ليّن الجانب، ليْس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحَّاش، ولا عيَّاب، ولا مدَّاح، لا يقابل السَّيئة بالسيئة، بل يعْفو ويصْفح، فتح الله له بلاد الحجاز، واليمن، وخضَعت لدينه كُلَ جزيرة العرب، وما دَنَى ذلك من بلاد الشام، والعراق، وجلب إليه من أخماسها وجزْيتها ما لا يُحْصى. فما خرج عن طَبيعَته، وما تعالى عن قومه وصحابته. حُمل إليه سبعون ألف درهم فوضعت على حصير، ثم قام إليها يُقسّمُها، فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها.

تراكَمت الأموال بين يديه، وفُتحت البلاد لَديْه، والمسلمون يتسابقون فى محبَّته وتنفيذَ أمره فما إسْتطاعت ذرَّة من تَعال أو كبْر أنْ تنال منه ومن رآه يوم الفتح الأعظم رأى عجبا، دخل فاتحًا منْتصراْ، وقد أَلْقَى أَعْداء الله السلاح، ووقفوا جميعًا ينْظرون إليه، وينْتظرون حكمه فيهم، بينما عشرةُ آلاف سيْف تتوهَّجُ فوق رُبَا مكة، تَتلمّظُ شوقًا لدمائهم ويسْتعْرض ﷺ وجوههم الذليلة ويقول: «**ما تظنون أنى فاعل بكم**» قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «**إذهبوا فأنتم الطلقاء**». الطُّلَقَاء وهم الذين قتلوا ياسرًا وسمية، وبَقَرُوا بْطن حمْزة، ومضَغُوا كبده. الطُّلقاء وهم الذين عذّبُوه، وحاصروه، وقاطعوه، وأخْرجوه من مكة أحبَّ بلاد الله إليه، ولما عاد إليها وأعلام النصر بين يديه يدْخُل حانيا رأسه حتى يكاد أنْ يمس شَعْر لحيته ظهر البعير، وحتى تعذَّر على الناس أنْ يَرُوا وجهه الكريم، لا شُموخ، ولا كبرياء، ولا مثقال ذرَّة من تَشف هو.. كما هو ﷺ.

* * *

ولا تعجب

فإنسانية الرسول ﷺ فاقت الوصف، وأخلاقُه العالية فاقت الحدّ روى فى الصحيح أنه مُرَّ عليه بجنازة فقام لها فقالوا: يا رسول الله إنها جنازة يهودى. فقال ﷺ: «**أليْسَتْ نَفْساً منفُوسة**».

فى إحدى الغزوات وَجَدَ إمْرأة مقْتولة فَغَضب وقال: «**ما كانت هذه لتُقَاتل**» وكان إذا بعث بْعثًا، أو جيْشًا أوصَاهم قائلاً: «**لا تَغْلوَا ولا تغْدروا، ولا تُمثلوا**». رأى رجلاً يَقُود نَعْجةً إلى الذَّبحْ ويَجرُها منْ رجْل واحدة فقال له: «**إتَّقِ الله وقُدْها إلى الموت قَوْداً جميلا، وجُرّها إلى الذبح جراً رفيقاً**».

ورأى آخر يحدُّ السكين أمام الذبيحة فقال له ﷺ: «**لا تُمتْها مَوْتَتَان**». ورأى رجلين يركَبَان نَاقَتين، وقد إتخذ كلٌ منهُما من ناقته مركبًا وكُرْسيًا للحديث عليها، فقال ﷺ: «**إتقوا الله فى هذه العجْمَاواتَ فكلوها صالحة، وأركبوها صَالحة، ولا تتخذوها كَراسى تجْلسُون للحديث عليها فى الطرقات والأسواق**».

وقفت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أمام قَبْر ه ﷺ وهى تبكى ثم قالت: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا منْ لم تَلْبس الحرير، السلام عليك يا من لم تَنَم على الفُرش الوثير، السلام عليك يا من لم تَشْبعَ منْ خُبز الشعير».

ثم قُلْتُ بعد مَا قَالت أمُّ المؤمنين: السلام عليك يا من سَبَّح الحصى فى يدك، السلام عليك يا من فار الماء منْ بين أصَابعك، السلام عليك سيدى أبا القاسم يا رسول الله عشْت من يوم مولدك إلى يومَ وفَاتك وأنت فى جهاد، لم تَنْعم بنعيم الحياة حتى بعد أن دانت لك الدنيا، ودخل الناس فى دين الله أفْواجا كُنْت كما أنْت الحلم شيمتُك، والصدقُ صَنْعتُك، والتواضع حلْيتُك، وصدق من سَمَاك الرءوف الرحيم يَا محمد.

وقَفْتُ فى حَـرَمِ النبى وقُلْتُ ... يا خَيْـر الوجـود تحيتى ودعائى
مـا لى من الأعمـال مـا أرْجُو به ... فَـوْزاً ولكن فى نداكَ رَجَـائىْ
فـأشْفع لدى المولْى الكَريمِ تفَضـلاً ... لأكـون صاحب صفـحـة بيـضاء

أين الأمة التي صنعها صاحبُ الذكرى

وفي ذكرى مولد الهادي البشير ﷺ يَحقُّ لنا أن نتساءل: أيْن هذه الأمة التي صنعها صاحب الذكرى؟ أين الأمة التي وصل مدُّها إلى الأناضول، وطرقت أبواب باريس؟؟ أين الأمة التي كانت يُجْبى إليها خراج العالم؟؟

لقد أفَلَ نجْمُها، وغربت شَمْسُها، وتَفرَّق جمْعُها، وأفْلت الزمام منْ يدها، فَسَادَها مَنْ كان بالأمْس عبْدًا لها، وصدق فيها قول العربيّ الساخر: «إسْتَأسَدَ الحَمَل لَمّا اسْتَنْوَقَ الجَمَل».

رضيَت الأمة الرائدة بمكَانتها بين الأمم النامية المتخلفة، أنْ تكون سَاقَة المعسْكر الجاهلي، يُمْلى عليها ما يشَاء وما يريد!!!! تَحكَّم فيها الأعداء، وتقاسم خيرها الغرباء، ولا حول لأهلها ولا قوة وهذا ما تَنبَّأ به صاحب الذكرى ﷺ من ألف وأربعمائة عام قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصْعتها**» قالوا: أمنْ قلَّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**لا، بل كثير ولكنم غُثاء كغُثاء السَّيْل ولينْزِعنَّ الله منْ صدُور أعدائكم المهابة، وليقْفدنَّ في قلوبكم الوهن**». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حبُ الدنيا وكراهية الموت**».

ولَعَليّ أسْتعير عاطفة الشاعر «محمود غنيم» في التَّعبير عن هذه الحقيقة المرة المؤْلمة، قَال في قصيدة بعنوان «دمعة على طلل» أقْتطفُ منها هذه الأبيات:

مَا لِي وللنَّجمِ يرْعَاني وأَرْعَاهُ ... أمْسَى كِلانَا يعَافُ الغَمْضُ جفْناهُ

إنِّي تذكَّرتُ والذكْرَى مُؤَرقَة ... مَجْداً تليداً بأيْدينَا أضَعْناهُ

إنّي اتَّجهْتُ إلى ألأسْلاَمِ في بَلدٍ ... تَجِدهُ كالطَّيْرِ مقْصُوصًا جَنَاحَاهُ

ويْح العُرُوبة كَانَ الكوْنُ مسْرَحُها ... فَأصْبحتْ تَتَوارَى في زَوَايَاهُ

كَمْ صَرفْتنا يد كُنَّا نُصَرّفُهَا ... وبَاتَ يَمْلكُنا شَعْب مَلكْناهُ

أمّا أمير الشعراء «أحمد شوقي» فيقول مُنَاجيًا، وباكيًا:

شُعُوبُكَ في شَرْقِ البلادِ وغَرْبها ... كَأصْحَاب كهْف في عَميقِ سُبَاتِ

بأيْمَانهم نُورَانِ ذِكْرٌ وسُنَّةٌ ... فَمَا بَالُهم في حَالكِ الظُلماتِ

لقد أفلت الزمام منْ يدها كما قُلنا، وأصبحت عالة على أعدائها شرقًا وغربًا، سُلبتْ حرّيتها كما سُلبتْ أرضها، وتربَّصَ بهَا الأعداء. فهذه حرب الخليج الأولى والثانية واحتلال العراق، وفلسطين، وأفغانستان، والحرب الدائرة في لبنان، والصومال، والسودان صورة رَديئة، ومنظر حزين لأمة قال فيها ربها ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(1).

إقْرَءُوا التاريخ وسلوه عن هذه الممالك الأسلامية: مملكة الأورَال، مملكة اسْترخان، مملكة القُوقَاز، مَمْلكة ألقرْم، مملكة سيْبرْيا، مملكة تركسّتان، كان من هذه الممالك ألسّت الأسلامية العلماءَ الأفذاذ الذين قَلّما تجُود الدُنيا بأمثالهم.

كانَ منها الأمام العلامة: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الكتاب المعروف (**صحيح البخاري**) وُلد ببخاري من أعمال تركستان، الأمام الطبري مُفَسِّر القرآن الكريم وُلد بطبرستان، الأمام الرازي مفسِّر القرآن الكريم وُلد أيضًا بطبرستان، الأمام الترمذي الأمام المحدّثْ صاحب كتاب (سنن الترمذي) في الحديث، الأمام النَّسفي صاحب تفسير النَّسفي، الأمام الزمخشري، وغيرهم وغيرهم، أيْن هذه الممالك الأسلامية؟؟ إسْتولت عليها روسيا النّصرانية القديمة، وألتهمتها واحدة بعد الأخرى، ومَحَتْها من الخريطة الأسلامية!!!

إسألوا التاريخ عن الأندلس، وعلماء الأندلس، وحضارة الأندلس، وكيف جاءت وكيف ذهبت؟؟

يَا أُخْتَ أنْدلسٍ عليك سَلامُ   هَوَت الخلافةُ عنْك والاسلام

واقع مُؤْلم، لأمَّة نَبذَتْ دينَها، وأضاعتْ ثقافتها، وتهاونَتْ في كَرامتها وطَمسَتْ تاريخها، ورَفَضتْ حكم السماء فيها، فَحكَمتْ عليها الأرض بقوانينها الطبيعية، ومقَاييسهَا المادية، وقانون الأرض [إذا تَساوَى المتَغَالبُون لا تكون الغلبة إلاَّ لمن يفُوق فكْرًا وَمكْرًا أو خديعة وغدْرًا] وسُنَّة الله في الخلق: [إذا تساوى المتغالبون في المعصيةَ لابُدَّ أن يفُوقَ أعْقلُ العاصين، وأكثرهم حيلةً، وأقواهم عُدَّة].

ويطيبُ لي أنَ أقْرأ رسالة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى سعد بن أبي وقَّاص في مَوْقعة القادسية، لأسْتشْهدَ على ما قلت:

---

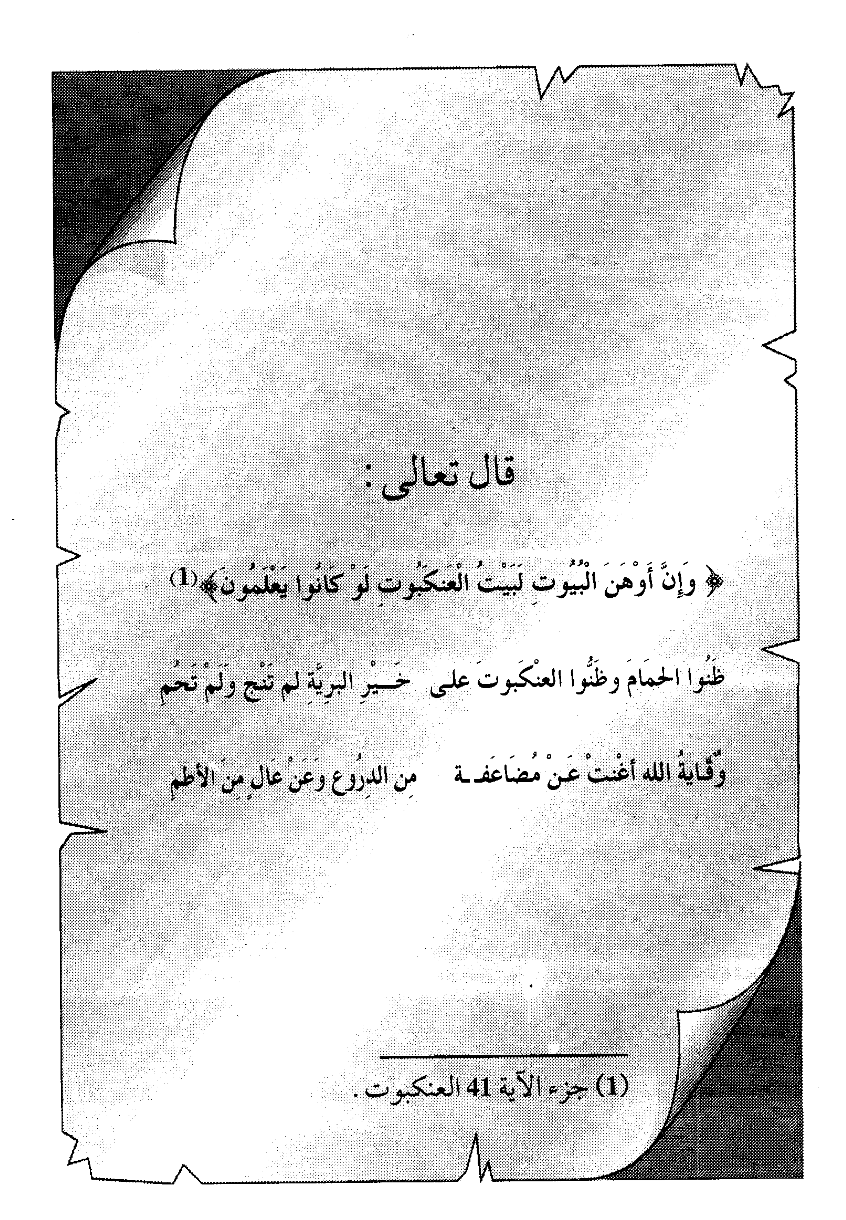
(1) آل عمران: 110.

قال أمير المؤمنين عمر فى رسالته : أمَّا بعد . فإنى آمُرك ومن معك من الأجْنَاد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفْضل العدَّة على العَدُوّ وأقوى ألمكيدة فى الحرب ، وآمرك ومنْ معك أنْ تكونوا أشدّ إحْتراسًا من المعاصى منكمُ منْ عَدُوكُم ، فإنَّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عَدُوِّهم وإنما ينصر المسلمون بمعْصية عدوهم لله ، ولَوْلاَ ذلك ، لم تكُنْ لنا بهم قُوة ، لأنْ عَدَدَنَا ليْس كعَددهم ، ولا عُدتنا كَعُدتهم ، فإن إسْتوينا فى المعْصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضْلنا لمْ نغْلبهُم بقوتنَا ، فاعلموا أن عليكم فى سيْركم حفظة من الله يعْلمون ما تفعلون فأسْتَحيْوُا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله ، وأنتم فى سبيل الله . وأسألوا الله العوْن على أنْفسكم كما تسْألونه النَّصر على عدوكم . أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم .

وأختصر كلمتى لأقول ما بدأتُ به :

يا صاحب الرسالة ، يا صاحب الشفاعة : إن فى القلب آمالاً يثير الشوق أشْجانها ويأبى أدبى معك إلا كتْمانها ، فإذا قال لى الشوق أطْلق الشَّكْوى ببيانك قال لى الأدب : بل أنْظر إلى نور المَصطفى وأحفظ عليك لسانك . وصلى الله وسلم وبارك على صاحب الذكرى ، وعلى آله وصحبه وسلم .





قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1]

ظَنُوا الحمَامَ وظَنُّوا العنْكَبوتَ على خَـيْرِ البريَّةِ لم تَنْج ولَمْ تَحُمِ

وِقَايةُ الله أغْنتْ عَنْ مُضَاعَفـة مِن الدرُوع وعَنْ عَالٍ مِنَ الأطمِ

(1) جزء الآية 41 العنكبوت.

فى رحاب الهجرة

الحديث عن الهجرة هو حديث الإيمان، الإيمان الذى غيَّر مجْرى التاريخ، والعناية الألهية التى أحاطت بالرسول الكريم، واليقين الذى صار مثلاً يُحكى كالأساطير وما هو بأساطير.

حديث الهجرة هو حديث الأعْدَادالذى قلب الموازين، والقيم التى أفْرزت نوعية بشرية قلَّما تحْدُث فى التاريخ.

لقد تحمل رسول الله الكثير فصبر، وكان دائمًا يتلقى الأمر من السماء ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1].

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾[2].

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [3].

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [4].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[5].

وكانت الآيات تنزل على قلبه بردًا وسلامًا، تجرَّع أصحابه مرارة التعذيب حتى اسْتعْذبوا العذاب، واسْتحْلُوا الصعاب، فهذا يُكْوى بالنار، وهذا يوضع على ظهره الصَّخْر المحميّ فى الصحراء، وهذا يُضْرب بالسياط حتى يموت، وآخر يُسْجن ويُمنع عنه الطعام والشراب، وغيرهم، وغيرهم، ويمررسول الله على بعض المعذبين فيُشيرُون إليه أنْ خفِّفْ عنَّا العذاب فيقول ﷺ: « **لا أملك لكم نفعًا ولا ضرًا، ولا أدْرى ما يُفْعل بى ولا بكم**» «**صبراً آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة**»، وما كان قولهم إلا أن قالوا: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[6].

ولما بلغ السيْلُ الزبى قرَّر رسول الله أنْ يتْرك مكة، وهى أحبُ بلاد الله إلى الله

---

(1) من الآية 35 الأحقاف.
(2) الآية 10 المزمل.
(3) من الآية 127 النحل.
(4) الآية 48 الطور.
(5) الآية 48 القلم.
(6) البقرة: 250

وأحب البلاد إليه ﷺ، ولولا أن أهلها أخرجوه منها ما خرج، قرَّر أنْ يترك مكة لأنَّ جوَّها لم يَعُد صالحًا لتقبُّل الدعوة، إنَّها الجاهليةُ الغشوم فى أقْبح صُورها، فالبَقاءُ بها تيهٌ وضياع، وأختار ﷺ لهجرته (يثرب) عسى الله أنْ يكشف الغمَّةُ وأنْ يأتى بالفرَج، ولله فى كل نَفَسٍ مائةَ ألف فَرج قريب.

الله يحدثُ بعد العَسر ميْسـرةً	**لا تجْزعـن فإنَّ الكافـى الله**
إذ بُليت فَثـق بالله وأرْض بـه	**إن الذى يكّشف البلوى هو اللـه**
والله ما لك غَير الله من أحـدٍ	**حسبك الله فى كُـلٌ لك اللـه**

وبعد ما أخذ فى الأسْباب، وأعدَّ العُدَّة مع الصدّيق، وتهيأى للرحيل، عقدتْ قريش أخْطر إجتماع لها فى دار الندوة يوم الخميس **26** صفر سنة **14** من البعثة **12** سبتيمر **622** وقَرَّرَ المجتمعون بالأجْماع قتْل «محمد» ﷺ والقرار لا رجْعة فيه فلا يحتاج مساومات ولا مُداولات. جمَعُو الشباب القوىّ الفتىَّ الذى يقوم بالمهمَّة ووقف الشباب بعد منتصف الليل أمام بيت النبى فإذا ما خرج ضربوه ضربة رَجل واحد وبذلك تموت الدعوة فى مهْدها، وتهْدأ الجزيرة بغبائها، وقف الشبابُ المتَعطِّش لسفْك هذا الدم الزّكىّ، عيونهم مُفتَّحة، وآذانهم مرْهفَة، ونفُوسهم فى ظَمأ شديد لهذاَ الدم، خاصةَ وأنهم يعلمون أنَّ قريشًا كلها تنْتظر منهم الخبر الذى يْثلجُ صدورهم، ويريح أعصابهم، ومن الذى يحول بينهم وبين ما أرادوا؟ ما الذى يمنعهم من قتل محمد؟ ولولا المسبَّةَ والعار لأقْتحموا عليه الدار.

وباتت مكة ليلتَها فرحة مُستَبْشرة، يهنئون بعضهم البعض، ويباركون بعضهم ألبعض فهم على ثقة من تنْفيذ الخطة!!!

هنا تدخَّلت العِناية الألهية، وحدث ما لم يْخطر على بال، خرج النبى وهو ثابت القلب مطمئن الفؤاد، لم يَرَهُ أحد، ولم يشْعُر به أحد، وهم وقوف على الباب، وكأنَّ القدرةَ تسْخرُ من جَمْعهم، وتأنَفُ من تفكيرهم، وتقول: لقد جَمَتُم القبائل وشَدَدْتُم الحَمَائل، وعَلَّقْتمَ السيُوف، وظَنَنْتُم ظنَّ الجاهلية أنكم قاتلوه، وليس مع محمد مَنْ يدافَع عنه أوْ يحْميه، ولكن الله هو الذى يدافع عنه ويحميه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1].

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وإذا أراد الله تكَسَّرت كلُّ إرادة تقف فى طريقها، فلا راد لقضائه ولا مُعقب لحكّمه، ولا يُسْأل عمَّا يفعل.

قال تعالى: ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾[3].

وسبحان الله ظل فرعون سنين عددًا يذبح الأبناء، ويسْتحى النساء خوفًا من غلام بنى إسرائل الذى يكون ضَيَاعُ مُلْكه على يديه، وتشاء الأقدار أنْ يتربى موسى فى بيت فرعون، بل ويتعهده بالرعاية والعناية، ويشْرفُ بنفْسه على تَربيته سنين عددا، ولم يعلم فرعون ما تكنُّه له الأقدار إلا بعد أن أرْسلَ موسى وقال له:

﴿ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4].

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[5].

فالكوْن كلُه بيد مُكَوِّنه، والعوالم كُلُّها مُسخَّرةُ لمشيئته، ولا يجرْى فى مُلكه إلا مَا أراد، وفى ذلكَ يقول القائل:

دَعِ الأقْدار تفْعلُ ما تَشَاء ... وطِبْ نفْسًا إذا حكم القضاءُ

ولا تجْزعْ لحادثةِ الليالى ... فمَا لحوادثِ الدنْيا بَقَاءُ

وكُنْ رجُلاً على الأهْوال جلْدًا ... وشيمتُك السَّماحَةُ والوفَاءُ

وذهب النبى إلى بيت أبى بكر الصدِّيق والرفيق ألوفى ألكريم «**لوْ وُزن إيمان أبى بكر بأيمان الأمة لرجح بهم**» وخرج الأثنان من مكة لأنَّ أرضها لم تعد صالحة للدعوة، وهوَاءَها مشْحُون بالعصبيَّة، وطقْسَها مُلَوَّث بميكرُوبُ الوثنية.

---

(1) الحج: 38.
(2) الروم: 47.
(3) جزء الآية 9 سورة يس.
(4) جزء الآية 104 الأعراف.
(5) الآية 18 الشعراء.

خرجا ليلة الجمعة 27 صفر 13 سبتمبر وسارا حتى وصلا إلى الغار قبل طلوع الفجر واخْتبأ فيه ثلاثة أيام كاملة نزل أبو بكر فى الغار وسوى التراب بيديه فأصابه حجر فدميت أصْبعه .

فقال : هل أنت إلا أصبع دُميت وفى سبيل الله ما لقيت ، يسمع علم سيدنا عمر بما فعله أبو بكر مع رسول الله فيقوَل : والذى نفس عمر بيده ، لَتلْكَ الليلة خيرٌ من آل عمر كلهم .

فى صباح الجمعة علمت قريش بالنبأ فجُنْ جنونها ، وإشتاطت غضبًا فاعْلنت عن مكافأة سَخيَّة لمن يأتى بهما ، أو بأحدهما حيًا أو ميتا ، ولَمَّا كانت المكافأة مغرية إنْتشر فرسان مكَة فى الجبال والوديان ، والوهاد والهضاب بحثا عن الرجلين حتى . وصل البعض إلى باب الغار .

قال أبو بكر : رفعْت رأسى فإذا بأقدام القوم فقلت : يا رسول الله . . لو نظر أحدهم تحت قدمه رآنا . فقال النبى ﷺ : « **لا تحزن إن الله معنا .**

ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

والسؤال هنا : ما الذى حال بينهم وبين إقْتحام الغار ؟ من الذى منعهم من . الأمساك برسول الله ؟ ومن الذى صرف أبصارهم عمًّا أرادوا ؟ إنه هو الله :

يا من يُجير المسْتَغـيث إذا دَعَـا ... ويُجيبُ فيه خَآلـص الدَّعـوات

مالى سـواك به الوذُ وأحْتمـى ... منْ ما أخْشـى من الآفـات

إنى أتيتُ إليك فأقْبـل توبتـى ... وأغْفـر فإنَّك غافـر الذلات

أفْنيت عمرى فى الذنـوب فَعَافنى ... يارب وأخْتم بالقبـول حَياتـى

تولَّتْ العناية حايتهما بأسْلحة قلَّما تخطر على البال بالعنكبوت والحمام قال تعالى : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

ظنوا الحمام وظنُّوا العنْكبوت على ... خَيْر البرية لم تنْسـج ولم تَحُـم

وِقَايةُ الله أغْنتْ عـنْ مُضَاعفـة ... منَ الدُّروع وعنْ عَالٍ من الأطَـم

وحَدِّثْني بربك. هل عَهدْتَ في عُرف المعارك بين الدُّول، والجماعات، أو حتَّى بين الأفْراد أنْ تُبْنى المخَابِيءُ بالعنكبُوت؟ أو تُحصَّنُ بها الحصُون؟ أوْ يسْتعانُ بها حتّى في صغائر الأمور؟ هل عَهدْت على مَدار التاريخ أن يقفَ الحمامُ لصَدِّ الجيوش ويَبُثَّ الرُّعْبَ في قلوب المحاربين أنَّ مُهمَّتَهُم بَاءتْ بالفشلَ الذريع؟

لقد وقف الطَّالبُون علي فُوُهة الغار، ويَهُمُّ أحدُهم أنْ يسْتطْلع مَا بداخله فيتصدَّى له أحْرصُ الطالبين (أمية بن خلف) ويشيرُ بيده إلى فُوَّهة الغار، ويَقولَ: هذا العنكبوت أقْدمُ من ميلاد «محمد بن عبد الله» وَيظلُّ القوم يغْدون ويرُوحون حول الغار، يَطَأؤنه بأقْدامهم، وقد ساخَتْ عُقُولهم في أرْجُلهم، وهُمْ. مَنْ هُمْ: هُمْ أهْل القيافَة والعيافة، كما يقول الأستاذخالد محمد خالد، يرَى أحدُهم وقْع الأقْدام علي الطريق فيقول لك، هذه قَدمُ فُلان بن فُلان، ويشُمُّ أنْفاس مُحدِّثه فَيُدْرك ما تحْت جوانحه من صدْق، وبُهْتان، فما الذي حال بينهم وبين رسول الله؟ ومن الذي صرف أبصارهم عمَّا في الغار؟؟؟

ويسْمع أبو بكر خشْف النعال، فَيتغلَّبُ عليه الخوف، خوفًاعلى رسول الله والدعوة ويقول: «يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدمه رآنا»، وكَأنَّ الرسول يقول له: نعم يا أبا بكر هو كما تقول، ولكنْ لَنْ يتَمكَّنَ أحدهم من النظر إلينا، وإنْ حَاولَهَا لابُدَّ أنْ يُصْرف عنها، لأنَّنا في مَعيَّة الله!!! إنْ الأمْر لَيْس لي ولك الآن، إنما هو أمْر مَنْ بيده الأمْر، إنَّنا في حماية صاحب الدعوة، وكفالة مَنْ أرْسلني، وضَمَان من إخْتَارني لتبليغ الدعوة، يا أبا بكْر **«لا تَحْزن إن الله معنا»**.

لقد نَصر نُوحًا بالطوفان، ونجَّي إبراهيم من النيران، وأنزل الرُّطب على مريم بأوْهي الأسْباب، وقلب عصي موسي إلي حية ذات شرر حتى خاف موسي وفَر، فنَاداهُ«يا موسي لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسلوَن» وطَوَي لي الأرض، وألغى قانون الزمن، وسخَّر البراق ليلة االإسراء فلا تَحزنْ إنْ الله معنا: قال تعالي: **﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾**(1). فهدأت نفس الصديق، وأطْمأنَّ قلبه، ومكثا في الغار ثلاثة أيام حتي سكن الطلب.

---

(1) يس: 82

قال الإمام البوصيري :

أقْسمتُ بالقمـــر المنْشـــق إن له	من قلبه نسـَــبة مبْرورةَ القَسَـــمِ
ومَا حَوي الغار منْ خيْر ومنْ كَـرم	وكل طرف من الكفار عنه قَدْ عَمِي
فالصِدْقُ في الغار والصديق لمْ يَرِمَا	وهم يقـــولون ما بالغـــار منْ إرَمِ

ولَّما هدأتْ العـاصفـة ، وتوقَّفتْ دوْريَّاتُ التفْـتيش خـرجـا من الغـار قـاصـدين يثرب ، ولكن الطلب لم ينقطع ، والطامعين فى الغَنيـمة لم يتوقَّفُوا وصل إليـهـما سراقة بن مالك ، وكان له موقف عظيم نخُصه بمقال وحده

هذه بعض جوانب العناية الآلهيـة التى أحاطها الله برسوله ﷺ فى الهجرة والتى غـالبًا مـا تُذْكـر إذا ذُكـرت الهـجـرة . ولكنْ هناك جـوانب أخـرى جـديرة بالبـحث والدراسة لابُد أن نذْكرها لنسْتفيد منها ، ونأخذ منها العظة والعبرة ، ونجْعلها نبْراسًا لحياتنا ، وهى الجوانب العملية التى أفرغ رسول جهده فيها وبذل طاقة خارقَة فى الأعداد للرحلة المبـاركة ، والتـخطيط المحْكم ، والتنظيم المُنسَّق ، ولـم يتْرك مـجالاً للتواكل والكسل ، وأغْلق باب الظروف والصُّدف بل إسْتعملُ العقل ، والكياسة ، والحكمة فى كل خُطوة يخْطوها . .

هذه الأمور يجب أن نقف عندها وقفات لنسْتفيد ونفيد .

لقـد جـرى النامـوس الآلهى عـلى أن الله أعْطى لـكل إنْســان قـدراً من العـقْل والتَّعقُل، وقدْرًا على الاسْتنْباط والتفكُر ، وطاقةً مَعيَّنَة على الأخذ بالأسْباب ، وأمرهُ باسْتخْدام تلك القوى فى أموره الحياتية ، دينيةً كَانَتْ أوْ دنْيوية ، فإذا لـم يسْتخْدم هذه النعم فيما خُلقت له ، وتواكل ، وتكاسل ، وتخاذل ، وأهمل ، ثم لجأ إلى الله يسْتمدُ منه العون والمدد ، وأنْ يكْشف عنه ضُره وجدنا الله عز وجل لا يسْتجيب له دعاء ، ولا يسْمع له نداء ، ولاَ يُحقِّقُ له رجاء لأنه لم يسْتعمل نعم الله فيما خُلقت له!!! .

أما إذا إسْتـخدَمها ، وأجْتـهد قدْر إسْتطاعته ، وأفْرغَ جهده فى البحث عن البدائل ، والدلائل ، ولكن ضَاقتْ به السُّبل ، وسُدَّت فى وجهه الأبواب ، وأصبح مضْطرًا لا حيلة له ، فله حينئذ أنْ يلجأ إلى ساحة الجناب الأعلى ، فإذا دعا فُتِّحت له

الأبواب، وأسْتجيبت له الدعوات، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾(1).

وهذا ما حدث لرسولنا ﷺ فى الهجرة فلقد أخذ بالأسباب مع أنه رسول، وإجْتهد قدْر إسْتطاعته مع أنه محاط بالعناية الآلهية وأعدَّ للرحلة، وخطَط لها مع أنه نبى، وهذه الجوانب العملية إعدادًا وتخطيطًا، وتنظيمًا فى كل شئون الحياة هى المفتاح الذى يسْتطيع كل إنسان أيًا كان موْقعه، وأيًا كانت مسْئوليته أن يلْتمسَ طريق النجاح والتقدم.

الجوانب التنظيمية فى الهجرة:

أولاً: الإعداد للرحلة المباركة:

لم يكن هذا الحدث الذى غيَّر مجرى التاريخ وليدَ سَاعَته، أوْ فكْرة عرضت بين يوم وليله بل كانت له مقدمات، ومباحثات، ومَعاهداتَ، وعُهُود ومواثيق مع المؤمنين الصادقين بيثرب (المدينة المنورة فيما بعد) حتى إذا ما إطمأنَّ الرسول الأكْرم إلى الموطن الجديد أخذ يخطط لليلة المرتقبة، ويعدُّ لها الأعْداد المحْكم وهذا الاعداد يتكون من عدة نقاط.

أ) إختيار الرفيق:

لقد إختار ﷺ أحبَّ الناس إليه الذى يساعده فى التنْفيذ، ويرتاح له فى المسير، والذى قال فيه: **«لو كنْت متَّخذاً خليلا غير ربى لأتخذت أبا بكر خليلا»** وَمَنْ غير الصديق يسْتحق هذا التكريم، ومن غير الصديق يفعل ما فعل الصديق. يقول القائل:

إنَ أخاك أخاك الحق من كان معك ... ومن يضُر نفْسه ليْنفعك

ومن إذا ديب الزمان صدَّعَك ... شتَّت فيك شمْله ليْجمعك

ب) أسرَّ النبى إلى إبن عمه أن ينام فى فراشه:

وذلك من باب التمويه، وتضْليل المشركين، وَقَبل علىٌ هذه التضحية وهو يعلم خطرها، وهانت الدنيا فى عَيْنيه، وإسْتهان بكل غالَ ونفيس غير هيَّاب ولا وجل.

---

(1) النمل: 62.

جـ) توصيل المعلومات والأخبار:

من الخطط الهامة التى لا غنى لكل قائد عنها، أن يكون على علم تام ودراية كاملة بحال عدوه، وأن يكون له عيون تسْتطْلع أخبار العدو وترصد له كل صغيرة وكبيرة، وهذا ما فعله النبى ﷺ فقد نظّم أمْر إتصاله بكل من مكة والمدينة، وكانت الأخبار تأتيه كل صباح ومساء، وقد قام بهذه المهمة الخطيرة عبد الله بن أبى بكر الصديق رضي الله عنه .

د) تأمين الطعام والشراب:

وقد قامت بهذه المهمة الجليلة والخطيرة أسماء بنت أبى بكر، وكم تحملت فى سبيل ذلك من مشاق، والتّاريخ يسجل لها بكل فخر وإعزاز هذا الدور العظيم حتى لُقِّبت «بذات النطاقين» .

هـ) مَحْو آثار الأقدام:

وكان لابد لنجاح الخطة أن لا يْبقى أثر قدم لعبد الله وأخته، وقَدْ قام بهذه المهمة مولى أبى بكر . فكان يمشى بالأغنام صباحًا ومساء، فى نفس الخط ليْمحُو آثار الأقْدام، وبذلك أحكم النبى الأعداد للرحلة المقدسة، وخطط لها، وقد إزداد صلابة، وقوة، ولم يتْركْها للظروف، والأحداث ولم يتواكل أو يتكاسل، وأستْعْمل جُهْده قدْر استْطاعته، وبعد ذلك توكل على الله فكان النصر من الله .

ثانيًا: إخْتيار مكان الغار:

المعروف جغرافيًا أنْ المدينة تقع شمال مكة المكرمة، ومادام هدف الرحلة ووجْهتُها هى يثرب فلابد أن يكون أختيار الغار إمَّا فى شمال مكة، أو فى الشمال الشرقى أو الشمال الغربى . . ولكنْ الرسول ﷺ لم يسْتعْمل هذه الطرق الثلاث بل إختار مكان الأبواء فى جنوب مكة على بعد خمسة كيلومترات، والطريق الموصل إليه شاق وعسير حتى إنّ النبى ﷺ لم يصل إليه إلا بعد أن دُميتْ قَدَماه الشريفة، ولمَّا خرج من الغار، لم يسْلُك الطريق المسلوك، ولم يَمْش فى الطريق المعهود، بل كان يختار أصْعب الطرق وأشَقُّها بين مرتفعات الجبال، ومَنْخَفضات الودْيان، تحت أشّعة الشمس اللافحة، وقيظ الصحراء الحامية لأنّ الرحلة على أرجح الأقْوال كانت فى شهر ربيع الأول الموافق لشهر يوليو فى هذا العام، وهو من أعظم شهور العام شدّةً وحرارة .

وصل ﷺ قباء يوم الأثنين حين إشْتَدَّ الـضـَّحَاء، وكادت الشَّمْس تعْتدل، وبقى فيها الثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وبنى بها مسْجد قباء وهو أوَّل مسجد بنى فى الأسلام، وهو المسجد الذى أشار إليه الحق تبارك وتعالى فى قوله ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(1)، وقد وَرَدَ فى فضْل هذا المسجد أيضًا أنَّ جبريل عليه السلام هو الذى أشَار للنَّبى ﷺ إلى موْضع قبلته، وقَدْ كان النبى ﷺ يحمل له ذكْريات عزيزة فى نفْسه، وقد ثَبتَ أنه كان يزُره كلَّ يوم سَبْت تارة راكبًا وتارةً ماشيًا.

الخروج إلى يثرب:

خرج ﷺ يوم الجمعة قاصدًا البلد الطَّيب «طيبة» فأدْركتْه صلاةُ الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلى فى مَسْجدها وهى أول صلاةُ جُمْعة صلاَّها رسول الله وخطب خطبة بالغة، وأراد بَنُو سَالم أنْ ينْزل عندهم وقالوا: أقم عندنا فى العَدد والعُـدَّة والمنعة، ويتَشَبثُون بزمام النَّاقة (ناقته القصواء) فيقول لهم ﷺ: «**خلُّوا سبيلها فإنَّها مأمورة**» ورسول الله تاركٌ لَهَا زمَامها وكُلَّما مرَّ بدار منْ دور الأنْصار عرضوا عليه أنْ يْنزل عندهم فيقول ﷺ قولته المَشهورة: «**دعوها فإنها مأموره**».

دخول المدينة:

وكان يوْمًا مشْهودًا فى تاريخ الدنيا يوم دخل النبى المدينة وهو راكبٌ ناقته القصْواء، وملأ بنى النجار آخذين بركابه متقلدين سيوفهم ودُرُوعهم، يُرْهبون بها أعداء الله، وخرجت المدينة كلها بشبابها، وشيبها، وصبْيانها، ونسائها، وولائدها، لتشَارك فى إسْتقْبال هذا الوافد العظيَم، وليْملئُوا عيونَهم من هذا الذى يأتيه الوحْى من السماء، والذى أصْبح ذكره على كلّ لسان وأتباعه فى كل بيت، حتَّى القواعد من النساء، والعوائق منهن لَفَوْق البيوت يتراءينه يقُلْن: أين هو؟ أين هو؟ وخرجت جَوار من بنات بنى النجار يضرْبن بالدفوف وَيقُلْن:

نحن جوار من بنى النجــــار — يا حبذا محمد من جــــار

وخرجت بنات الأنصار يضرْبن بالدفوف ويَقُلْنَ:

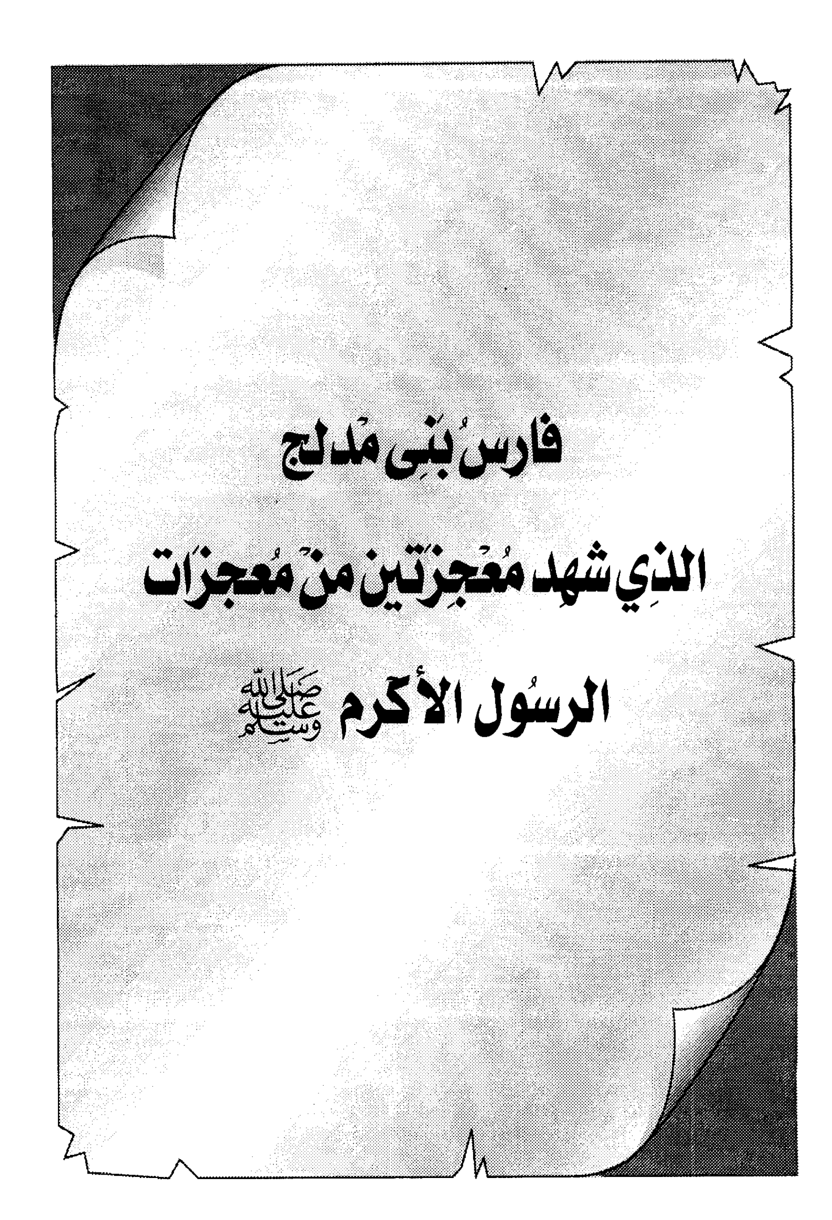
---

(1) التوبة: 108.

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وهكذا حتى وصلت الناقة إلى مكان مسجده الشريف فبركت عنده، ورسول الله ﷺ راكبٌ عليها لم ينزل، ثم قامت وسارت وحبْلها على غاربها ثم إلْتفتت خَلْفها ورجعت إلى مبركها أول مرَّة فبركت فيه، فنزل رسول الله في دار أبي أيوب الأنصاري وبقى فيها سبعة أشهر حتى بنى المسجد النبوي، وبُنيت دور أهْله، ونسائه فأنْتقل إليها وكانت الحُجَر مبْنيَّة من الطوب اللبن والطين، وكانت سُقُوفها من جذوع النخل والجريد، وكانت قريبة الفناء قصيرة البناء ينالها الرجل الفارع بيديه، وأقام ﷺ بالمدينة حتى لحق بالرفيق الأعلى، بعد أن أسَّس دولة وأقام أمة، ونقل رعاة الأبل والغنم إلى سادة الدنيا وقادة الأمم، فصلى الله على صاحب الذكرى وعلى آله وصحبه وسلم.




فارس بني مدلج
الذي شهد معجزتين من معجزات
الرسول الأكرم ﷺ

سراقة بن مالك

شهد معجزتين من معجزات رسول الله ﷺ

روي الأمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال: لَمَّا أَقْبل نَبيّ الله ﷺ إلي إلي المدينة وهو مُرَدِّفٌ أبا بكْر، وأبو بكْر شَيْخ يُعْرف، ونَبِيُّ الله شاب لا يُعْرف: قال: فيلْقي الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكْر من هذا الذي بيْنَ يديْك؟ فيقول أبو بكر: هذا الرجل يهْديني السَّبيل، فيحسبُ الحاسب أنَّه إنَّما يْعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير، فَالْتَفَتَ أبو بكْر فإذا هو بفَارس قدَ لحقَهُم، فقال: يا رسول الله: هذا فارسٌ قَدْ لحق بنا، فَالتَفتَ نبيُّ الله ﷺ فَقال: «**اللهم إصْرعْه**» فَصَرَعَهُ الفرس، ثم قامَتْ تُحَمْحمْ، فقال سراقة: يا نبي الله مُرْني بما شئت . .

فقال ﷺ: «**قفْ مكانك لا تَتْركَنَّ أحداً يلْحُق بنا**» فكان أوَّلّ النهار جاهدًا علي نبي الله، وكان آخر النَّهار مسلمة له» أ هـ.

سبحان مُقَلِّب القلوب، سُبحان مْن يَغيّر ولا يَتغيَّر، سبحان من يبدِّلُ ولا يتبدَّل إنْ قُلوب العباد بين أصْبعين من أصابع الرحمن يُقلبُها كيف يشَاء، كان الرجل أوَّلَ النَّهار جاهدًا علي رسول الله، وكان آخر النهار عينًا له، كان أولُ النَّهار طالبًا لرسولَ الله وكان آخر النهار حارسًا مُدافعًا عنه .

يا خالق الخلق يا منْ لا شريك لك، سبحانك!!!!

ما في الوُجُود سِوَاكَ رب يُعْبـد	**كلاً ولا مَوْلي هُنـاك فيقْصــدُ**
يا من له عَنت الوجُوُهُ بأسْرهـا	**رهبًا وكُل الكائـنات تُوحِّــدُ**
أنت إلاله الواحـد الحـيُّ الذي	**كل القلوب له تُقــرُ وتَشْهــدُ**

لَمَّا كان يوم الهجرة، ونجا النبيُّ وصاحبه منْ قبْضَة المشْركين وأفْلتَا منْ بَيْن أنْيابهم، أعْلنت قُريش عنْ مُكَافأة كبْري لمنْ يأت بهما أو بأحدهما حيًا كان أوَ ميْتًا، وتَطلَّعتْ كلُ الأنْظار لهذه المكافأة السَّخيَّة، وانطلق فُرْسَان قريش في الصحراء كالجَراد المنْتَشر طَمعًا في هذه الغنيمة، وكل واحد يَحْسبُ حسابات الفوز بها، وسمع سُراقةَ بن مالك بهذا النبأ طاشَ عقْله، وجُنّ جُنُونُهَ مائة من الأبل؟ إنه لشيء

عُجَاب!!!، فلابُدَّ أن يجوبَ الصحراء شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا للبحث عنهما، لابُدَّ أنْ يُصْبح من أغنياء مكة، ومن أثْريائهَا العظام، وأخذ يُمنِّي نَفْسه بخَوارق الأشياء وظلَّتْ خواطر الغني والثَّروةَ تُراوِدُ ذهن سراقة، ومَرْأى المائة ناقة يَدْفَعُه إلي الدخول في مُغَامرة مع النبيِّ وصَاحبه، وَأَرَادَ أنْ يُنْجز هذا العمل وحْده، ولَمَّا وصل إليهما، فوجيء بمَا لَمْ يخْطر له عليَ بال، ولْنترُكُه يحْكمي ما حدث...

قال: بينما أنا جالس في نَادي قَوْمي، إذْ أقْبل رجُلٌ منَّا حتي وقَفَ علينا فقال: والله لقد رأيتُ ثلاثة مَرُّوا عليَّ آنفًا، إني لأراهم محمدًا وأصْحابه. قال: فأوْمأت إليه بعَيْني أن أسْكُت، ثم قلت: إنّما هُمْ بنوا فلان يبْتغُون ضالة لهم، قال: لعله.. ثم سكت قال: ثم مكثْتُ قليلاً ثم قُمت فدخلت بيْتي، ثم أمرت بفرسي فقيد لي، وأمرت بسلاحي فأخْرج لي، ثم أخْرجْت قداحي فأسْتَقْسَمْتُ بهَا ثلاث مرات فيخرج السهم الذي أكْره لا يضره قال: وكنْت أرجو أنْ أردَّ محمدًا علي قريش فآخذ المائة، وأحَقِّقُ لهم ما عجزوا عنْ تحقيقه طُوالَ ثلاثة عشر عاما سفّه فيها أحْلامهم، وعاب آلهتهم دون أن يفْعلوا معه شيئًا. (قُلتُ) فتقلَّد سيْفه، وأمتطي جواده، ونظر بخياله إلي الأفق البعيد إذا عَثَر عَلَي محمد وصاحبه...

وإنْطلق به الجواد ينْهبُ الأرض نهْبا، وكأنَّه كان يشاركه الأحلام، ويُقَاسمُه الآمال، ويُلْبسُهُ تاج الفخار أمام قريش، وفعْلاً وصل إلي رسول الله ﷺ، وإقْتَرَبَ حتي سمع قراءة رسول الله وكان ماشيًا لا يَلْتفت أمَّا أبو بكر فكان لخوْفه علي رسول الله كثير الألتفات، فلما رآه أبو بكَر قال: يَا رسول الله. هذا فارسٌ قد لحق بنا، فالتفَت رسول الله فَرآه، فقال: «**اللهم إصرعْه**» وإسْتقبلت السماء هذه الدَّعوات الطاهرة من الأنفاس الطاهرة، وتفتَّحت لها الأبواب فساخَتْ قوائم الفرس في الأرض، وأنكب سُراقة علي وجهه، وما عهد ذلك قَبلاً ثم إنْتَزَع الفرس يديه من الأرض وتبعهما غُبار كثيرٌ كالأعصار حدث هذا مرَّة بَعْد مَرَّة فقال سراقة في نفْسه: لابدَّ أنَّ محمداً علي حقّ، وأن القوم علي باطل، وأنَّ ما حدث ليس من فعْل محمد إنَّها قُوةٌ عُليا، هنا تغيَّرت الأمور وتبدَّلت، طَاشَت الأحلام وتَطايرَت فوقف الفارس العظيم، أمام عظمة الحبيب ﷺ ثم قال: يا رسول الله مُرْني بما شئْت!!!!

سبحان الله، سبحانُ مقلّب القلوب!!! سبحان من يقول للشيء كُنْ فيكون وصدق رسول الله ﷺ فهو القائل: «**إن القلوب بين أصْبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» مُرْني بما شئت يا رسول الله. ماذا جري؟ ما لذي منع الفارس الهُمام من قتل رسول الله وصاحبه لينال ما كان يتمنَّاه؟ وليْس بَيْنَه وبيْنهما إلاَّ خُطوات؟ ما لذي حال بيْنَه وبيْنَهُما وليس بالصحراء غيرهم؟ مالذي صرع الفرس وألْقي بفارسه علي وجْهه المرَّة تلْوَ المرَّة؟ لابُدَّ أنَّ هناك قُوَّةً عُليا حالت بينه وبين ما أراد، أوْ لعلها العناية قدْ رسَمَتْ لسراقة أن يكون له شأن في الأسلام. (مرْني بما شئت يا رسول الله) فقال النبي ﷺ: «**قفْ مكَانَك لا تَتْركَنَّ أحداً يلحق بنا**» كُن مدافعًا عنَّا لا دَالاًّ علينا، كنْ عَوْنًا لنا لا عيْنًا علينا، كنْ حارسًا لنا لا رقيبًا علينا، ويقف سراقه ويردُّ كُل مَنْ لاَ قَاه قال سراقة: فقُلْت يا رسول الله أكْتب لي كتابًا يكون آية بيني وبيْنَك، قال ﷺ: «**أكْتب له يا أبَا بكْر**» فكتب لي كتابًا في رقْة أو في عظْم ثم ألقاه إليَّ فأخذته فَجعلْته في كنانتي ثم رجعت إلي مكة بعد أن مَضَي رسول الله...

وبَرَّ سراقة بوعده للرسول وأخذ يَردُّ كل منْ يقابله، ويَنفي أنَّ الرسول ﷺ سار منْ هذا الطريق، ولما تَبين له أن الرسول ﷺ وصل إلي المدينة جعل سراقة يقُصُ علي الناس ما رأي، وما شاهده من أمْر النبي ﷺ وما كان منْ أمْر جواده حتي ملأت هذه القصَّة كل الأرجاء، ولما وصل إلي مكَّة وجد أبا الحكم بن هشام في إنتظاره، مُكَشِّرًا عن أنيابه، يَتميَّزُ من الغيظ فيؤَنبه، ويعاتبه. كيف تركْتهُما؟ كيف أفلتا منْ يديك؟ كيف، وكيف..؟؟؟

فقال سراقة:

أبَا حكَمٍ والله لَوْ كُنْتَ شاهــداً	**لأمْرِ جوادي إذْ تسوخُ قَوائمــه**
علمتَ ولمْ تَشكك بأنَّ محمــداً	**رسول ببُرْهَانٍ فَمن ذَا يقاومُــه**
عليك بكفِّ القوم عنْه فأنَّنـــي	**أري أمْره يومًا ستَبْدوا مَعَالمــهُ**
بأمْرٍ يودُّ الـناس فيه بأسْرهـــم	**بأنَّ جميع النــاس طراً يُسَالمـه**

وخَشِيَ رؤسَاء قريش أنْ يكون ما حدث لسراقة وفرسه سَبَبًا في إسلام الكثير

وبخاصة أنَّ سراقة كان أمير بني مدْلج، وكان معروفًا بالصدق والأمانة فكتب أبو جهل رسالة إلي بني مدلج يحرِّضُهم فيها علي سراقة ويتَّهمه بالسَّفَاهة. قال:

بني مدلج إني أخاف سَفِيهكُم سراقة مستَغْو لنصـر محمـد

عليكُم به ألا يُفرِقَ جمْعكـم فيصْبح شتَّي بعد عزٍ وسؤددِ

وممَّا ذكرنا يتَبيَّن أن الإسلام دخل قلب سراقة ولكنه لم يُعْلن إسلامه إلا يوم الفتَح.



يوم وفاء وبر

دارت الأيام دورتها، وسرعان ما تدور الأيام وسرعان ما تنقضي، ليل يعقبه نهار ونهار يعقبه ليل، وشمس تجري لمستقرها، وقمر يدور في فلكها، ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**﴾(1)

ذهبت أيام بخيرها وشرها، وأقبلت أخري بحلوها ومرها، مضت الهجرة، وجاء فتح مكة ودخلها رسول الله فاتحًا منتصرًا، وتم الفتح صبيحة العشرين من رمضان سنة ثمان من الهجرة، وألقي أعداء الله السلاح، ومدوا أعناقهم ليحكم فيها رسول الله بمَا يشاء، فهناك عشرة آلاف سيف تتوهج في أيدي المسلمين فوق ربا مكة.

وقف رسول الله علي باب الكعبة، وقد إمتلأت الساحة بالناس، وتكاثروا حول البيت الحرام، ﴿**خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي**﴾(2): ينظرون نظر الدى يغشي عليه من الموت، فماذا قال لهم؟ وماذا يقول؟ وما الذي سيفعله بهم؟؟؟

قال القائد المنتصر: «**إذهبوا فأنتم الطلقاء**» الطلقاء وهم الذين بقروا بطن عمه حمزة ولاكوا كبده!! الطلقاء وهم الذين لبثوا سنين عددًا يتفننون في إنزال العذاب به، وبمن آمن به!! الطلقاء وهم الذين فعلوا وفعلوا حتي استهجن الفعل ما فعلوا!!!

يالها من عظمة إنسانية سمت بإنسانية الأنسان، ودمدمت علي معاول الذل والاستبداد، وصدق من سماك الرءوف الرحيم يا محمد ﷺ.

وفي اليوم الخامس من شوال من نفس العام ذهب رسول الله بجيشه، ومعه مسلمة الفتح، إلي هوازن ذات البأس والقوة، واغتر المسلمون بكثرتهم، ولكنها لم تغن عنهم شيئا، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وكان درسًا عمليًا في الثقة بالله والاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، وأمد الله المؤمنين بجنده، وأنزل السكينة علي رسوله، وما هي إلا ساعة حتي إنهزم المشركون، ودارت عليهم الدائرة، وأفاء

---

(1) يسن: 40.
(2) الشوري: 5.

الله علي رسوله والمؤمنين غَنَائم كثيرة قدَّرها العلماء بنَحْو أرْبعة وعشْرين ألف بعير وأكْثر من أرْبعين ألف شاة، وَأرْبعة آلاف أوقية من الفضَّة، وأمَرَ رسول الله أنْ تُساق هذه الغَنائم إلي الجعرانة[1] فتُحبسْ هناك رَيْثَما تُقسَّم .... وفي هذا الجمع الحاشد من المهاجرين والأنصار، ومسلمة الفتح، والمؤلفة قلوبهم وقَفَ رسول الله يُقسِّم الغنائم، شَاكرًا لله أنْعُمه علي هذا المال الوفير، والسلطان العظيم والأبْطال المغاوير، الذين هم أطْوعُ إليه من البنَان، وبينما هو يقسم إذ بأعْرابي يخْترقُ الصُّفُوف، ويْنظُر إليه الناس نظْرة استغراب، وتُوجَّه إليه صيْحاتُ الأسْتنكَار منْ هذا؟ ما باله؟ ماذا يريد؟ ولكنَّ الرجل لا يبالي بالنظرات، ولا يعبأ بالاسْتخْفاف ولا يأبه بأحد، فالفرصة التي يريدها قد سَنحتْ، والأمل الذي يَنْتظره من سنين قَدْ حان أجله، إنَّ معه كتابًا من هذا النبيِّ، وقد حان موْعده، ولا يصحُّ أنْ يُؤجَّل حتي إذا وصل إلي رسول الله ﷺ، رفع بيده الكتاب، وصاح بأعْلي صوته: هذا كتابُك يا رسول الله، فينْظر إليه النبي بابْتسَامة الشُكْر والعرفان، ويقول: «**نعم يا سراقة هذا يوم وفاء وبر**».

بعد ثمانية أعوام وسراقة يتابع أخْبار الرسول، والرسول لم ينْس سراقة، إنه صاحب الوفاء، إنه قبل أنْ يكون رسولاً فهو عربي، والوفاء يُزَاملُ العربيّ، ويغُوصُ به ومَعَه والرسول هو مُعلِّم الإنسانية كلِّها معْني الوفاء، قال لَه: «**إقْتربْ يا سراقة**» فاقْترب وأعْلن إسْلامَه، ذلك الإسلام الذي كان يحدثُ به نفْسه يوم أنْ سَاختْ قوائم فرسه في الأرض، ولكنَّه لم يسْتطع أن يُعْلن إسْلامَه ....

كان يكْفي سراقة أن يْعفُوَ عنه رسول الله، وينْجُو من القتْل، ولكنْ مثَاليةُ الرسول لا تقف عند هذا الحد، فلابُدَّ أنْ يكُون مع العفْو إحْسان، وَمن يُحْسنْ إذا لم يُحْسن الرسول صاحبُ النفْس التَّوَّاقةُ إلي الكمال، النَّزَّاعةُ إلي الفضْل والإحْسَان لقد ضَمَّ إلي وفائه برًا، فعفَي عن سراقة، وأمَّنه، وأعْطاه قسمه في الغنائم ثم أعْطاه وعْدًا آخَر تَقرُّ به عيْنُه، فأخبره بأنَّ الله سيَفْتح عليه بلاد فارس وأنْ المسلمين سَيغْنمون ملك كسْري فيقول له: «**كيف بك يا سراقة إذا لَبِسْتَ سواري كسْري؟**» ويعْجبُ سراقة، وتسْرحْ خواطره بعيدًا إلي مملكة الفرْس ويسْألُ نفْسه .....

---

(1) الجعرانة بكسر الجيم والعين وتشديد الراء موضع بين الطائف ومكة وهو إليها أقرب.

هل يُمْكنُ لبدَوٍ مثْلي أن يلْبس سواري كسري؟ ثم يردُّ خواطره سريعًا بأنَّ هذه نبوءة رسول الله فلابُدَّ أن تكون حَقًا .

المعجزة الثانية:

وتمرُّ الأيام والأعوام، ويلْحقُ الرسول الكريم بالرفيق الأعلي، ولكن بشارته لا تزال عالقة بذهن سراقة، ولكن كيف تتحقَّق هذه النُبوءة؟؟

وتنْقضي أيام خلافة الصديق، وتُفْتح الفتوح علي يد الفاروق، ومنها فارس، وتُحْمل إليه كُنُوز كسْري، وبها تاجُه، وسواره، ومنطقتُه، وتحَّققتْ النبُوءَة

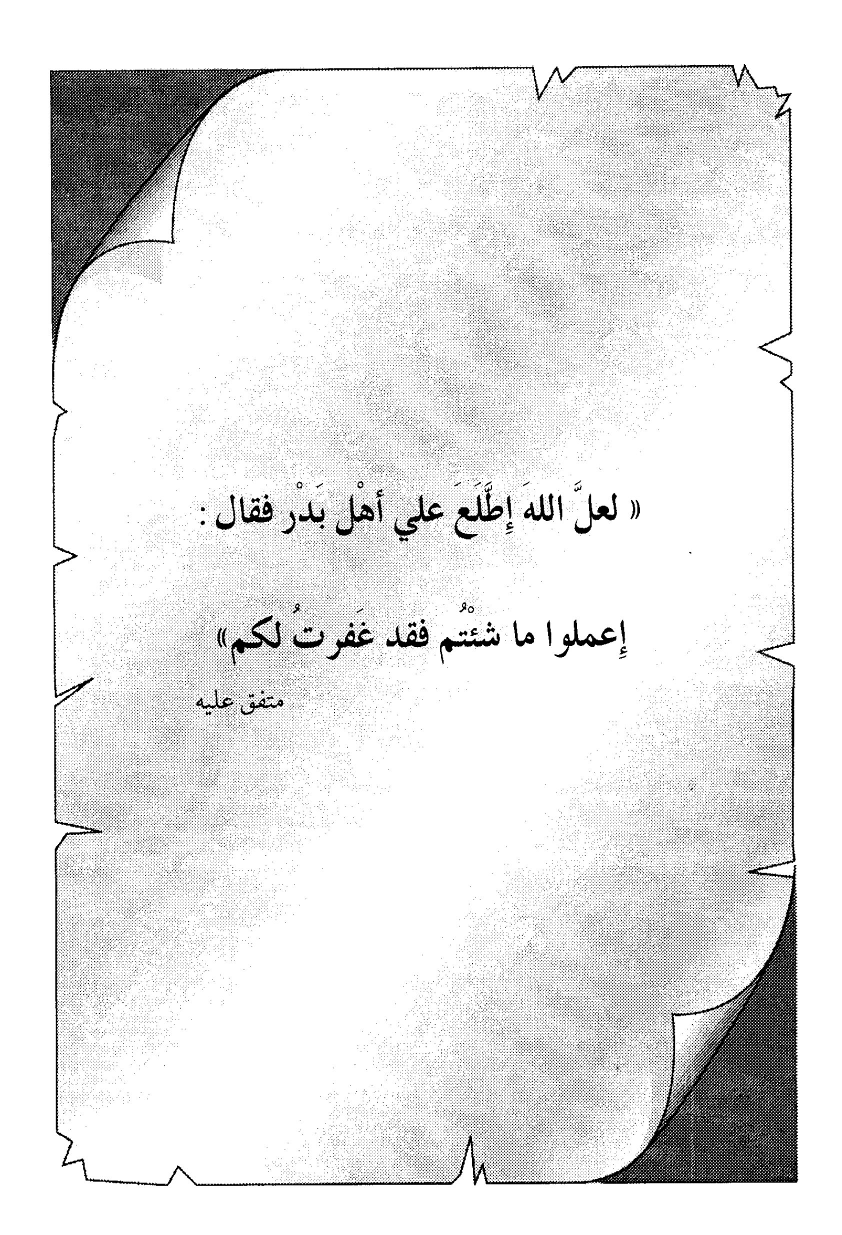
أمَّا عمر فلا ينْسَي وعْد رسول الله لسراقة، ولابُدَّ أنْ يُنْجز هذا الوعد، وإنْ كان كلامًا لم يُسَجَّل في سجلات رسمية، أو يُدوَّن في مضَابط حكومية، فالعربي في الوفاء لا يُشقُّ له غُبارَ، إذا وَعَد لا يُخْلف، وإذا قال لا يكْذب، حتي ولَوْ ضَاعت في ذلك رقاب، أو أريقتْ فيه دماء . .

قال القائل :

إذا قُلتَ في شيء نَعَـــمْ فأتمـــهُ	**فَأنّ نَعَمْ دْينٌ علي الحُـرِّ واجِـــبُ**
وإلا فَقُل : لا : تَسْترح وَتُـرح بها	**لئلا يقولَ الناس إنك كـــــاذبُ**

وما خبر السَّموءل في الوفاء عنَّا ببعيد . هذا بالنسْبة للعربي . . فما بالك إذا كان العربي مسلمًا، وَيَعي قَوْل الرسول ﷺ: « **لا إيمَانَ لمنْ لا أمانةَ له، ولا دين لمنْ لا عهْد له ....**» .

دعا عمرُ سراقة، وخلاهُ حليةَ كسْري، وقال له : «إرفع يديك» . فرفَعُهما وكانَ أزب الذراعين (شعرهما كثيف) قال : قُلْ الله أكبر . قال سراقة : الله أكبر . قال : قل الحمد لله . قال : الحمد لله . قال عمر : قل الحمد الله الذي سَلَبهما كسْري الذي كان يزْعُم أنه ربُ الناس ويُلْبسْهُما أعْرابيًا من بني مدْلج، وها هي المعجزة الثانية التي رآها سراقةُ رآي عيْن، ويزدادُ إيمانا، ويقينًا بهذا النبي الذي لا يْنطق عن الهوي إن هو إلا وحْي يوحي . . طبْت حيًا وميتًا يا رسول الله، رفع الله لك ذكرك، وأعلي شأنك وقدرك، وبلَّغك المقام المحمود كما وعدك، وصلي الله عليك في الأولين، والآخرين، وفي الملأ الأعلي إلي يوم الدين


« لعلَّ اللهَ إطَّلَعَ علي أهْل بَدْر فقال :
إعملوا ما شئْتُم فقد غَفرتُ لكم»
متفق عليه

يوم بدر

يومُ بدْر يومٌ له تاريخ، يومٌ منْ أعْظم أيَّام الله، فيه نصر الله القلَّة المسْتضْعفَة على الكثْرة الظالمة الباغية، يوم 17 رمضان يومٌ مشْهود فيه نَزَلتْ الملائكة إلي أرْض المعركة لتقاتل مع المسلمين، أوْ لتُثَبِّتَهم على كلا الرأيين، وفيه تنزَّلت الآيات ونزل جبريل، وفيه تَم الفتح والنصر للمَسلمين، ولذلك سُمِّيَ بيوم الفُرقَان قال تعالي: **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[1] وقد سَمَّي الله القرآن بالفرقان قال تعالي: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ..﴾**[2] فالقرآن ويوم بدر إشْتركا في صفة من الصفات، ونال يوم بدر هذا الشَّرف لما حدث فيه من أحْداث عظام، وأهمُّ حدث قول رسول الله ﷺ: **«لعلَّ الله إطَّلع علي أهْل بدْر فقال: إعْملوا ما شئْتم فقد غفرت لكم»**[3].

معركة بدر:

وقعت أحداث هذه المعركة يوم الأربعاء 8 رمضان سنة 2 هـ، وإنْتهت يوم 17 منه وبالرغم منْ أنها كانت معركة محلية صغيرة محدودة، وبأسْلحة بدائية إلا أنَّها تخطت في نتائجها، وآثارها كل الأرقام القياسية لكل الحروب والمعارك الدولية والمحلية، فقد غَيرتْ وجْه التاريخ، وقلبت الموازين، ونَقَلت الأمَّة الأمية نَقْلةً قَوِيَّةً من القاع إلي القمة، فبعد أنْ كانوا رعاةً للابل والغنم أصبحوا قادة العالم وسادة الأمم وبلا منازع ولا شريك، ووقف العالم مشْدُوهًا أمام هذه القُوة الإيمانية الخارقة التي كانت من عجائب الدهر، ومازالت هذه المعركة إلي اليوم نأخذ منها الدروس، والعبر وتعطينا القوة الأيمانية في الدفاع عن الحق، والثبات على المبدأ والوقوف في وجه الظالمين.

وإن لنا في بدر موافف وعبر:

الموقف الأول ولنا فيه عِبرة: إن ربك فعَّالٌ لما يُريد: أراد للمسلمينُ النَّصْر

(1) سورة الأنفال: 41.
(2) سورة الفرقان: 1.
(3) البخاري.

فأمدَّهم بجنود النصر ، ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[1]، ويْبدأ ذلك منْ تحديد موعد ومكان المعركة .

من المعروف أن المسلمين والمشركين إلتَقَيَا علي قَدَر دون تحديد موعد، أو إتفاق هدف ، فهدف المسلمين كان العير قال تعالى : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ . . .﴾[2]، والشَّوْكة هي الحرب . وغير ذات الشوكة هى العير، وهدف المُشركين أولاً كان حماية العير ثم إنقلب إلي إسْتعْراض للقوة، والمَنَعَة وتخويف المسلمين ولو تواعدوا علي الحرب لأختلفوا ولكنْ الله هو الذي حدَّد الموعد، وهو الذي إختار المكان قال تعالي : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾[3]، ولأجل أن تتم المعركة كان النبي النبي يري في منامه أن المشركين قلَّة قال تعالي : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾[4]، ولصدْق الايمان، وثبات العقيدة والمبدأ، وإخلاصهم لله ولرسوله، أنزل عليهم السكينة، وغشَّاهم النعاس أمَنَةً منه، وأنزل الماء من السماء ليثبت الأقدام، ويذهب رجز الشيطان وأستجاب لهم الدعاء. قال تعالي : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[5]، وقال : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا . . .﴾[6]، وقال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ . . .﴾[7]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ . .﴾[8] .

الموقف الثاني؛ ولنا فيه عبرة.. التواضع:

من الثابت تاريخيا أن المسلمين ما خرجوا إلا لاسْترْداد بعض ما تركوه بمكة

---

(1) الآية 8 الأنفال .
(2) من الأية 7 الأنفال .
(3) من الآية 42 الأنفال .
(4) الآية 43 الأنفال .
(5) الآية 9 الأنفال .
(6) من الآية 12 الأنفال .
(7) من الآية 17 الأنفال .
(8) من الآية 17 الأنفال .

وكان عددهم **314** ثلاثمائة واربعة عشر رجلاً فماذا كانت المركبات يومئذ كانت عبارة عن **70** جملاً علي هذا العدد ، فماذا يفعل رسول الله أشار عليهم بأن كل ثلاثة يتعاقبون بعيرًا فهل طبّق الرسول هذا القانونَ علي نفْسه؟ كان معه إثنان من الصحابة هما : علي بن أبي طالب، ومَرْثَدُ بنُ أبي مرثد الغَنَويّ كان كل واحد يركب مرحلة ويمشي، وكان ﷺ يركب مرحلةً ويمشي قالَ له صاحباه : إرْكب أنت يا رسول الله ونمْشي نحن أنت القائد . أنت الرسول . أنت الذي تتلقي وحْى السماء

أنت الذي ناداك ربــك مرحبًــا	**ولقد دعــاك لقُربــه وصباكــا**
أنت الذي من نورك البدر إكْتسي	**والشمس مشـرقةٌ بنـور بهاكـا**
أنت الذي لما رُفعْت إلي الســما	**بك قد سَمَتْ وَزَيَنتْ لسراكـا**

إرْكب يا حبيب الله فقال لهما : «**ما أنْتُما بأقوي مني ولا أنا بأغْني عن الأجر منْكما**»(1) .

صلي الله عليه وسلم وتلك صورة من صور السُّمُوَ النَّفْسيّ. قبْل الهجوم العام أخذ النبي ﷺ يعدِّل الصفوف بقضيب في يده، فَمرَّ بسَواد بن غزيَّة وهو خارج عن الصف فطعن في بطنه بالقضيب وقال: «**إسْتقم يا سواد**» فقال: يا رسول الله أوْجعْتني، وقد بعثك الله بالحق والعدْل فأقدْني أن مكنيّ من نفسك حتي أقْتص، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه راضيًا ،وَقال : «**إسْتقد يا سواد**» فأعتنقه سواد وقبَّل بطنه، فقال النبي : «**وما حملك علي هذا يا سواد**»؟ قال : يا رسول الله حضر ما تري - يعني موطن الشهادة فأردت أنْ يكون آخر العهد بك أنْ يمسَّ جلْدي جلدك، فدعا له الرسول بخير . وهذه صورة غنيَّة عن التعليق فقد بلغ السّمُو النَّفْسي والخلقي بصاحب الرسالة ﷺ مبْلغه فهو علي جلالته ومكانته يقْبل عن طيب خاطر أن يُقصَّ أحد المسلمين من نفسه إنها غاية ما يطمع من عدْل في هذه الحياة .

الموقف الثالث ولنا فيه عبرة: تطبيتق مبدأ الشوري:

الأسلام يكره الدكتاتورية، ويعلن الحرب علي حكم الفرد، ويعلن أيضًا أن الشوري أساس الحكم، وكل حكم لا يقوم علي الشوري فهو غير شرْعي قال

---

(1) رواه النسائي .

تعالي: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[1]، وقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2]، وعلي المجتمع أنْ يُفْرز أهل الحل والعقد بالأنتخاب الحُر المباشر بلا ضغط، ولا إكراه، ودون تَزْوير أوْ دَسّ صناديق، وأضرب لذلك مثلين فقط:

الأول: لَمّا جاءت الأخبار لرسول الله بأفلات العير، وأنَّ قريشًا خرجت بقضِّها وقَضيضهَا، هنا تغير الموقف وبرزت فكرة القتال خاصة وأنَّ قريشا قد ألقتْ بأفْلاذ أكْبادَهاَ فلم يصْدر النبي ﷺ قرار الحرب، بل جمع كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وإسْتشارهم في أمْر القتال..

فتَكَلَّم أبو بكر، وعمر، والمقداد وأثْلجُوا صدر رسول الله بالموافقة ثم قال سيد الأنصار سعد بن معاذ: يا رسول الله آمنَّا بك وصدقْناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق وأعطيناك علي ذلك عهودنا ومواثيقنا فأمْض لما أردْت فنحن معك. صلْ حبال منْ شئت وأقْطع حبال منْ شئت، وسالم منْ شئت وحارب منْ شئت، وخُذْ من أموالنا ما شئت ودع منها ما شئت فوالذي بعثك بالحق إنَّ الذي تأخذه منْ أموالنا أحب إلينا مما تتْركه لنا. قمة الأيمان وروعة اليقين، وتَقْديسُ رسول الله قَداسةً لا تُخلُ بدين ولا عقيدة: إنها قلوب فاض إيمانها، وتلألأت أنوارها، وأزداد بهاؤها.

كان الواحد منهم إذا خرج لعمله تقول زوجته وهو خارج: يا أبا فلان «إتق الله في عملك، ولا ترزقْنا منْ حرام!!!» وإذا رجع في المساء تقول له: يا أبا فلان ماذا نزل علي رسول الله؟. كانت أمَّةَ جهاد ولم تكنْ أمَّةَ أغان ومسْرحيات. أمَّةً عمل وليْست أمة أقوال وشعارات جوفاء.

الثاني: لما نزل ﷺ بأدني ماء بدر قال له الحباب بن المنذر وكان - معْروفًا بجوْدة الرأي: يا رسول الله ارأيت هذا المنزل أمنْزلاً أنْزلكَهُ الله ليس لنا أنْ نتقدم أو نتأخر عنْه أمْ هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال ﷺ: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**» فأشار الحباب بمكان آخر أفْضل فقال له النبي: «**لقد أشَرْتَ بالرأي**» وقد دلَّلَ النبي بهذا علي تأصيل رُوح الشُّوري وأنه ﷺ علي جلالة قدره وَوُفُور عقْله لا يسْتبد برأي، ولا يأنْفَ من الرجوع إلي الحق كما هو شأن الكثير من القادة والسياسيين

---

(1) آل عمران: **159**.

(2) الشورى: **38**.

يَا رافعًا رَايةَ الشّوري وحَارسَـها	جَزاكَ ربُّك خيرًا عـن مُحبيـها
رأيُ الجماعةِ لا تشْقي البـلادُ به	رَغْم الخلاف وَرأي الفرد يشْقيها

الموقف الرابع: ولنا فيه عبرة:

يوم الجمعة 8 رمضان إصْطفَّ ألمسلمون خلْف رسول الله لصلاة الفجر، وكبّر ألنبي وكبَّر ألمسلمون خلفه، ودوَّي هذا ألنداء في ألصحراء ألتي لم تشْهد له مثلاً من قبل.

وفي الصباح وعند شروق الشمس أعْلن النبي عن تشْكيل قيادات الجيش، لواء المهاجرين بقيادة عليّ بن أبي طالب، لواء الأنصار بقيادة سعد بن معاذ اللواء العام بقيادة مصعب بن عمير مؤخرة الجيش بقيادة قيس بن أبي صَعْصَعَه. : تشكيل رائع في حرب الصحراء لم يحدث منْ قبل. بدأت المعركة بالمبارزة ثم الهجوم العام، وأسْفرت عن نصْر ساحق للمسلمين وما أن غربت شمس ذلك اليوم حتّي كان النبي ﷺ يقف أمام جثث المشركين ونادي عليهم بأسمائهم، **«يا عُتْبةَ بن ربيعه، يا شيبةَ بن ربيعة، يا أبا جهل بئس عشيرة النبي كنتم لنبيِّكم، لقد وجدْت ما وعدني ربى حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟»** قال الصحابة: يا رسول الله أتنادي علي قوْم قد جيَّفُوا؟ فقال ﷺ: **«والله ما أنتم بأسْمع لما أقول منْهم، إنَّهم يسْمعون ولكنْ لا ينْطقون..»**.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله، سرْ علي بركة الله إلي المدينة تُرفْرفُ عليك هذه الآية الكريمة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**(1).

سبحانك ربّ العرش والكرسي والنعم، سبحان رب النون واللوح والقلم، سبحانك

ما في الوجود سواك ربُ يعبدُ	كلا ولا موْلي هناك فيقْصـدُ
يا منْ له عَنت الوجُوهُ بأسْرها	رَهبًا وكل الكائنات توَحِّـدُ
أنْت الآله الحـق الـذي	كل القلوب له تُـقرُ وتشْهـدُ

علي هامش بدر:

كان منْ أسْري المشركين في بدر: وهب بن عمير الجمْحي وكان أبوه شيطانًا من شياطين الأنس، جلس يومًا بعد الحرب مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب بدر.

---
(1) سورة محمد: 7.

فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير. فقال عمير: والله لولا دْينٌ عليَّ لَيْس عنْدي قضَاؤه، وعيال أخْشي عليهم الضَّيعة بعدي لركبْتُ إلي محمد فأقْتله فأنَّ إبني أسير عنده فقال له صفوان: عليَّ دينُك أنا أقْضيه عنْك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا. فقال له عمير: فأكْتُم عليَّ شأني وشأنك. قال: سأفْعل. ثم جهَّز عمير سْيفه وشحذه بالسُّم وإنطلق حتي قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدَّثُون عن يوم بدر إذْ نظر إلي عمير وقَدْ أنَاخَ بعيرَه علي باب المسجد متوشِّحًا سيْفه. فقال: هذا عدوُ الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشَرّ، وهو الذي حرَّش بيْننا وحزرنا للقوم يوم بدر ثم دخل علي رسول الله فأخبره فقال له: «**أدخله عليَّ**» فأقبل إليه عمر فأخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبَّبَه بها وقال لمن كان معه من الأنصار: أدخلوا علي رسول الله ﷺ، فأجلسوا عنده وإحذروا هذا الخبيث فإنه غير مأمون ثم دخل به علي رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «**أرسله يا عمر أدْنُ يا عمير**» فدنا ثم قال: أنْعم صباحًا. فقال ﷺ: «**قد أكرمنا الله بتحية خير منْ تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة**» ثم قال: «**ما جاء بك يا عمير؟**» قال: جئت لهذا الأسير عندكم. قال: «**فما بال السيف في عنقك**»؟ قال: قَبَّحها الله منْ سيوف وهل أغْنت عنا شيئا؟ قال: «**أصدقني. ما الذي جئت له**»؟ قال: ما جئت إلا لذلك. قال: «**بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرْتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت: لولا دينْ عليَّ، وعيال عندي لخرجْت حتَّي أقتل محمداً، فتحمَّلك صفوان بن أمية بدينك وعيالك علي أن تقْتلني له والله حائل بيْنك وبين ذلك**». فقال عمير: أشْهد أنك رسول الله قد كُنَّا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينَا به منْ خبر السماء، وما ينْزل عليك من الوحي، وهذا أمْرٌ لم يحْضُره إلا أنا وصفْوان فوالله إني لأعْلم مَا أتَاكَ به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للأسلام، وساقني هذا المساق. ثم شهد شهادة الحق.. فقال رسول الله ﷺ: «**فقِّهوا أخاكم في دينه وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره**» فَفَعلُوا. وكان صفوان يقول: أبْشرُوا بوقْعة تأتْيكم الآن في أيَّام تُنْسيكم وقْة بَدْر ويخْرج كل يوم يسْأل الركّبان عن الأخْبار حتي قدم راكب فأخبرهُ بأسْلام عمير فحلف أن لا يُكلِّمه أبدًا ولا ينْفعه بنَفْع أبدًا..

وهكذا خرج عمير كافراً وعاد مسلمًا. خرج جاهدًا علي قتْل رسول الله وعاد مدافعًا عن رسول الله!!! وسبحان من يُغيِّر ولا يتَغيَّر.

وقفات مع الذكريات

بإيجاز شديد، تحدَّثْت عنْ ذكْري مولد الهادي البشير ﷺ، ثُم عَرَّجْتُ علي أقْباس من الهجرة وأخيرًا وقفْت في معالم بدْر، وهناك ذكْريات إسلامية كثيرة، وأحداثٌ هامةومثيرة ولكنِّي إكْتفيْتُ بهذا القدْر . . .

هذه الذِّكريات، تمرُّ علينا كل عام، بجلالها وجَمَالها، ببَهَائها وصفائها، بإشْراقها وأنْوارها وتذكِّرنا بما كان لأمْجادنَا المغاوير، منْ قوَّة لا تُقْهر، وعزَّة لا تُغْلب، وسلطان لا يقاوم وإيمان عَجيب فريد لَوْ لَمْ يُقصُّه التاريخ الثَّبْت لقلنا إنَه من الخرافات والأسَاطير.

تذكرنا هذه الذكريات: بالصَّفاء الروحي، والإيمان القلبي، والسُّمو النْفسيّ، والإيخَاء الإيماني، والحبّ الذي تجرَّد من النفاق والرياء، الخالي منَ الغش والخداع، ويُحْكي كالأسَاطير وما هو بالأساطير.

هل أتاك نبأ الصحابي الجليل (ثوبان) موْلي رسول الله ﷺ: دخل يومًا علي رسول الله وقد تغَّير لونه وأصْفَرّ، وكسا الحزن وجهه وأغْبَرّ، فقال له النبي ﷺ: **«ما بك يا ثوبان؟»** قال: والله يا رسول الله ما بي من وجع ولا ألم، غير أني إذا لَمْ أرَكَ إشْتقْتُ إليك حتي ألْقاك، أحبُّك أشدَّ من حبي لنفْسي، فذكرْتُ الآخرة، وستكون في الرفيق الأعلي وأنا لا أدري ما يُفْعل بي، َففكَّرتُ وفكَّرت حتي ضاق صدري، واشْتدَّ حزني، وتغيَّر حالي إلي ما تري!!! فنزلت هذه الآية: **﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾** [(1)].

تذكرنا هذه الذكريات: بعظمة الرجال الشاهقين الذين التفُّوا حول رسول الله ﷺ وهم يروْنه أعْزل من المال ولاسلاح، أعْزل من الأطيان والعقارات، أعزل من الجَاه والسُّلطان ويْنزل عليه الأذي من القريب والبعيد، ويطارده الشَّر في تَحد رهيبَ، ومع هذا ينْجذبُون نحوه في وَلاء لا نظير له ولاَ شَبيه، ويقول قائلهم: «والله لو خُضْت هذا البحر لخضْناه معكَ ما تخلَّف منا رجُلٌ واحدٌ». وهو يقول

(1) النساء: 69.

لهم: «**لا أملك لكم نفعًا ولا ضرًا... ولا أدري ما يُفعل بي ولا بكم**»؟؟؟ هؤلاء الرجال هم الذين عقدوا عزْمهم علي أنْ يطرقُوا باب الجنة مهما غَلاَ ثمنها، لأنهم علموا أن أرباح الدنيا مهما تَعَاظمت، وتشامخت، فهي زائلة فانية، أمّا أرباح الجنة فَمَهْمَا قلَّت أو ضعُفت فهي خالدة باقية ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾(1).

هذه الذكريات تذكرنا:

بالقوة الإيمانية التي فاقت الوصْف، والنهضة العلمية التي فاقت الحد، والعبقرية العَسكْرية التي كانت من عجائب الدهر، عالم عجيب، غريب لمْ يألفُه العالم منْ قبل، في السِّلْم كانوا عبَّادًا قانتين، وفي الحرب كانوا فُرسَانًا مغاوير.. ضَرَبُوا بالسُّيوف والحراب، ورموا بالسهام والنبال وحفروا الخنَادق وأقاموا المتَاريس، وأسْتعْملوا المنْجنيق، وتعلَّموا فنون الحرب والقتال، وتدربَّوا علي الكرِّ والفرِّ، مقْتدين بقول الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ... الآية**﴾(2).

إننا ننظر إلي هؤلاء العظماء، فلا نمْلك إلا الإعجاب بهم، وبما فعَلُوه، ونَتَحسَّر علي ضعْفنا وتفريطنا، ومثلُنا في هذا مثل رجلين، أحدهما جامعٌ لثَرْوَة ونَمَّاها حتي صارت ملْءَ السمع والبصر وآخر وارثٌ لها، فالجامع مكافح فيّ سبيلها، حريصٌ عليَ بقائها، والوارث إذا لم يكن علي وعى، فهو مبدِّدْ لها، متهاونُ في شأنها، جاءتْه سهلة، فخرجت منْ يده سهلة، ولم يبْق له إلا الندم علي ما كان!!!

الواقع المر

وتَمرُّ علينا الذكريات، عامًا بعد عام، وتَمْثلُ أمامنا كلَّما حان وقْتُها، وحل موعدها. فهل غيَّرْنا أوْ بدَّلنا؟؟ هل اقْتدينا أوْ تأسَّينا؟؟ فقط تعوَّدْنا علي إقامة السُّرادقات والحفلات، وتوزيع الحلْوي، والمشْروبات، وإلقاء الخطب الحماسيِّة، والكلمات الجاحظية ويَتبَاري المتكلِّمون!!! ويحْكُم المستمَعون!!! أيُّهم كان أسْمع، أيُّهم كان أوْقع؟ هذا أسُلوبه طَليّ، وهذا عرْضُه قَويّ، وهذا خَسر المباراة،

(1) النحل: 96.
(2) الأنفال: 60.

وما أكْثر الذين يخطبون، وما أكثر الذين يتكلمون. ولكن تبْحث عن ردِّ الفعْل فلا تجد، لأنَّهم في وادٍ والناس في واد وكأنَّهم ينْفُخُون في رماد!!!

تمر علينا هذه الذكريات.. فلا نأخذها عبرًا فنرْقي، بل نأخذها لهْوًا وتسْلية فنشْقي، إنَّنا في تَدَنٍّ، وهبوط عامًا بعد عام، من القوة إلي الضَّعف، ومن المهابَة إلي المهَانَة، ومن العـزَّة إلي الذّلة، من الأمـان إلي الخـوف، لقـد تكالبت علينا أعْداؤنَا، أكلوا خيْراتنا، وأحْتلُّوا أرْضنا وفرقوا جمْعَنا، ومزَّقوا شبابنا، وغَيَّروا، وبدَّلوا منْ سَمْتنا، وسلوكنا!!!

لقدْ تطاولوا علينا بالسَّبِّ واللَّعْن، وتطاولوا علي رسُولنا بالسَّب والقذْف، ونحن لا نمْلك لأنْفُسنا نفْعًا ولا ضرًا، ولا نَدْري ما يُفْعل بنا!!!

أخي المسلم:

هل سمْعت عن هذين الغلامين الحَدَثَيْن معاذ بن عمرو، ومعاذ بن عفراء؟؟

القصة رواها الإمام البخاري في صحيحه قال: عن عبد الرحمن بن عوف قال: إنّي لواقف يوم بْدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غُلامين من الأنْصار حديثةٌ أسْنانهما فتمنَّيتُ أنْ أكون بين أظْلع[1] منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عم، أتعْرف أبا جهْل؟ فقُلتُ: نعم وما حاجتك إليه؟ قال: أخْبرتُ أنَّهُ يسبُ رسول الله ﷺ. والذي نفْسي بيده لئن رأيتُه لا يفارقُ سوادي سوادَه حتي يموت الأعْجل[2] منَّا. فتعجبْت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثْل ما قاله صاحبه، فلم أنشب أن نظرتُ إلي أبي جهل وهو يجول في الناس فقُلتُ: ألا تريان؟ وأشَرتُ لهما إليه، فشدَّا عليه، مثل الصقرين فضرباهُ حتَّي قتَلاهُ، ثم انْصرفا إلي النبي ﷺ فأخبراه، فقال: «**أيُكُما قتله؟**» فقال كل منْهما: أنا قتلتُه، قال: «**هل مَسَحْتما سيْفيْكُما؟**» قالا: لا، فنظر ﷺ في السَّيْفين فقال: «**كلاهما قَتَله وقضي بسلَبه لهما**» ونَفَلَ ابْن مسعود سيْفه حيث أجْهز عليه.

منْ أيِّ هذه الأحداث نَعْجب!!

---

(1) أكبر منهما.

(2) الذي يموت قبلاً.

أمن الغلامين الحدثَين؟ أمْ من الحدث؟ أم من تلْكَ التربية التي أثْمرتْ تلك القُوَّة الإيمانية؟ «أخبْرتُ أنه يسُبُّ رسول الله، والذيَ نَفْسي بيده لئن رأيتُه لا يفَارق سوادي سواده حتي يموتَ الأعْجل منا» قالها الآخر كما قال الأول: وبرًا بالقَسَم!!!

وإن تَعْجب فعجَبٌ للأمة **كُلها** منْ أقْصاها إلي أدناها فهي تَسْمع، وتري، تَسْمعُ السَّبَّ واللعْن، والقذف لرسولها، وتري له صوراً فَاحَ حقْدُ أصْحابها، وهي لا تَمْلك نفْعًا، ولا دْفعًا ولا ضرًا فهي غُثاء كغثاء السيل، كما تنبَّأ بذلك ﷺ حيث قال: «**يوشك أنْ تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلي قَصْعتها**» قالوا: أمنْ قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**لا، بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن اَلله من صدور عدوكم المهابة، وليقْذفنَّ في قلوبكم الوهن!!**» قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حبُ الدنيا وكراهية الموت**». ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]

رأي الفاروق عمر أن بعْض شروط صلح الحديبية فيها إجْحافًا بحق المسلمين فذهب إلي رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ألَسْت برسول الله؟ قال: «**نعم**»، قال: أولَسْنَا بالمسلمين؟ قال: «**نعم**»، قال: أولَيْسُوا بالمشركين؟ قال: «**نعم**»، قال عمر مُسْتنْكرًا ومتعجّبًا، فعلام نُعْطي الدَّنيَّة في ديننا؟ فأبان له النبيّ أنَّ ذلك سيكون في صالح المسلمين. .

وبقدر ما كان الفاروق يَرْفُض ويسْتنْكر فإننا نقْبل ولا نَسْتنْكف لقد رضينا بالدَّنية عندما استْوْرَدْنا شَرْعًا غير شرع الله!!! رضينا بها عندما رضينا بعار القَابلية للاسْتبداد!!! رضينا عندما احتلت العراق وأفغانستان!!! رضينا بالدنية عندما دخلت القوات الدولية أرض السودان ودخلت الحبشة أرض الصومال. لتحكم في المسلمين بما تشاء!!! رضينا عنْدمًا هاجم بابا الفاتيكان رسول الله وقال البعض لابد أنْ يْعتذر وقال آخرون: لا نقْبل أي إعْتذار، وفي نفْس العام دَعَتْهُ إحْدي الدول الإسلامية لزيارتها فَجَاءَ مُعزَّزًا مُكَرَّمًا واستقبل إسْتقْبال الفاتحين: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[2]. ويا ليت قومي يعلمون؟؟؟

---

(1) الذاريات: 55.

(2) ق: 37.

شَهِيدُ أُحُد

لَمَّا وَقَفَ النَّبي ﷺ عَلَي أشْلاء عَمِّه يَومَ أحد ورَأي بَطْنه مبْقُورة وأمعاءَهُ منْزُوعة وكَبِده علي الأرْض مُلْقَى، دَمَعتْ عيناه ثم قال: «**لن أُصابَ بمْثلك أبدًا، وما وقفْت مَوْقفًا قَطّ أغْيظ عليّ منْ موقفي هذا**»



أسد الله حمزة

ذات يوم سمع المسلمون رسول الله ﷺ يقول: «**ودخلت الجنة فنظرت فيها فإذا جعْفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة وإذ حمزة متكيء علي سرير**».

فمن هذا البطل الذي حاز هذا الشرف؟ إنه حمزة.. حمزة بن عبد المطلب عَمُّ الرسول من النسب، وأخوه في الرضاع من ثوبية جارية عمه أبو لهب(1).. كان يكبر النبي ﷺ بسنوات معدودات قيل ثلاث وقيل أربع، وأمه هالة بنت عَمّ السيدة «آمنة» أم النبي ﷺ.

كان فارسًا شجاعًا.. قويًا مقدامًا، يحْمي الأهل، والعشيرة. عاش حياته ثائرًا علي الظلم، يكره الظلمة والظالمين، ثائرًا علي الفقر فعمل وجدَّ حتي صار من الأغنياءالمعدودين، ثائرًا علي الأوضاع الفاسدة، ولمَّا لمْ يجد لثورته صدي وسط هذا المجتمعُ الغشُوم، ترك الناس، وأشْتغل في الصيد.

ولَمَّا بُعث رسول الله ﷺ كان يدافع عنه، ويمنعْ عنه الأذي وهو لم يُسْلم بعد، وفي يوم عاد منَ الصيْد فأسْتوْقَفتْهُ جارية لعبد الله بن جدعان قالت له: يا أبا عمارة لو رأيْتَ ما لَقي ابنُ أخيك من أبي الحكم بن هشام.. لقد وجده هنا فَسَّبه وآذاه، ونال منه ما يكره.. سبَّه في دينه، ونفْسه، وأسْمعه ما يكره، وإبن أخيك لا يردُّه في شيء، وأخذت تقول كلَّ ما سمعتْ، وحمزة يرْتفُع دمه ويغْلي مع كل كلمة يسْمعُها فقطع حديثها، وإمْتَشَقَ قوْسه وعاد مسرعًا يبْحث عنْ أبي جهلٍ، فلقيه مع القوم عند الكعبة. فَهَوي بقوْسه علي رأسه حتي شَجَّه، وأنْبثق الدم حتي لطَّخ ثوبه، وثياب من حوله، فَهَمَّ به رجال، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فوالله لقد سَبْبتُ ابن أخيه سبًا قبيحا. ثم قال حمزة أتشْتُمه وأنا علي دينه أقول ما يقول!!! فقال الحاضرون: ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت. قال: وما يمنعُني وقد إسْتبان لي الحق، وأنا أشْهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

تركهم وذهب إلي دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث رسول الله هناك ثم أعْلن

(1) جاء في كتاب «في رحاب النبي» للأستاذ محمود أحمد هاشم ط المجلس الأعلي للشئون الإسلامية وفي كتاب (عنوان النجابة في معرفة من مات بالمدينة من الصحابة) للأستاذ مصطفي الرافعي أن حمزة كان يكبر النبي بثلاث سنوات ورضع من ثوبية ولما ولد رسول الله وضع أيضًا ثوبية. أهـ.

إسْلامه بعد صراع مرير مع نفْسه . ثم طلب من الرسول إعلان الدعوة، وأحسَّتْ قريش بالخطر خاصة وأنَّ عمر بن الخطاب أسلم بعد حمزة بثلاثة أيامْ وطلبا من الرسول أنْ يعْلن الدين، ويجهر بالدعوة، واستجاب الرسول بعد أن جاء الأمر بالجهر بالدعوة فخرج ﷺ إلي الكعبة في صفَّين من المسلمين في الأول عمر وفي الثاني حمزة. وبُهتَ الذين كفروا، وأصيبُوا بالذهول وتملَّكهم الخوف، فعقدوا المؤتمرات، والندواَت للنظر في أمْر هذه القلة الصاعدة أمَّا حمزة فمن يوم أن أسلم وهو يقف موقف الحارس الأمين المدافع عن هذا الدين والمناضل والمكافح عن رسول الله والمؤمنين.

إشْترك في كل المعارك، وكان دائمًا له قصب السَّبْق فيها، فأوَّل سرية في الأسلام كان قَائدها حمزة، وأوَّل راية في الأسلام عقدها رسول الله كانت لحمزة وكان في طليعةَ المهاجرين إلي يثرب، وإشْترك في غزْوة بدر الكبري، وأبْلي فيها بلاءً حسنا، وصال، وجال، وقتل عددًا كبيرًا من صناديد قريش حتي منحه رسول الله أعْلي وسَام شَرف فقال: «**حمزة أسدُ الله وأسد رسوله**» وإنتهت المعركة بنصر ساحق للمَسْلمين، وهزيمة منْكرة للمشْركين. رجع المسلمون ترفرف عليهم آيات النصر ﴿**وَمَا النَّصْرُ إلاَّ منْ عند اللَّه إنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ**﴾، ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمنينَ**﴾، ﴿**إنَّ اللَّهَ يُدَافعُ عَنِ الَّذينَ آمَنُوا**﴾ ورجع المشْركون يجرون أذْيال الخزي، والهزيمة، والعار الذي لحقهم بالجزيرة. ومكثت قريش تنوح علي قتلاها مدَّة.

جلسوا يستعْرضون المعركة. من قتل عُتْبة بن ربيعة وأخوْه شيبة وأبنه الوليد؟ من قَتَل أبا جهل وأميَّة بن خلف؟ من قتل عبد الله بن الجراح والد أبو عبيدة بن الجراح؟ من قتل حنظلة بن أبي سفيان زعيم مكة؟ من، ومن، ومن، وأجمع الجميع على حمزة، وعلي قتْل حمزة، وإسْتعدَّ الجميع للتخلص من حمزة، وفي مقدمة هؤلاء جميعًا هند بنت عُتْبة وزوجة أبو سفيان بن حرب فقد جاءتْها الأخبار بأنْ حمزة قتل أعزّ الناس لديها فأقْسمت أن لا تَبْكي واحدًا منهم، ولا تزرف دمعة واحدة علي واحد منهم حتي تأخذ بثأرها من حمزة.

أما جبير بن مطعم فأقْسم هو الآخر ألاَّ يهنأ له طعام ولا شراب، ولا يقربنَّ إمْرأته، ولا يْغتَسلِ حتي يأخذ بثأره من حمزة، وكان له عبدٌ حَبشيٌ يجيد قذْف الحربة

فاتَّفق معه بأن قال له : إن قتلت حمزة عَمَّ محمد بعَمّي فأنت حُر ، وقالت له هند إن قتلت حمزة خلعْتُ عليك كل ما معى من أقراط وَحُلي ففرح العبد الحبشي .

ولَمَّا إلْتقي ألجمعان في أحد ، ودارت رحي الحرب قال وحْشي لما ألتقي الجمعان خرجعتُ أنظر حمزة ، فرأيتُه في عُرض الناس مثل الجمل ألأورق يُهدّ الناس بسيْفه هدًا فاسْتَتَرْتُ منه حتي دنا منّي ، وعندما تمكَّنْتُ منه هززْتُ حربتي حتي إسْتقامت في يدي فدفعتُها نحوه فوقعَتْ في ثُنَّته «أسفل البطن» حتي خرجت منْ بين رجليْه ، ونَهض نحوي فلم يسْتطع ، فغلبَ عَلي أمْره فمات وأتَيْتُه فأخذْت حربتي ورجعْت حيث لم يكُنْ لي بغَيْره حاجة ، وإنَّما قَتَلْتُه لأعْتق .

ولَمَّا إنْتهب المعْركة ، وعلمتْ هنْد بمقتل حمزة فرحتْ .

ثم علَت فوق صخْرة ، ونادت بأعلي صوْتها :

نحْـــنُ جزيْناكُـم بيَــوم بدْرِ ... والحرْبُ بعدُ الحرب ذَاتُ سُعْرِ
ما كَان عنْ عتْبة لِي مِنْ صَــبْرِ ... ولاَ أخي وَعمّــي وبَكْــرِي
شَفَيْتُ نفْسي وقضَيْتُ نَـذْري ... شَفيْتَ وحْشيٌ غَليلَ صَـدْري
فَشُكْرُ وحشــيُ عليَّ عُمْـري ... حتْي ترمَّ أعْظُــمي في قَــبْري

ثم نزلت تَبْحث عن حمزة بين القتْلي فلما رأتْه صكَّتْ وجْهَهَا ، وكشَّرت عنْ أنيابها ، وضَغَطتْ علي أسْنانها بحقْد ، وغيظ ، وتشَفْي ، ثم أمرت وحْشي أن يشقَّ بطنه فشقَّها ، قالت : إقطع قطْعةً من كبده . . فقطعها فأخذتها ، ولاكتْها فلم تسْتطع فلَفظتها ، ثم مثَّلتْ به فقطعت أذنيه وأنْفه ، وشفتاه ، وربطتهم بخيط كان معها ثم زيَّنت بهم صدرها ثم قالت :

شفَيْتُ مِنْ حَمْزةَ نَفْسي بأُحُـــد ... حينَ بقرتُ بْطنه عَــنِ الكَبِــد
أذْهَبَ عني ذاكَ ما كُنت أجــد ... مِنْ لذْعة الحزْن الشَّـديد المعتمر

ثم خلعت كل ما معها من أقراط ، وحليّ ، وأعطتهم لوحشي ، وأما جُبير فقد أعْتقه وقال : إذهب فأنتَ حُر لوفائك بالعهد .

أمَّا أبو سفيان فأخذ يضْربُ أسنان حمزة برُمح كان في يده ويقول : ذُقْ عَقَق أي : ذُقْ يا عاق ، فَمرَّ عليه رجل من ألأحابيشَ فقال : زعيمُ مكَّة يضْرب ميِّتًا لا

يسْتَطيع أنْ يدْفعه، فقال أبو سفيان: وْيحكْ أكتُمها عليَّ فإنَّها كانت ذلةً.

ثم خرج رسول الله يتَفقَّدُ القتْلي، فوقَعت عيناه علي حمزة، ورَأي مَا رَأي وهاله ما رأي، ولم يصدِّق ما رأي، رأي منْظرًا لايْخُطر علي بال بشر، رأي بطن عمِّه مفتُوحة، وأمْعاءه منزوعة، وكَبَدهُ علي الأرض مقطوع، وأنْفه مكْسُور. رأي شَفَتيْه مْقطوعتان، وأذنيه مقطوعتان.. منْ فعل هذا؟ من الذي وصل به الحقْد، والتَّشفي أن يتَشفَّي بمثل هذا!!!!!

وقف رسول الله ﷺ لا يتحرك، وقد إمْتَلأت عْيناه بالدموع ثم قال: «**لن أصاب بمثلك أبدًا يا عم وما وقَفْتُ موْقفًا قط أغْيظ عليّ من موقفي هذآ**». ثم حلف وقال: «**والله لأُمثِّلنْ بسبعين منهم مكانك**» فنزل القرآن وهو واقف مكانه يأمره بالعدل في القصاص قال تعالي: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾ وفعل الصحابة مثله ثم أمسك الجميع وكفَّر النبي عن يمينه.

أما وحْشيَ فأعتق وبقي في مكة كافرًا حتي فتح رسول الله ﷺ مكة فَفَرَّ إلي الطائف. ولْنَدَعْه يحدثنا عن نفسه. قال:

كُنت غلامًا لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة قدْ أصُيب يوم بدْر فلما كان يوم أحد قال لي جبير: إنَّ قتلت حمز. عمَّ محمد بعَمِّي فأنْت عتيق، قال: فخرجت مع الناس وكنت رَجُلاً حبشيًا أقْذفه بالحربة قذْف الحبشة قلَّما أخطيء فلما إلْتقي الناس خرجت أنظر حمزة فَرأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأوْرق يهدُّ الناس بسيفه هدًا، فوالله إني لأتّهيأ له أريده، ، وأسْتتر منه بحجر إذْ تَقَدَّمني إليه سباع بن عبد العزيز فلمَّا رآه حمزة قال؟ «هَلُمَّ إليَّ يا بْنَ مقطِّعة البظور[1]» فضربه ضربة أخطأ رأسه قال: وهززْت حربتي حتي إذا رضيت منها دفَعْتُها عليه فوقعت في ثنته حتي جرحت ما بين رجليه، وذهب لينُوء نحوي فغُلب، وتركْتُه وإياها حتي مات، ثم أتيته. فأخذت حربتي، ورجعت إلي العسْكر، ولم يكنْ لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعْتق، وأعتقني سيدي وأقْمتُ بمكة، حتي إذا فتحها رسول الله ﷺ هربت إلي الطائف فما دخلها الأسلام تَعَيَّتْ عليَّ المذاهب قلت الحقُ بالشام أوْ باليمن، أو ببعض البلاد، فوالله إني لفى شك من هَمِّي إذ قال لي رجل: وْيحَك. إنه والله لا

(1) في هذا دليل علي أن ختان الأناث كان موجودًا عند العرب خلافًا لمن أنكر هذا وإدعي أنها عادة فرعونية.

يقْتل أحدًا دخل في دينه، وشهد شهادة الحق، فخرجت حتي قدمتُ علي رسول اللهَ ﷺ بالمدينة، فلم يرعه إلا بي قائما علي رأسه أشهد شهادة ألحقَ .

قال لي: «**أوَحْشِي أنت؟**» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «**أقْعد فَحدِّثني كيف قتلت حمزة؟**» فحدَّثته فلما فرغْت قال: «**ويحك غَيِّبَ عني وجهك فلا أرينَّك**». فكانَ يْبتعد عن رسول الله ﷺ حتي قبضه الله قال: فلما خرج ألمسلمون إلي مُسَيْلمةَ الكذاب خرجت معهم بحربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقي الناس رأيت مسيلمة قائمًا وبيده السيف، فتهيأت له، وتَهيَّأ له رجل من الأنصار، فهززْت حربتي حتي إذا رضيت منها دفعتُها إليه فوقعت فيه، وشَدَّ عليه ألأنصار بالسيف فربك أعلم أينا قتُله فإن كنْت قتَلْته فقد قَتَلْتُ خير الناس بعد رسول الله، وقتلت شر الناس مسيلمة الكذاب: وذهب وْحشيَ إلي حمص ولم يزلْ يُحَدُّ في الخمر حتي خُلع من الديوان. فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: قد قُلت إن الله لم يكُنْ ليدع قاتل حمزة. وقيل إنه كان لا يفيق من السكر حتي مات ودُفن بحمص.

ولَمَّا قتل حمزة ومُثِّل به جاءتْ أخْته صَفية بنت عبد المطلب لتراه، فقال رسول الله ﷺ لأبنها الزبير بن العوام: «**إلقها فأرْجعْها لا تَري ما بأخيها**» فقال لها ابنُها: إن رسول الله يأمُرك أنْ تَرجعي، فقالت: ولمَ؟ وقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي، وذلك في الله، والله لأصْبرَنّ ولأحْتَسبنّ، فلمَّا وقعتَ عْيناها علي حمزة، ورأت ما رأت، لمْ تُوَلْولْ، ولم تلْطُم خدَّها وَلم تَشُقّ جيْبها، ولمْ تَحْثُو التُّراب علي رأسها، بل قالَت: «إنا لله وإنا إليه راجعوان» هنيئًا لك أبا عمارة بالجنة، وأرجو من الله أن يجْمعَنا في مُسْتقر رحمته!!!

هذا هو الإيمان الصادق: الإيمان الذي لا تزعْزعه الفواجع، ولا تعْصف به النوازل ولا تنال منه المصائب، وإنما هو لله، وفي الله، وحبًا في رسول الله ﷺ.



عمارة إبنة سيد الشهداء «حمزة»

عن إبن عباس رضي الله عنهما قال: «إن عمارة بنت سَيدُ الشهداء حمزة كانت بمكة، وكانت جارية صغيرة، وأمُّها سلْمي بنت عميس، فلما خرج النبي من مكة، تبعتْهُ عمارة، وقالت: يا عم، يا عم، فقال علي: يا رسول الله علام نتْركُ إبنة عَمِّنا يتيمة بين ظهراني المشركين فلم ينْهه النبي عن إخْراجها فخرج بها، فلما رجعوا إلي المدينة، إخْتصم فيها، علي بن أبي طالب، وجعْفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، كلٌّ يريد ضَمَّها ليقوم بتَرْبيتها وكلٌّ أدلي بحجَّته، فقال علي: أنا أحقُّ بها، لأنَّها إبنة عمي، وأنا أخْرجتُها منْ بين أظهر المُشْركين، وعندي إبنة رسول الله «فاطمة» وهي أحقُ بها.

وقال جعفر: أنا أحقُّ بها لأنها إبنة عمي، وخالتها تَحْتي «أسماء بنت عميس».

وقال زيد: لقد آخي رسول الله بيني وبين حمزة، فهي إبنة أخي، وأنا وصِيُّ حمزة، فأنا أحقُّ بابنة أخي منكم..

نعم إنها قضية شائكة، فكلٌّ من الثلاثة أدلي بحجته، وأحقِّيته في ضَمِّ عمارة إليه ليحظي بتربيتها، وينال شرف السَّبق في صَوْن كريمة سَيِّد الشهداء حمزة.

أما زيد فتربطه بالنبي ﷺ علاقة التربية، وهو حبُّ رسول الله، ولكن مهما نال من شرف المحبة، والأخوة فهو دون عليّ وجعفر فِي إستحقاق إبنة حمزة، كما لا تربطه بها صلة نسب، أو قرابة، فبقي التفاضل بين عليّ، وجعفر، وكلاهما من بني هاشم، وكلاهما ابنَ عمّ لها، وكلاهما من السابقين الأولين، ومنزلتهما في الإسلام لا ينْكرها أحد: فمن الأحق بهذا الشرف؟

رُفع الأمر إلي رسول الله ﷺ، فقال ﷺ تَطْيِيبًا لخَاطرهم: «**أمَّا أنْت يا علي فأنت مني وأنا منك، وأمّا أنت يا زيد: فأنت مولي الله ومَولي رسول الله، وأمَّا أنت يا جعفر فَتُشْبه خلْقي وخلُقي، وأنت أولي بها.. تَحتَك خالتها، ولا تُنْكح المرأة علي خالتها ولا علي عمتها، الخالة بمنزلة الأم**».

بهذا القضاء العادل قضي رسول الله، قضي بها لجعفر، وإنْ شئت الدقَّة قل:

قضي بها لخالتها أسماء بنت عميس فهي بمنزلة أمها، وهي منْ هي دينًا وخُلقا، وتضحية في سبيل الله، أمّا إبنة العم فمهما بلغت من الكرم والتَّسامح فلن تكون كالخالة وقد تري إبنة العم في وجود إبنة عمها معها، منَافسًا لها في زوجها فهي تَحِلُّ له، وليستْ من المحرمات عليه.

أرأيت هذا الحكم الذي حكم به الخبير بالنفوس البشرية، العارف بما يدبُّ فيها منْ خواطر وهواجس: صلي عليك الله يا علم الهدي وسلم تسليما كثيراً...



المسلم أخو المسلم

من روابط السماء، تجميع الشتيت من البشر على كلمة سواء

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[1]

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب

لأخيه مايحب لنفسه »

حديث شريف

---

(1) آل عمران : 103 .

المسلم أخو المسلم

روى الأمام البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه ولا يخذله، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجه، ومن فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماْ ستره الله يوم القيامة، ومن مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبَّت الله قدميْه على الصراط يوم تذلّ الأقْدام**».

كلماتٌ نبوية مُضيئة، تُحدِّدُ مَلامح المسلم، وتُميِّزُ شَخْصيَّة المؤمن، وهى طابع المجتمع الذى تربَّى أفْراده على هذه الأخلاق. وهىَ التى من أجْلها بُعثَ رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1].

كلماتٌ معْدودات أتَتْ من الذى أوتى جوامع الكلم، نطق بها الذى لا ينْطقُ عن الهوى، كُلُّها صفاء، وإشْراق، وتعَاونٌ ومودَّة، وأخوَّةُ ومحبّة، ملأت الأرض صدْقًا وعدْلاً، وعلمًا وحلْما، . . .

ما أجْمل المسلمين لو تمسَّكُوا بها، وعملوا بمضمُونها، وتخلَّقوا بأخْلاقها، وطبَّقوها فى أمورهم الحياتية إذًا لسَادُوا وفازوا، سادُوا الدنيا وعَلَوْا عُلوًا كبيرًا، وفازوا فى الآخرة بالجنة، ﴿**وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**﴾[2]، وتدخُل عليهم الملائكة زمرًا وجماعات قائلين لهم: ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[3] ذكر أبو نعيم فى الحلية عن علىّ بن الحسين قال: قال علىّ كرَّم الله وجهه: إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضْل؟ فيقوم ناس كثير!!! فيقال: إنْطلقوا بهم إلى الجنة فَتَتَلقَّاهم الملائكة قائلين لهم: ما كان فَضْلكُم؟ قالوا: كُنَّا إذا جُهلَ علينا حَلُمنا، وإذا ظُلمْنَا صبرنا، وإذا أُسىءَ إلينا غَفَرْنا. فتقول لهم الملائكة: أَدْخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

وتأمل معى هذه الكلمات:

المسلم أخو المسلم، لا يظْلمه، ولا يْخذله، إنَّها كلمات نورانية تُبشِّرُ ولا تُنفر تجْمع ولا تُفرق، تربط الجماعة المسلمة برباط الأخوة والمحبة، قال ﷺ: «**ثلاث مَنْ**

(1) رواه مسلم.
(2) الفرقان: 76,75.
(3) الرعد: 24.

كُنَّ فيه فقد إسْتوْجب الثواب وإسْتكْمل الأيمان، خُلقٌ يعيش به بين الناس، وَوَرعٌ يحْجزه عن محارم الله، وحِلْم يرُدُ به جهْل الجاهل»(1).

هذه مَلامحُ الجماعة المسلمة ألتى عقَدت عزْمها على أنْ تطْرق باب الجنة مهما غلا ثَمنُها لم يُفْتنُوا بالمال، ولم يلعبْ بهم الشيطان، ولم تَتَحكَّم فيهم الأنانية وحُبُّ الذات بل عاشوا إخْوة متَحابين، لا أحْقاد بينَهم، ولا ضغائن تفرق جمعهم، وأغْلَقوا باب الخلاف والشَّر، لأنَ الشَّر إذا تمكَّنَ من القلوب أفْسدها، وطمس نورها، وقَبحّ جمالها، وحولَّها من سكَن للرحمن إلى وكْر للشيطان، يبيض فيه الدسَائس والمؤامرات، ويفْرخ فيه الأحقاد والأضغان، ولذلكَ كان ﷺ دائمًا يتعهَّدُ أصحابه بالنصيحة، ويتخولَّهم بالموعظة الحسنة، ويبْذُر فيهم بذور الحب والمودة.

عن إبن عباس رضى الله عنهم قال: وقع خلاف بين خالد بن الوليد وعمار بن ياسر رضى الله عنهم فى كلام فقال عمار: لقدَ هَمَمْتُ بأن لا أكلمه أبدًا فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «**يا خالد مالك ولعمار رجلٌ منْ أهل الجنة قد شهد بدْرًا**» وقال لعمار: «**إن خالدًا يا عمار سيف الله على الكفار**». قال خالد: فما ذلْتُ أحب عمارًا من يومئذ.

روى الأمام أحمد فى مسنده، والحاكم فى مستدْركه عن عبد الله بن غنم رضى الله عنهم قال: إن رسول الله ﷺ لما قضى صلاته أقْبل على الناس بوجهه الشريف فقال: «**أيها الناس إسْمعوا، واعْقلوا، وأعلموا أنَّ لله عز وجل عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغْبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقُربهم من الله عز وجل**» فجَاء أعرابى من قاصية الناس، وألْوى بيده إلى النبى ﷺ فقال: يا نبى الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغْبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقُربهم من الله إنْعتْهم لنا يا رسول الله، فَسُرّ وجه النبى فقال: «**هم ناسٌ منْ أفْياء الناس، ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرْحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلْسهم عليها فيجْعل وجوههم نوراً، وثيابهم نوراً، يفْزع الناس يوم القيامة ولا يفْزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**».

المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله:

لا يظلمه لأن الظلم ليس له بخلق، حرَّمه على نفْسه لأن الله حرَّمه، فيأنفُه ولا

---

(1) رواه البزار من رواية أنس.

يألفُه قال تعالى فى الحديث القدسى : **«يا عبادى إنى حرَّمت الظلم على نفْسى وجعلتُه بينكم مُحرمًا فلا تظالموا....»**(1)، وورد (أسرع إنتقام هو إنْتقام المولى من الظَّلُوم، وأنْفذ السهام دعوة المظْلوم) فهى لا تُخطىء ولا تُردّ، والأسلام وقف خصْمًا لدودًا فى وجه الظالمين لأن الظلم فيه ضياع لحقوق العباد، وكسْر لجناح الضعفاء، وإلصاق التُهم بالأبرياء وأمر بالعدل لأنه ميزان الحياة، ولو إخْتل هذا الميزان لأخْتلْ نظام الكون وفسدت الحياة، وأصبحت فَوْضَى لا رقيب فيها ولا حسيب، فيأكل القوىُ الضعيف ويَمْتَصُ الغنى دم الفقير، ويسْتبيحُ الحاكم دم المحكومين، . . . .

منْ هنا شدَّد المولى على عقاب الظالم فقال سبحانه فى الحدث القدسى : **«وعزتَى وجلالى لأنْتقمنَّ من الظالم فى عاجله وآجله، ولأنْتقمنْ ممن رأى مظلومًا فقدر أن ينْصُرهُ ثم لم يفْعل»**(2) . ويوم القيامة ينادى المُنادى من قبل الله عزوجل : **«أين الظَّلمةُ وأشْياعهم، وأنصارهم، ومن يُعينُهم حتى مَنْ لاق لهم دَواةً، أوْ برَى لهم قَلَمْا فيجْتمعُون فى تابوت منٍ حديد فَيرِمى بهم فى جهنم...»** .

وإذا كان المسلم يأنف ظلم أخيه ولا يرْتَضيه فهو أيضًا لا يخْذله، ولا يتخلى عنه فى الشدائد والمُلمَّات، ولا يقاطعه لأى عُذَر من الأعذار، بل يقف بجانبه ويمُد له يد العون والمساعدة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، يحبُّ له ما يُحبُ لنفْسه، ويكره له ما يكْرهُه لنفْسه، يشعُر بشعُور إخوانه يفْرح لفرحهم، ويتألم لألمهم، قال ﷺ : **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهَم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا إشْتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهو والحمى»**(3) ، وخير الناس أنفعهم للناس ولا خيْر فيمن لا يُحسُّ بهم، ولا يهتم بأمْرهم قال ﷺ : **«من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله فى شىء ومن لمْ يهتم بالمسلمين فليس منْهم»**(4) .

ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة من كوب الدنيا فرج الله عنه بها من كرب يوم القيامة .

الناس للناس ، وخير الناس أنْفعهم للناس، ولا خير فيمن يمْنع الخير عنده أوْ

(1) رواه مسلم .
(2) الأتحافات ألسنية فى الاحاديث ألقدسية .
(3) رواه البخارى ومسلم .
(4) رواه إبن ماجه والحاكم .

الناس للناس ، وخير الناس أنْفعهم للناس، ولا خير فيمن يمْنع الخير عنده أوْ لديه وقضاء الحاجات من أحبِّ الأعمال إلى الله، ولا يقْدر عليها إلا ذَوُوا الهمم العالية والأخلاق الفاضلة، وهى شعار الصالحين، وخلق المتقين، وحلْيةُ الصديقين قال ﷺ: **«أحَبُ الناس إلى الله أنْفعهم للناس، وأحبُ الأعمال إلى الله أدْومها وإن قلّ»** .

يقول الإمام يحيى بن معاذ: ليكُنْ حَظُ المؤمن منْك ثلاث خصال، إنْ لَمْ تنْفعْه فلا تضرُّه، وإنْ لمْ تَسُرَّهُ فلا تَغُمه، وإنْ لم تَمدَحْهُ فلا تَذُمه .

ويقول القائل:

كُنْ كيْفَ شئْتَ فإنَّ الله ذُو كَرمٍ	**وما عليك إذَا أذْنَبْــتَ منْ بَأس**
إلا إثْنين فلا تَقْربهــما أبــداً	**الشِّركُ بالله وألاضْرارُ بالنــاس**

وأعْلم أنَّ الأسلام ينْظر إلى ما تُقدمُه لأخيك المسلم من خير يتحقق على يديك تَمدُّ يدك للمحتاجين، تفرّحُ الكرب عن المكروبين تَمسحُ دمْعَة اليتامى والمساكين، تخفف الآلام عن البائسين، تَفْتحُ بيوتًا أغْلقت تُدخل السرور على أسر حُرمتْ، تَضُم شَمْل أسر شُردَت تُحسُّ بإحساس الناس، فتَشْعُر بآلامهم، وتسْعى جاهداً فى قضاء مصالحهَم قال ﷺ: **«إنَّ لله خلقًا خلقهم لحوائج الناس يفْزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة»**(1) .

كان عبد الله بن عباس معْتكفًا بمسجد رسول الله ﷺ فدخل رجل يحْملُ الهمَّ بين يديه، وعلامات الحزن بادية عليه، فنظر إليه ابن عباس وقال له: ما لى أراك حزينًا؟ فقال يابن عم رسول الله لفلان علىَّ حق ولاء وحُرْمة صاحب هذا القبر لا أقدر عليه. فقال إبن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: بلى إن شئت فأنْتعل إبن عباس نعله وخرج من المسجد وترك الأعتكاف، والخلوة مع الله ورسوله. فقال الرجل: أنَسيتَ الأعتكاف يا بن عباس؟ قال: لا. ولكنى سَمعْت صاحب هذا القبر والعهد به قَريب يقول **«من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خَيراْ من المعتكف عشر سنين، ومن إعتكف يوماً إبتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبْعد مما بين الخافقين»** .

أما إذا إمتنعت عن إغاثة الملهوف، أوْ تألمت من نُصْرة المظلوم، وأنت قادْر علىٰ

---

(1) رواه ألطبرابى وغيره.

سَلَبَ الله منْك هذه النِّعمة، وألْبسَهَا غيرك فأنْت لسْت جديراً بها، ولا أهْلاً لها قال ﷺ: «**إنْ لله أقْواماً إخْتصَّهم بالنِّعم لمنافع العباد يُقرُّهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها الله منْهم وحوَّلها إلى غيرهم**»[1].

وما بالك وهذا البائس قد أتى إليك ساعيًا على قدميه، راجيًا قضاء حاجته وتحقيق مطلبه، فما كان منك إلا الأعراض، والبُعْد عن خير وقَع بين يديك فرجع خائبًا صفْر اليدين وقد ورد أنَّ مَنْ قطع رجاء من إرتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة.

أخي المسلم:

منْ سماحة الأسلام تأليف القلوب، وتوحيد الصفوف، وربْط الناس برباط الوُدِّ وَالمحبة، وربما بحسنة واحدة تُفْتح لك الأبواب وتُفَتح لك أبواب الجنة تأخذُ منها ما تشاء، وتتبوأ ما شاء، وتَتَنعَّم بما شاء.

روى الخطيب عن الأمام على كرَّم الله وجهه قال: أوْحى الله إلى داود قال: يا داود إن العبد ليأتى بالحسنة يوم القيامة فأحكِّمُه بها فى الجنة. قال داود: يارب ومَنْ هذا العبد؟ قال: مؤمن يسْعى لأخيه المؤمن فى حاجته قُضيت على يديه أمْ لمْ تُقْض» وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**لا يَزالُ الله فى حاجة العبد مادام العبد فى حاجة أخيه**»[2].

فيا أخي: إن كنت ذا سُلطان فأمْدد يدك لأصحاب الحاجات، ولا تُغْلق فى وجوههم الأبواب، يسِّرْ أمورهم، وأصلح أحوالهم، وبارك أعمالهم، وإنْ كنت ذا مال فابحث عن البطون الجائعة، والأجساد العارية، والنفوس الظامئة وأعلم أنَّهم أصحاب حق فى هذا المال ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾[3].

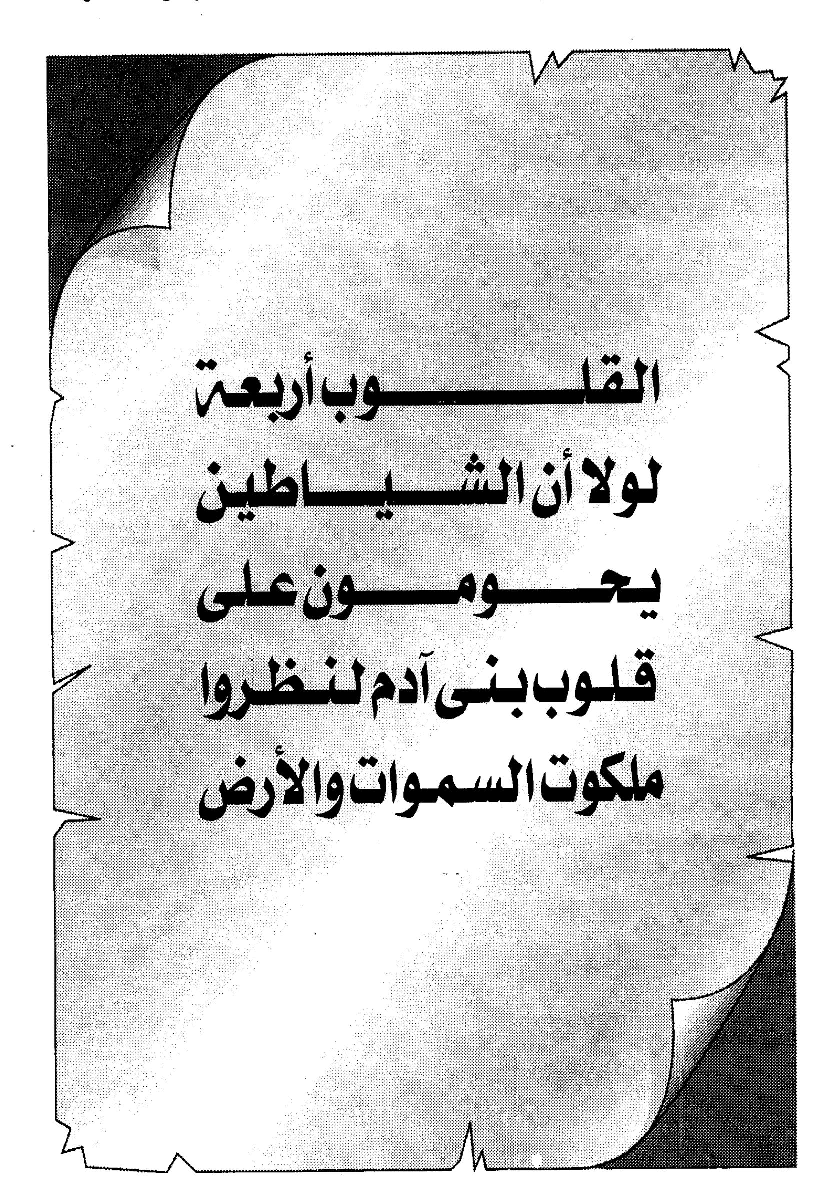
ولا تتقاعس عن قضاء الحاجات، ولا تصُد الناس وتُغلق فى وجوههم الأبواب فهذه نعمةٌ ساقها الله إليك، وطوبى لمن كان مفْتاحًا للخير مغلاقًا للشر وويل لمن كان مفتاحًا للشَّر مغْلاقًا للخير.

---

(1) ابن ماجه والطبرانى.

(2) متفق عليه.

(3) ألمعارج: 24: 25.


القلوب أربعة
لولا أن الشياطين
يحومون على
قلوب بنى آدم لنظروا
ملكوت السموات والأرض

القلوب أربعة

روى الإمام أحمد فى مسنده، والطبراني فى معجمه، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**القلوب أربعة. قلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذاك قلب ألكافر، وقلب أغلف مربوط على غلافة فذاك قلب المنافق، وقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء فتنبت وتثمر، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأىّ المادتين غلبت عليه ذهبت به...**» أو كما قال:

أخى المسلم:

القلوب آية من آيات الله فى الكون، عجيبة من عجائب الله فى الخلق، سرٌ من أسرار كينونته، جندٌ من جنود عظمته، وما يعلم جنود ربك إلاّ هو. وقلوبُ العبادَ كُلِّهم بين أصبعين منْ أصابع قُدْرته. كان ﷺ كثيراً ما يقول: «**يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبى على دينك**» وفى رواية «**ثبت قلوبنا**» قال أنس: قلتُ يا رسول الله أتخاف علينا من الأشراك؟ قال: «**نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**»(1).

والقلب فى الأنسان هو العالمُ بالله، والساعى إليه، هو المخاطب، هو المُطَالب هو المعاتَب، هو الذى يسْعد بالقُرب من الله فَيفْلح وهو الذى يخيب ويشْقى إذا دُنّس. قال ﷺ: «**الا وإن فى الجسد مضْغةً إذا صلَحتْ صلح الجسد كله، وإذا فسدت فَسَد الجسد كله ألا وهى القلب**»(2).

بمعنى أن القلب إذا إسْتقام ظهرت آثار الأستقامة على الجوارح والأعضاء، فإذا علم الله صدْقها أنزلها منازل المحبين المقربين قال تعالي فى الحديث القدسى: «**وما يزال عبدىَ يتقرب إلىَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه فإذا أحْببتُه كنْتُ سَمْعَهُ الذى يسْمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعْطينَّه ولَئن إسْتعاذ بى لأعيذنَّه**» (3) أمَّا إذا تَمرّد القلب وعصى، تَمرَّدت كل الأعضاء وعصتْ.. فلابد إذًا من رعايته، والعناية به بالمداومة على الطاعة، وحَمْله على الأسْتغفار والأنابة قال تعالي: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾(4).

---

(1) رواه الترمذى من حديث أنس وحسنه والحاكم من حديث جابر وقال إبن أبى الدنيا صحيح على شرط مسلم

(2) ألبخارى ومسلم. (3) الاحاديث القدسية ط وزاره الاوقاف ألمصرية. (4) الأنفال: 2.

وإذا كان لابدَّ للأرض من الماء حتى تَحْيا وينْبُت زرعها فإن القلب لابُدَّ له منْ ماء يُحْييه، ومن سماد يُغذِّيه ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .

وقد أفاض القرآن الكريم فى الحديث عن القلوب تارةً بالتصريح وأخْرى بالتَّنْويه فمن أمثلة التصريح قال تعالى فى وصف المؤمنين : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ . .﴾ وقال : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .

وقال تعالى فى وصف المكذبين الفاشلين : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا . . .﴾ وقال تعالى فى وصف المنافقين : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا . .﴾ .

أمَّا آيات التنْويه، فكل آيات الخطاب فى القرآن موجَّهَةٌ إلى القلب إذا إتَّفقْنا على أن القلب هو المخاطب، والمطالب، والمعاتب، وما أكثرها . .

وعلى قدْر مجاهدة النَّفْس تكون الهداية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(1) وعلى قَدْر جلاء القلب تكون البداية، بدايةُ المعرفة لفتْح أبواب المشاهدة فيرى الله فى كل شىء «وأعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(2) .

القلوب أربعة:

هكذا قال الذى لا ينطق عن الهوى، الأمى الذى علَّم المتعلمين بمعنى أنَّ الناس منْ يوم أن خلق الله آدم أبو البشر إلى هذه الساعة، وإلى أن تقوم الساعة قلوبهم على أربعة أقْسَام ولا خامس لهْن وسأعْرضُها عليك أخى المسلم لتعْرضَها بَدْورك على قلبك ولتحْكم عليه من أى الأنواع هَو :

الأول:

القلب الصافى الذى تَلقَّى كلَّ ما عُرض عليه منْ قبَل السماء بالصدق والتصديق هو قلب المؤمن الذى يتلألأ بالأيمان، ويُشْرقُ بأنوار اللهَ، إنجلَتْ فيه حقيقةُ الحق، تَولىَّ الله أمْره فاضَت عليه الرحمة، غَشيتْهُ السَّكينة أشْرقَتْ عليه الأنوار الآلهية، عليه فَيْضٌ من الطاف الله الخفيَّة يتدفَّق بالأيمانَ ويتلألأ بذكر الله عز وجل .

---

(1) سورة العنكبوت .

(2) رواه مسلم .

هذا النوع هو أحبُ الأنْواع إلى الله عـز وجل، سُئل ﷺ: قيل له: منْ خير الناس يا رسول الله؟ قال: «**كل مؤمن صدُوق اللسان مخْمومُ القلبَ**» **قالوا**: صدوق اللسان نعْرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**التَّقيّ النَّقيّ الذى لا غشٌ فيه ولا بَغْيَ ولا حسد**»[1]، قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾[2]، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**﴾[3]، أي: نوراً يفرق بين الحق والباطل. ولذلك كان من دعاءِ الرسول ﷺ: «**اللهم إعْطنى نوراً، وإجعل لى فى قلبى نوراً، وفى قبرى نوراً، وفى سَمَعِى نوراً، وفى بصرى نوراً**».

وقال ﷺ، فيما يُرويه عن ربِّ العزَّة جلّ وعلا قال داود: **ياربِّ أى عبادك أحبُّ إليك؟** قال تعالى: يا داود أحبُّ عبادى إليَّ تَقىُّ القلب **نَقىُّ الكفَّين، لا يأتى** أحدًا سوءًا، ولا يمْشى بالنميمة، تزول الجبال ولاَ يزول، **أحَضبَّنى، وأحبَّ منْ** يحبُّنى، وحبِّبنى إلى عبادى قال: يارب وكيف **يُحَبْبك إلى عبادك؟ قال**: **يذكرهم** نعَمَىّ وآلائى»[4].

تَقىُ القلب، تجافى عن كل المذْمُومَات، وأفْرغَ وُسْعه **فى كُل ما يُرْضى الله**، راقَب نَفْسه مع نَفسه، وراقَب نفْسه مع ربه، فلا بَغْيَ ولا غشَّ ولا حسد، ولا خداع ولا خَتْل ولا غَضَب، لأنه طُبع على الأيمان، وحُبِّ رَسول **الله، فلا** يرض بغيرهما بديلاً. كما قال تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**﴾ وعلى قدْر تقْوى القلب تكون معرفة الله، وعلى قدْرالمعرفة تكون المشاهدة فيرى **الله فى** كل شيء وتلك درجة الأحسان وهى أن تعبد الله كأنك تراه. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[5]. هذا الأيمان تَجسَّد فى صحابة **رسول الله** الذين لم نجد لهم مثيلاً فى التاريخ.

فى معركة اليمامة سقط بطل منْ أبطال المسلمين صريعًا جريحًا ينزف الدم وبعد إنْجلاء المعركة أخذ عبد الله بن عمر يتفقَّدُ القتلى والجرحى ليُسَاعد منْ به رمق فوجد

---

(1) رواه إبن ماجة بأسناد صحيح وألبيهقى وغيره

(2) سورة البقرة: **282**.

(3) سورة الأنفال: **29**.

(4) ألأتحافات ألسنية فى شرح الاحاديث ألقدسية.

(5) سورة محمد: **17**.

هذا الصحابى يغالب الموت والحياة، دمُه يجْرى على الأرض وقد إخْتلط بالتَّراب والثياب، حتى صار لا يُعْرف والسهام فى بطنه وعنقه فوقف عليه ابن عمر وقال له: هاك الماء أخى فخذ فأشْرب. فقال الجريح: كم بقى على آذان المغرب. قال إبن عمر: مَالَكَ وللمغْرب خُذْ فأشْرب فإنى والله أشمُّ ريح الجنة من حولك. فقال: يا بن عمر إنى صائم وأريد أن ألقى ربى بدمى وأنا صائم!!!

تقى القلب، نقى الكفين، تزول الجبال ولا يزول:

وهل أتاك نبأ عبد الله بن حذافة. أسرَ فى إحديى المعارك الحربية فى خلافة أمير المؤمنين عمر فأدْخلوه زنزانةً وحده مُغَلّ الأيْدى مُقيَّد الأرجل، وأرادوا أنْ يُسَاوموه على دينه، طلبوا منه أنْ يتخلى عن دينه فرفض فى شَمَمْ، طلبوا أن يسُبَّ لهم محمدًا ودين محمد رفض فى إعْزاز وإكْبار، أدْخلوا عليه فتاة حسْناء لتفْتنه فى دينه فدخلت ثم خرجت تَلقَّفوها على الباب. ماذا قال؟ ماذا فعل؟ قالتَ: وربى لا أدْرى أبشَرٌ هو أم حَجر، !!! وربى ما حدَّقَ فىَّ البصر وما غفل عن ذكر ربه وحبيبه محَمدًا، إنْتقلوا من المساومة إلى التعذيبَ صلبوه على الخشبة ثم جاءوا بأسير مسلم، وأخذوا فى تعذيبه أمام عبد الله بن حذاقه، جاءوا بقدْر كبير فيه ماء يغْلى ثم وضعوا الأسير فى هذا الماء المغْلىَ ثم أخرجوه ثم وضعُوه ثَم أخْرجُوه حتى مات ثم قالوا لعبد الله: إنّا سنَفْعل بك مثل ذلك وأكثر إن لم تكْفر بالله وبمحمد، فبكى عبد الله فظنُّوه قَدْ لانْ، وأنَّ عقيدته ذهبت فى مَهبّ الرياح، سألوه: لمَ تبْكى يا عبد الله؟ قال: «لأن أخى الأسير سَبقَنى إلى الجنة، وكُنْت أتمنى علىَ ألله أن أسْبقهُ إليها. نَقىٌّ القلب نَقىٌّ الكفين تزولَ الجبال ولا يزول: يكْره ألحرام، ولا يقْرب ألمحرماتَ، ويتورَّع عَن الشبهات، وكما يقول أحدهم: كُنّا نتْرك تسْعةَ أعْشار الرزق الحلال مخافة الحرام، ولكن أتى، وسيأتى زمان لا يبانى المرء ما أخذ أمنَ الحلال أم من الحرام، فإن ذلك لا تجاب لهم دعوة.

الثانى:

قلْبٌ أسْودُ منْكوس، فعلى النقيض من القلب الأبيض الذى يتلألأ بالأيمان هناك القلب الأسود شديد السواد، هو قلب الكافر والعياذ بالله، هذا النوع يتلقى كل ما يعرض عليه من الدين والعقيدة بالصد، والرفض، والنكران، لقد أصيب بالشَّلل الفكرىّ، والجمود العقْلى فى هذا الجانب، ومهما قيل له عن الأيمان فإنه

يقابل ذلك بالأعراض قال تعالى : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(1) .

ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل جاوزوه إلى ما فاق الحد، فحاربوا الدين وأهله حربًا لا هوادة فيها ، سخَّروا أنْفسهم، وأموالهم، وعقولهم لصدّ الناس عنه، ومحاصرته، وضرب قُوته أينما كانت قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(2) .

ينْفقونها فى تدمير الشباب المسلم، والقضاء عليه عقْليًا، وخلقيًا، ونفسيًا، وذلك بالعمل على مروقه من الدين، وإغراقه فى التَّبذل، والأسْفاف وعدم الشعور واللامبالاة، وإنشغاله بقضايا ثانوية، وإيهامه بأن المجتمع المسلم مجتمع فاسد، ميْؤوس من إصلاحه، مادام الدين يقفُ أمام كل تقدُّم بالمرصاد، وبذلك يصبح الشباب المسلم مسخًا فاقد الشخْصية تائهًا، فارغًا من كل المبادىء والقيم فلا تدرى أهو شرقى أم غربى، شيوعى أم بوذى، مسلم أم هندى فكلاهما سواء.

ينْفقونها فى بثّ الأفكار المعْوجَّة، فى الكتب والمقالات، فى الأذاعات المرئية وغير المرئية التى تُصورِّ الأسلام على أنَّه دينُ الهمجيَّة، دين البربرية، دين التطرف، دين متَعطِّش للدم، وسفْك الدم، ويفرِّخُ الأرهاب المحلى والعالمى، دين قاصر عن مسايرة ركْب الحضارة، والتقدُّم العلمى والتكنولوجى، وخاصة فى مجال الأسرة، والقضايا العامة، ويبرهنون على قولهم بالأسلوب الماكر، فى حقوق المرأة فى الميراث، تعدد الزوجات، ختان الأناث، إباحة الطلاق، كما أن هناك قضايا ساخنة يَقفُ الأسلام أمامها بعقْلية جامدة على حَدِّ قولهم، كنقل الأعضاء البشرية، تَدْريس الجنْس، تولى المرأة مناصب القضاء والأفْتاء، ورياسة الدولة.

ينفقون أموالهم فى الأباحية الجنسية، والفوض ألَّلا أخْلاقية، والاستخْفاف بالدين وأهله، وإثارة الفتن، والشكوك حول التراث الأسلامى، وأنْ القرآن الكريم لم يعد صالحًا لعصر الفضاء، والأقمار الصناعية، والقنابل ألذكية منها والغبية.

(1) سورة الأعراف : 179.
(2) سورة الأنفال : 36.

أصحاب **هذه القلوب** السوداء حربهم لا تنقطع مع الأسلام والمسلمين لقد سخَّروا **أموالهم**، وعقولهم فى صنع أسْلحة الدمار الشامل ويحرِّمونها على أىّ دولة ، **فإذا لم ينْجح** الغزْو الفكرى ، والثقافى يكون الغزو العسكرى ، وهذا ما حدث فى **أفغانسْتان**، فى العراق ، فى فلسطين ، والبقية تأتى ، ولا حول ولا قوة **إلا بالله وهم بهذا** يحْملون أوزارهم ، وأوْزار منْ أضلوهم ، ومَنْ إحْتلوهم قال تعالى : **﴿ ليَحْملوا أوْزَارَهُمْ كَاملَةً يَوْمَ الْقيَامَة وَمنْ أَوْزَار الَّذينَ يُضلُّونَهُم بغَيْر علْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزرُونَ﴾** (1) .

ويلحق **بهذا النوع** كل جبار عنيد ، وكل همماز مشاء بنميم منَّاع للخير معْتد أثيم ، ومن ضَيَّع حقوق الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، فلا يْعدل فى قضيَّة ولاَ يقْسمُ بالسَّوية ، **ومنْ** قتل نفْسًا حرَّم الله قتلها ، أو زنى بأمرأة وهتك سِتْرها ، أو خَرَّبَ البيوت **وشتَّت** أسَرَها .

يلحق **بهذا النوع** منْ شَرَّد الأطفال ، ويتَّم البنين والبنات ، ورمَّل النساء ، وآذى الجيران .

هؤلاء الظلمة وأمثالهم يقول الله تعالى فيهم فى الحديث القدسى : «وعَزْتى **وجلالى لأنْتقمنَّ من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنْتقمنّ ممنْ رأى مظلوما فقدر أنْ ينْصرهُ ثم لم يفْعل»** .

كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك جبَّارًا ظالمًا ، وذات يوم فتح المصحف الشريف فخرج له **قول الله** تعالى : **﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنيدٍ﴾**(2) فتشاءم وغضب ومزَّقَ المصحف الشريف ورمى به (قبَّحه الله) وانشأ يقول :

أتُوعدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنيدٍ	فَهَا أنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عنيدُ
إذَا مَا جئْتَ ربَّك يومَ حَشْرٍ	فَقُل ياربِّ مزَّقَنى الوليدُ

فلم يلبث **إلا أيَّامًا** حتى قُتل شرَّ قتْله ، وعُلِّق رأسُه على قصْره أيَامًا حتى أنْتن . .
هذا هو القلب **الأسود** الذى ران عليه الرَّان سواء كان جاحدًا كافرًا ، أو ظالمًا عاصيًا .

---

(1) سورة النحل : 25 .
(2) سورة إبراهيم : 15 .

الثالث:

الثالث من أنواع القلوب قلبٌ أغْلف مربوط على غلافه فهذا قلبُ المنافق. قال في القاموس: غَلَفَ قَلْبُه غَلَفًا لمْ يَعِ الرشْد كأنّ على قَلْبَه غلافًا فهو أغْلَفْ وهى غَلْفَاء ويُجْمع على غُلْف يقول تعالَى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾(1)، والأغْلف هو الشيء الذى وضع فى غلاف فكأنَّ قلب المنافق فى غلاف مكين ومربُوط على هذا الغلاف وهو مُغَطَّى بغشاء يمنع وصول الحق إليه وهذا هو نفاق العقيدة وهو أشدُّ خطرًا على الأسلام والمسلمين من الكافرين قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾(2) تصف هذه الآية المنافقين الذين كانوا يعَايشون رسول الله ويساكنونه فى المدينة وما حولها وكان ﷺ ضائق الصدر بهم، شديد الحرص على نجاة المجتمع المسلم الوليد من شرورهم وهم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾(3).

أمَّا منافق ألعمل فهو ألذى لاشك فى عقيدته نحو الله ورسوله ولكنه يعيش حياته أو بعض حياته فى صورتين متَنَاقضتَيْنْ، له ظاهر وباطن، له سريرةٌ وعلانية يقابل ألناس بوجهين، ويتكلَّم بلسانين فى ألوجه بالمدح وألثناء وفى الظهر بالذم وألتجريح:

يلقاك يحلف أنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب

هذا ألنوع أقل خطرًا على ألأسلام من ألأول وإن كان ألأسلام يكره النفاق بكل صوره وألوانه، ويريد من ألمسلم أنْ يكون واضح الصورة، واضح ألحجة والمحجة لا يتَملَّق ولا ينافق، ولا يمْشى ى الركاب، ولا يُذل نفْسه لمخلوق سوى الخالق تبارك وتعالى، قال ﷺ: «من أعْطى الذلة منْ نفْسه طائعًا غير مُكْره فليس منا»(4).

ومن هنا كان أسلافنا ألأماجد يكْرهون أهل ألملق: جاء واحد منهم وأخذ فى مدح ألأمام علىّ وألثناء عليه، وأطال فى ألمدح وألثناء، فقال له ألأمام: يا هذا أنا فَوْق ما فى نَفْسك ودُونَ ما تقول، ثم قال: «اللهم إغْفر لى ما لا يعلمون وأجعلنى خيرًا ممَّا يظنون».

(1) سورة البقرة: 88.
(2) سورة البقرة: 8.
(3) سورة ألنساء: 145.
(4) الطبراني.

ولقد أفردت بابًا كاملاً للحديث على النفاق والمنافقين فى كتابى هذا فارجع إليه إنْ شئت .

الرابع:

قَلبٌ فيه إيمانٌ ونفاق فهو ليْس كالأول فى صفَائه، وبَهائه، وإشْراقه وعلى النقيض من ألثانى فى سوَاده وغَبائه، وتمرُّده، وعناده، ولكنَ فيه وجْهَ شبه بينه وبين الثالث .

هذا النوع مرَّةً يميل ذات اليمين، وأخرى ذات ألشمال، لا يثْبت على إيمان ولا يستْقر على نفاق، خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا .

مرَّة يعْمُر بالتقوى، ويزكو بالرياضة، وألعمل ألصالح، ويسْعد بالتلَقىّ عن الله فَيتلألأ بالأيمان، ويشْرق بأنوار الله، ويرقى الأيمان فيه ثم يرقى، فتَغْشاهَ السَّكينة، وتنزل عليه الرحمة إذًا لا مجال فيه للمَلَق والخداع ولا مكان فيه للختْل وألنفاق .

ومرة يَتدنَّس بالمذْءُومَات، وتَنْقَدحُ فيه خواطر الهوى، ويزيِّن له الشيطان سوء عمله، ويوحى إليه زخرف ألقول غُروراً، فلا يأبه بالفضائل والأخْلاق، يمْشى بالنميمة بين الناس، ويسْعى بيْنهم بالفساد، ويتكفَّأ تكَفُّأ السَّفينة كلَّما هبَّتْ ريح هَبَّ معها، فهو كالميكروب الخبيث ألذى لا يُعْرف له دواء وبذلك . . يضْعُف سُلطان الأيمان، ويقْوى شَيطان الهوى قال تعالى : **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾**(1) .

ولقد شبه الحديث الشريف الايمان بالبقْلة وهى كل نبات إخْضرت له الأرض وأسْتفاد منه ألناس، يوضع فى الارض، ويسْقى بالماء فَيخْضر ويكون غذاء، والايمان ينْبت فى ألقلب، ويسْقى بماء الوحيد والأخلاق فينْمو، ويرْقى، ويستفاد منْه بالأذعان لأمر الله، وأنه المتصرف فى خلْقه ومخْلوقاته كيف يشاء .

ثم شبه النفاق بالقُرحَه التى لا تَبْرأ ولا تَنْدمل فهى والنفاق سواء قال تعالى : **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾**(2) .

---

(1) سورة ألجاثية : 23 .
(2) سورة البقرة : 9-10 .

وفيه أيضًا دليل على أن الأيمان يزيد وينقُص، ويعْلُو، ويهْبط ولقد إسْتدل الأمام البخارى على زيادة ألأيمان وتَفَاضَله فى القلوب بقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾(1)، وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾(2).

هذه أخى المسلم أنواع القلوب كما بيَّنها الحديث ألشريف، والمطلوب منك أنْ تعْرضَها بدَوْرك على قلْبك لترى، وتحْكُم عليه من أىّ الأنواع هُو؟، فإن كان من النوعَ الأولَ فأَحْمد الله وإسألْه المزيد، وإن كان من الثانى فالهداية من الله، وإن كان من الثالث أو الرابع فيحتاج إلى التوبة الخالصة، ومجاهدة النفْس والهوى قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾.

واقع المسلمين:

لوْ تقصَّيْنا أحوال المسلمين، وفتَّشْنا عن الايمان والنفاق فى قلوبهم، ونظرنا إلى سُلوكهم وتعاملهم، وأجْريْنا إستطلاعًا على نوْعيَّاتهم، لوجدْنا أكْثر مُسْلمى اليوم هُمْ من هذين النوعين الثالث والرابع خلطوا الأيمان بالنّفَاق، والصدْق بالَكذب، والحق بالباطل، والعمل الصالح بالسىء ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾(3) هذا هو حال أمتنا ألتى أفْلستْ فى إيمانها، وإنكمشَتْ فى موْقعها، ورضيت أنْ تكون ساقة ألمعسكر ألجاهلى وألسبب فى هذا يرجع إلى عدة معاوَل:

الأول: ضعف الوازع الدينى، وإسترخاء الضمير الدينى:

فلم يعُد الأيمان هو الفاعل فى الحياة، أوْ هو المسيطر على شئون الأفراد، والجماعات، لم تعُد حرارة الأيمان تتخطى الحواجز، وتفْعل الأعاجيب كما كانت فى أسْلافنا السابقين. وإنما إتخذوا الدين هزواً ولعبًا. .

إتخذوا لهم آلهة متعددة، وأربابًا من دون الله: متفرقة فمنهم منْ يعبُد ألهوى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ....﴾ (4)

---

(1) سورة الفتح: 4.
(2) سورة الأنفال: 2.
(3) سورة ص: 24.
(4) سورة الجاثية: 23.

ومنهم من يْعبدُ المال والترف قال ﷺ : «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس وإنْتكس، وإذا شيك فلا إِنْتقش» البخارى .

ومنهم من يعبد الشيطان ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(1) .

ومنهم من يعبد الأشخاص والكراسى والمنصب إنها كُلُّها آلهة تُعبد من دون الله، ولها عُبَّادها، وعُبَّادها كثير . . ولكن رحمة الله واسعة قال تعالى : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(2) هذا وإن كانت الآية نزلت فى المتخلفين عن تبوك إلا أنْها عامة إلى يوم القيامة فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

الثانى: الجمود العقلى، والشلل الفكرى:

قلت فى كتابى السابق (توجيهات إسلامية) :

«لا نَعْرف دينًا من الأديان ألسماوية أشاد بالعقل والعلم كما أشاد بهما الأسلام، فلقد فتح أمام العقل باب أللانهائية ليبحث فى ألكون، وفيما وراء الكون فلا حجر عليه هنا أو هناك، وأعلن أن الدين هو العقل، ولا دين لمن لا عقل له وأن العلم هو الحياة ولا حياة بلا علم .

كما أعْلن أن كشْف المجهول رسالة لا تنتهى، ولا يتم ذلك إلا بالعلم والعلم لا يقف فى بداية، ولا ينْتهى عند نهاية» .

والتاريخ يقص علينا أنَّ أسْلافنا بهروا العالم بما فجَّروا فيه من ألوان العلم والمعرفة والتى كانت من عجائب الدهر ! ! !

ولكن لمَّا دبَّ فيهم الوهن، وإسْتَسْلمُوا للأسْتعمار طوْعًا أو كرْها ورضوا بما حلَّ بهم، أصيبُوا بالشَّلل الفكرى والجمود العقلى، وأصبحوا وَصْمَة عَار فى جبين الأسلام، ورسول الإسلام لا يُسرُّ بهذه الكثرة المُهَمَّشَة أو «غُثاء كَغُثَاء السَّيل» والتى أصبحت عالة على أعدائها شرقًا وغرْبا، لقد أصابهم الجدْب العلمى رغم ما فيهم من ذكاء، وأخذهم الأعياء والفُتُور واستولى عليهم النعاس، فانْصرفوا عن الدين

---

(1) سورة ياسين : 60 .

(2)سورة ألتوبة : 102 .

والدنيا، وأصْبحوا بمْزِل عنْ قَافلة الحضَارَة الأنسانية.

الثالث: الأغراق فى التقليد:

إنَّ علَّةَ العلل، وادْوأ الأدْواء فى العالم الأسلامى، التقليد، والمحاكاة لكل ما هو غَرْبى: لقد فُتنَّا بخوارقهم ألصناعية، وإتْيانهم ما يشبه المعجزات الكونية، ودُهشْنَا بتقدمهم العلمى فى كل مجالات الحياة والأحياء، فَارْتَميْنَا فى أحضانهم. وحاكيناهم فى أقوالهم وأفعالهم دونَ نظر فى عقيدة أو دين، ولا يشغل بالنا إلا ألجرى وراءهم فى مأكلهم ومشربهم، فى عيشهم ومعيشتهم، فى قضايا المرأة بَدءاً من الختَان إلى تَولِّيها القضاء والأفتاء، ورياسة الدولة. وغير ذلك من القضايا الهامةَ فى المال وألأقتصاد، وكل فروع الحياة، لقد أصْبحنا ندين بما يدين به فى الأخلاق، والآداب، والأجتماع، ونعتقد ما يعْتقد عن الكون والحياة، حتى بلغ من ضعف التفكير، والأغراق فى التقليد، منزلة رأى فيها البعض أن الحضارة الغربية هى آخر ما وصل إليه العقل البشرى، وأنه لا منْزلة وراءها، ومنهم من دعا إلى تطبيق الحضارة الغربية بُرَّمتها، وعلى علاتها، وَكان لهذا أثره على سلوكيَّات الأمة، خلقيًا، ودينيًا، وإجتمَاعيًا.

المعول الرابع: الكساد الأقتصادى والأجتماعى:

نظامنا الأقتصادى هو أرقى نظام عرفته البشرية فى شئون المال لأنَّه يُشجِّع على العمل، ويفْسح المجال امام المنافسة الحرَّة، ويحقق تكافؤ الفرص ويعمل على إسْتقرار التَّوازن، وإذابة الفوارق بين الطبقات، ويحُول دُون تَضخُّم الثروات، ويقيم العلاقة بين الناس على دعائم قوية من ألتكافل وألتعاون، وألترابط، وفى نفس ألوقت يحرِّم ألربا، وألأحتكار، وألاسْتغْلال، ويُقلِّمُ أظْفار ألمتاجرين بأقوات الناس، ولمَّا طبَّقه أسْلافنا قادوا العالم شرقًا وغربًا، وعندما قام المارد الغربى، دَبَّ فينا دبيب الوهن، وخط الشيبُ فى سيَاستنا المالية، ورضينا بالحياة الدنيا، ولم يُعد الأقتصاد الأسلامى له الصدارة العالمية، لقد أصبح فى العالم مذهبان كبيران فى الأقتصاد يشغلان أذهان الناس سياسيًا، وإقتصاديًا، وفلسفيًا هما النظام الرأسمالى، والنظام والشوعى ويتنافسان فى توجيه العالم إلى الوجْهَة التى يختارها كل واحد منهما.

وكان المستهدف لكل منهما (النظام الأسلامى) فعملا على هدمه والسيطرة عليه عن طريق مسخ هويته وإنشاء الأحتكارات الجديدة كأحتكار ألبترول العالمى، وإحتكار خيرات شعوبه، وإحتكار الصناعات ألمختلفة وحال دون نمو هذه البلاد، فلابد أن تبقى مصدرًا للمواد الخام لدول الغرب وللسوق الأوربية المشتركة، وأصبح ألسلب المنظم لخيرات هذه ألدول هو ألهدف تحت شعارات مختلفة.

فساءت الحالة الأقتصادية وساءت معها الحالة الأجتماعية. وساءت الحالة الدينية، وساءت أحوال الأمة، وأصبحت عالة على أعدائها شرقًا وغربًا تتلقى العون، وألمعونات من هنا وهناك !!!!

المعول الخامس: إنكماش العلماء العاملين:

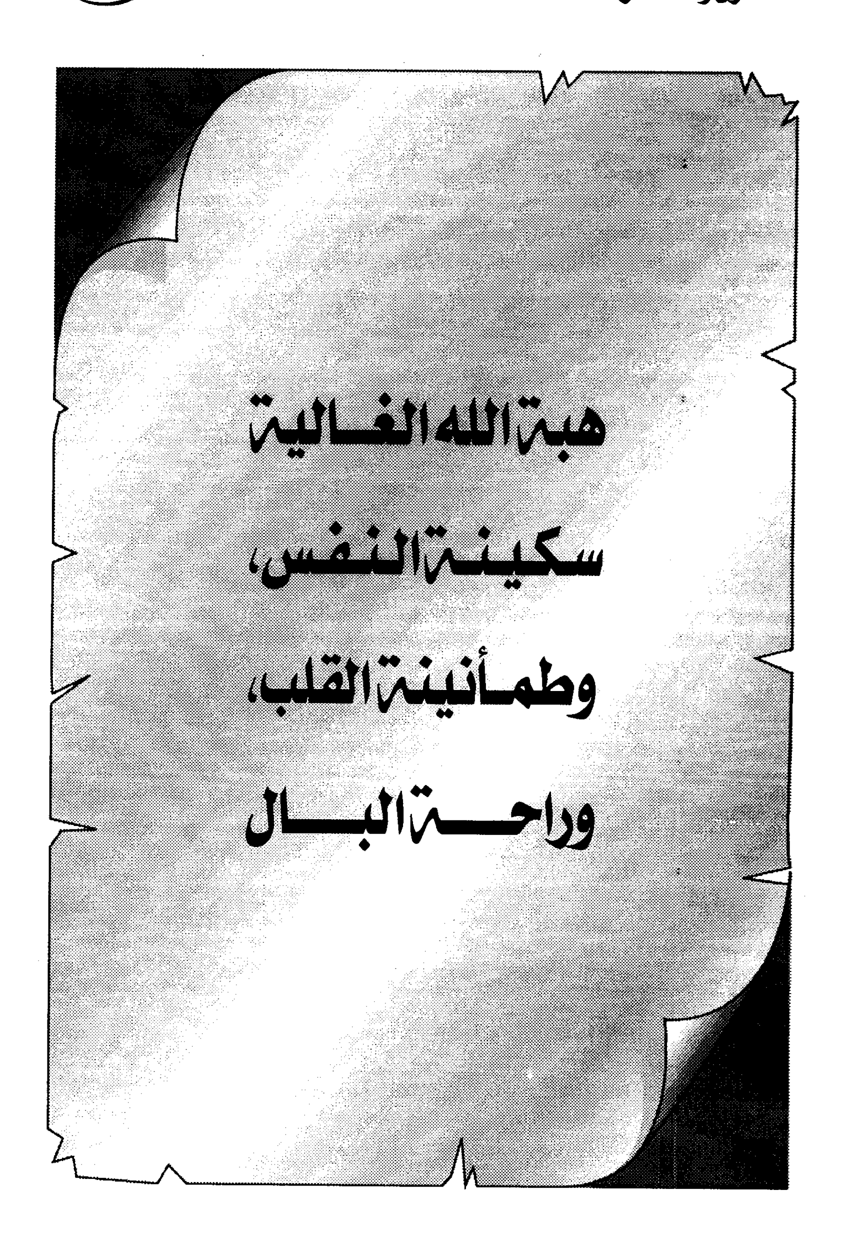
(الأمة الأسلامية غنيَّة بعلمائها المحققين، تمتاز بأبنائها ألباحثين ألمدقِّقين، العالمين بمدارك الأحكام الشرعية، وأدلتها، وطرق إثباتها وإختلاف مراتبها، ومُلمين أيضًا بثقافات ألعصر، هؤلاء الأفذاذ نذروا لله حياتهم، وأسلموا إليه وجوههم، ولكنَّهم يعيشون فى كل قطر إسلامى أو غير إسلامى، وهم مقيدون بالأغلال، مصابون بداء الرقباء، تُرصَدُ حركاتهم، وتُعد عليهم خطواتهم، يعيشون فى أوطانهم زائرين لأهليهم فلا يُنتفع بعلمهم، ولا يستفاد من وجودهم)[1]، (وهناك طائفة أخرى ضَحْلَةُ العلم، قليلة الأدراك، تطفُوا عند المغنم، وتختفى عند المغرم، تتصدَّر المجالس بالفتوى وهى جاهلة، وترْمى الناس بالفُسُوق وهى حاقدة)[2]، وبأمثال هؤلاء تخلخلت العقيدة، وإهتز الأيمان فى قلوب الرجال.

والقاعدة العامة فى أعراف ألناس أن العالم إذا أحبْ الدنيا، وإنشغل بجمع المال تساهل الناس فى الوقوع فى الشبهات، فإذا أحلّ ألعالم لنفسه ألمتشابهات ولم يتورَّع تساهل الناس فى أكل الحرام فإذا أكل العالم ألحرام كفر الناس بكل ألقيم وألأعراف.

ولذلك قال الأمام على: قَصَم ظَهرى رجُلان: (عالم مُتهتِّك وجاهل مُتنسك).

وقال الفاروق عمر: «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم» قالوا: وكيف يكون منافقًا عليمًا؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل».

(1) راجع كتابنا (توجيهات اسلامية) ط: دار ألبشير.
(2) السلوك الاجتماعى فى الأسلام للشيخ «حسن أيوب.


هبة الله الغالية
سكينة النفس،
وطمأنينة القلب،
وراحة البال

السكينة هبة الله الغالية

مقدمة:

1- قررت قريش بالأجماع قتل رسول الله ﷺ، ووقف ألشباب ألقوى على بابه ليقْتلوه تَولّت ألعناية حراستَه، فخرج دون أنْ يصاب بأذى فلما علموا جُنَّ جنونهم، وأنْتشروا فى الصحراء كالجراد المنْتشر بحثًا عن ألرجلين، ودخل ألنبى ألغار، ووقفوا على فوهة ألغار، وأرتجف أبو بكر خوفًا على حياة رسول الله، وقال لنفسه ولرسوله: «لو نظر أحدهم تحت قدمه رآنا» هنا تنزل السكينة بردًا وسلامًا على رسول ألله فَيُطَمْئِنْ الصِّدِّيق ويقول بلغة الواثق من الله: ﴿**لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[1]، نزلت ألسكينة فَبَدَّدَت الآلام، وثَبَّتت ألأقدام، وفى ذلك يقول الله: ﴿ **إلاَّ تنصُرُوهُ فقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إذْ أَخْرَجَهُ الَّذين كَفَرُوا ثانِىَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فى الْغَارِ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِه لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْه وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ..**﴾[2]، فما هى السكينة التى أذهبت الخوف، وأحْضرت ألأمن وأراحت البال؟؟؟

2- فى السنة السادسة من الهجرة إشْتاق المسلمون لزيارة البيت الحرام، فقد مضى ستُّ سَنَوات ولم يتشَرَّفوا بزيارة هذا ألبيت، وأزْكى هذا ألشَّوق رؤيا رآها رسول الله ﷺ فقد رأى أنهم يدخلون ألمسجد ألحرام محلِّقين رؤوسهم ومقصرين، ولكن كيف؟؟ والمشركون حريصون على صدهم ومنعهم من دخول مكة، فأراد رسول الله أن يعلمهم بأنه لا يريد حربًا، وأنه ما خرج إلا معتمرًا هو وأصحابه، ولا يريدون قتالاً فساق ألهدى أمامه، ولكن خرجت قريش لصدهم ومنعهم فنزل رسول الله بمكان قرب ألحديبية يُسَمَّى (**ثنِيَة ألمرار**) ودارت المفاوضات بين الطرفين، وأُرْسلت الرسل كان منهم سيدنا عثمان بن عفان فلما دخل مكة إحْتَبسَتْهُ قريش عندها، وبلغ رسول الله أن عثمان قُتل، فغضب رسول الله وقال: «**لا نبرح حتى نُنَاجز القوم**»[3] ودعا إلى البيعة على القتال وإستجاب ألمسلمون على الفور وبلا تَرَدُّد، ووضعوا أيديهم فى يَدِ رسول الله وبايعوه على القتال أو عدم الفرار برضا

---

(1) جزء من الآية 40 التوبة.

(2) الآية 40 التوبة.

(3) البخارى.

نفْس، وطمأنية قلب، وثبات عقيدة وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(1)، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتْحًا قريبا وكانت هذه بيعة الرضوان يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(2)، ولكن ما لبثوا أنْ جاء عثمان لم يقْتل، وكفى الله المؤمنين القتال وحقّق رغْبتهم فى السلام، فما هى السكينة التى كانت دليل الرضا فى قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟؟؟

3- ولقد إعْتبر القرآن الكريم ما تم فى الحديبية من بيْعة وصلح نصرًا وفتحًا عظيمًا حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾(3)، والمقْصود الحديبية لا فتح مكة، وبذلك إزداد حب المؤمنين لنبيِّهم، وأعتبروا أنَّ أمْره أعْظم بركةً من أمْرهم، وأنَّ رأيه أوْلى منْ رأيهم بأنْفسهم كما قال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(4)، فأطمأنت قلوبهم، وأرتاحت نفوسهم وغَشيتْهم السكينة قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾(5)، فما هى السكينة؟؟؟

4 - فى حُنَيْن إغْتر المسلمون بكثرتهم لأنَّهم كانوا إثْنى عشر ألفا حتى قال قائلهم: (لنْ نُغلب اليوم من قلَّة) فأراد ربك أن يُمحصهم، وأن يُلقِّنهم الدرس العملى الفورى بأنَّ النصر لا يكون إلا من عند الله و ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(6)، لذلك شَدَّت عليهم هوازن وثقيف وأمطروهم بالسِّهام، والحراب حتى إخْتلط عليهم الأمر، وأذْهلتْهم المفاجأة، فَلوَوْ أعنَّة خيْلهم، وَفَرُّوا مدْبرين حتى وصلتْ فلول المنهزمين مكة، وثبت رسول الله فى المعركة مع ثُلَّة من أصحابه وهو يقول: «أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب» ثم أمر عَمَّهُ العباس أنْ ينادى منْ فَرَّ، يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة فاستجاب

(1) الفتح: 10.
(2) الفتح: 18.
(3) الفتح: 1.
(4) الأحزاب: 6.
(5) الفتح: 4.
(6) البقرة: 249.

المسلمون، وأنضموا مع رسول الله فى القتال، وأمدَّهم الله بجنده، وأنْزل السكينة عليهم فآتاهم نصر الله وفى هذا يقول القرآن: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾[1]، فما هى السكينة التى قلبت الموازين، ورجَّحت كفَّة المؤمنين؟؟؟

5-من السنة:

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقْعدُ قَوْم يذكرون الله إلا حفَّتْهم الملائكة**[2]، **وعشيتهم**[3] **الرحمة، ونزلت عليهم السكينة**[4]، **وذكرهم الله فيمَنْ عنده**»[5].

هذه بعض أحداث نزلت فيها السكينة:

الحدث الأول:

نزلت على رسول الله وصاحبه وهما فى الغار بين الموت والحياة، فأزالت الخوف وَطْمأنَت الفؤاد.

الحدث الثانى:

نزلت على المؤمنين الصادقين الذين إستجابوا لرسول الله وبايعوه على الأسْتشْهاد فى سبيل الله.

الحدث الثالث:

نزلت لما إستجابوا لله لرسوله فى البيعة والصلح، وتم الفتح.

---

(1) التوبة: 26,25.
(2) أحْدقت بهم.
(3) عمَّتْهم.
(4) ملكة تسكن قلب المؤمن.
(5) رواه مسلم.

الحدث الرابع:

نزلت بعد أن محَّصهُم ربهم من الخطأ، واستجابوا لنداء العباس وإنضموا لرسول الله .

الحدث الخامس:

تَنْزل عند الاسْتغْراق فى ذكر الله، فى حالة الصفاء القلبى، والأشراق الروحىّ والأطمئنان القلبىّ ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(1) .

والآن يحقُ لنا أن نتكلّم عن السكينة .

السكينة:

هى سرّ الله الخفىّ يَنْزل فى قلْب المؤمن التقىّ، فيسْكُنُ ويْهدأ، ويطمئن ويسْعد وكأنه ملك الدنيا فى قَبْضته، وجمع عزْ الدارين فى حوزته .

هى الطمأنية والأستقْرار، وهدوء البال، وراحة الأعصاب، هى الرضا بالله وعن الله، الرِّضَا الذى تُشْفى به كلُ الأدْواء، والتـرْياق الذى يداوى الجراح، وهى لا تُرى بالعين، ولا تشمّ بالأنف ولا تُذاق باللسان، ولا تُحسُّ بالأيدى، وإنما هى فَيْض من الفُيوضات الألهية، وسرّ من أسرار الذات العلية، تنْزل بْردًا وسلامًا على القلب المؤمن، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن الذى تَلألأ قلْبُه بالأيمان، وأشْرق بأنوار الله، فيزداد إيمانًا على إيمان، وشوْقًا على شوق، ومحبَّةً فوق محبَّة ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4] أى خشية على خشْية، ويقينًا على يقين، فاذا وصل إلى درجة اليقين خَفَّت الدنيا فى عْينه، وعلا حُبّ الله فى قلْبه، فلا يسْتوحشُ منْ فقدانها، ولا يسْتَريح بوجْدانها، مع أنه يعْمل فيها قدْر إسْتطاعته إذا شرط الأيمان، اليقين الصادق، اليقين بقُوَّة عُلْيا تُدير هذا الكون، قُوَّة لا تُقْهر وعزَّة لا تغْلب، وسلطان لا يقاوم، ورحمة وسعت كل شىء من إله حكيم رءوف رحيم يجيب المضْطَر إذا دعاه، ويكْشفُ السوء، ويقْبل توبة التائبين .

(1) الرعد : 28 .

فإذا نظر الأنسان بهذا المنْظار ظلْ حياته دائم البشْر، طلْق الوجه، هاشًا، باشًا، متفائلاً.

السكينة لا تعطى إلا بقدر....

إنْ الله عزْ وجل يتفضَّلُ على الكثيرين من عباده فَيمْنحهُم الصحة والعافية، أو المال والجاه، أو العلم والمعْرفة، أو غير ذلك من النعم التى لا تُعد، ويرزق من يشاء بغير حساب، أما السكينة فلا تُعْطى إلا بقَدر، ولا تعطى إلا لمن يسْتحقُها ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[1]، إنَّها لا تُعطى إلا للمصطفين الأخيار، الذين إسْتغْنوا بربهم عنْ كل ما عداه، فَنَذَرُوا له وللجنة أنفْسهم، وعقَدوا العزم على أنْ يطرقوا باب الجنة مَهْمَا غلا ثمنُها، إن أصابتْهم النَّعْمَاءُ شكروا، وإنْ أصابتهم الضراء صبروا قال ﷺ: «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كلَّهُ لهُ خيْر وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته نعماء شكر فكان خيراً له، وإنْ أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[2]. إذا إقْترف ذنْبًا فى غفْلة من ضميره، لأنّ العصمة لا تكون إلا للأنبياء والمرسلين، ولا معصوم إلا مَنْ عصمَه الله، والنفْس دائمًا نزَّاعةً للهوى، والخير والشَّر متلازمان، إذ ألخطأ واردْ لقول ألرسول ألكريم: «**كل بنى آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون**»[3]، إذا حدث له هذا هبَّ تائبًا نادمًا مسْتغْفراً لذنبه. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾[4]. وقال: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[5]، فتُفْتح له الأبواب وتُسْتجاب له الدعوات، ويْعفو عنه رب العالمين، ويصفح عنه صاحب الصَّفْح الجميل. قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ**..﴾[6].

إذا جاءه المَرض إسْتقْبله برضا، ولجأ إلى من بيده الشّفاء، وتوكَّل عليه، وفَوَّض أمْره إليه وسعى إلى العلاج، وباشَر أسْبَاب الشّفاء، لقول الرسول الكريم:

---

(1) فصلت: 35.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه مسلم والترمذى.
(4) الأعراف: 201.
(5) آل عمران: 135.
(6) الرعد: 6.

«إن الله عز وجل لم يُنْزل داءً إلاَّ أنْزل له شفاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه»[1]. وعن أسامة بن شريك قال: كُنْتُ عند النبي ﷺ. وجاء الأعراب فقالوا: يا رسول الله: أنَتَدَاوَى؟ فقال: «نعم، يا عباد الله تَدَاوَوْ: فإنْ الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غيْر داءٍ واحد» قالوا: ما هو؟ قال: «الهرم»[2]، ثم لجأ إلى جناب الحضرة الألهية ودعا بدعْوة نَبيِّ الله أيوب: ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر﴾ فيأتيه الشفاء حيث عزَّ الشفاء حتى لَوْ حَارَ فى طيّه الأطْباء:

فَ: كمْ مِنْ صَحيحٍ ماتَ منْ غَيْرِ عِلَّةٍ	وكَمْ منْ عَليلٍ عاشَ حِينا منَ الدَّهْـــرِ
وكم من صغارٍ يُرْتجى طول عُمْرهـــم	وقد دخلت أجسادهم ظلمـة القــبرِ
وكم من فتّى يُمْسي ويُصْبحُ لاهِــيًا	وقد نُسجَـتْ أكْفـانُه وهو لا يـدْرى

إذا أصابته كربة من كرب ألدنيا أو ضائقةٌ من ضوائقها. والدهر قُلَّب يوم لك ويوم عليك أو كما قال القائل:

الدَّهْــر مَهْــما صَـــفا لابدَّ غَــدَّار	والعُمْــر مَهْــما وَفَـى لابُدَّ يَنْهَــارُ
والدَّارُ مهما رأتْ فى العُمْرِ من فَرحٍ	لابُدَّ مِـــنْ تَرحٍ تُرْمَـــى به الـــدَّارُ
والجسْمُ إمَّا زَهَـــى يومْــا بصِـحـــته	حَتْـمًا يُلَـــمُّ به سُقْــمٌ وأضْـــرارُ
والنَّفْس مهما عَلَـتْ لابدَّ يُزْعجُهَــا	فَقْد الحبيـب إذا غَالَتْـــهُ أقْــدارُ

أقول إذا أصابه الكرب سأل الله أن يفرِّج كربه، وأنْ يزيل هَمَّهُ وَغمَّه، فَحَمده بمَحَامد الحمد وَصَوادق ألدَّعوات، أنْ يبدِّد هذا الهم، ويزيل هذا الكرب فيجدَ رحمةَ الرحيم أقْرب إليَه من ضمير قلبه، وأقرب إليه من حبل الوريد فيحسُّ بالراحة النفْسيَّة، والطمأنينة القلبية وتمثَّل بقول القائل:

يا صاحب الهمِّ إن الهَـمَّ مُنْفَــرجٌ	أبْشـرْ بخَـــيْرٍ فإنَّ الفَـــارجَ الله
اليأسُ يقْطَـــعُ أحْيانًا بصاحِـبه	لا تيأسَـــــنَّ فإنَ الصَّـــانعَ الله
الله يُحْدِثُ بعد العُسْرِ ميْسَــــرةً	لا تَجْزعَـــنْ فإنْ الكَـــافِيَ اللـه

---

(1) أخرجه النسائى والترمذى وابن ماجه ورجاله ثقات وأخرجه أبو حنيفه.

(2) رواه أحمد فى مسنده من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك، وأخرجه النسائى والترمذى.

القرآن والسكينة:

القرآن الكريم هو أوَّلُ كتاب فى العالم نبَّه الأذهان إلى سكينة النفْس، وإلى أهْميتها، وإلى ما تفْعلُه مع صاحبها، وحذَّر من ألقلق النَّفْسىِّ، وألتوتُّر العَصبىّ. فبعْد مئات السنين، وبعد مُضىِّ سنوات طويلة من الأبْحاث الطِّبيَّة يُقَررْ علَماء الطب، وعلماء الأجتماع، أنَ حوادث العمل، وإصابات العمال إنما تَرجع إلى النفْس ألحائرة، وأن صاحبها أقلُ إنْتاجًا فى عمله من غيْره، وكذلك فى أى عمل كالتجارة، وألدراسة، وقيادة ألسيارة، فى ألمصانع، فى ألمتاجر، فى ألمزارع. ثم يقولون: إنْ أهم ألأركان التى تقوم عليها الأصول ألجوهرية للحياة ألطيبة هى سكينة النفس التى هى هبة ألعلى الأعلى.

وإنَّ كثيرًا من الأمراض النفْسيَّة، والأضْطرابات العصبيَّة، والعلل الجسْميَّة تَنْشأ من عوامل القلق، والتوتر العصبى. يقول: «وليم جيمس» أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد: «إن أعظم علاج للقلق هو الأيمان الذى يقْهر التوتر العصبى».

ولقد أثْبتَتْ الاحصائيات الرسمية أن ثلاثة أرباع أمراض هذا العصر. عصر التَّقلُّبات الفكرية، وتضارب الثقافات العالمية، وطُغْيان المادة وعُلُوّ مكانتها، وإنْحسَار الروحانية وتَشعُب أتباعها، هى حَصَادُ ما يعانيه الناس من فكْرٍ، وكرب، وهموم وَجرى وراء المال حتى تنْقطع بهم الأنفاس.

ولعلَّنَا نسْمع كثيرًا عن أمراض القلب كالذبحة الصدرية، والسكتات القلبية وإنْسداد ألشرايين ألتاجيَّة، وإرتفاع ضغْط الدم، والشلل النصْفى، والقوْلون ألعصبى وغير ذلك من ألأمراض ألنفْسية وذلك لأنهم فقدوا أهم عنصر فى الحياة. فقدوا ألهبة الألهية التى لا يمْنحُها الله إلا لعباده الصادقين. فقدوا السكينة ألتى تنزل على ألقلوب برْدًا وسلامًا. ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾.

نشرت كلية الطب الأمريكية بجامعة بوسطن بحْثًا تقول فيه:

«إنّ المتشَائمين الذين ينْظرون إلى الدنيا بمنْظار أسْود هم أكثر الناس إصابة بارتفاع ضغط ألدم وأمراض القلب»[1].

(لذلك رأينا كثرة الأنْتحار فى بُلدان أوربا، وأمريكا، وألعالم أللادينى، وخاصَّةً فى ألسويد وهى تُعدُّ من أغْنياء دول ألعالم، ومع هذا الثَّراء الفَاحش نَراهَا من أكْثر دُول اَلعالم فى القلق ألنَّفْسى، وألأضْطراب ألعصبى. . لماذا؟ وأسْبابُ السعادة كُلها مُيسَّرة، وعوامل الرفاهية كلها حاضرة؟ لأنهم فقدُوا ألأيمان ألذى يُعْطى ألسكينةَ ألقلبية، وألرَّاحة ألنفْسية، وأللذَّة الوْجدانية، وألحياة السَّهْلة السعيدة التى لا تعْقيد فيها، ولا تكْديرَ ولا تَنْغيص، هى الحياة ألتى عبَّر عنها أحد العارفين بقوله: (نحن فى لذَّة لو علم بها مُلُوك الأرض لقاتلونا عليها) هذه هى الحياة وتلك هم الأحياء وما عداهَم فهم أموات فى صُورة أحْياء)[2]، ولذلك قال قائلهم:

رضاك خيرٌ من الدنيا وما فيها ... يا مالكَ النَّفْس قَاصيها ودَانيها

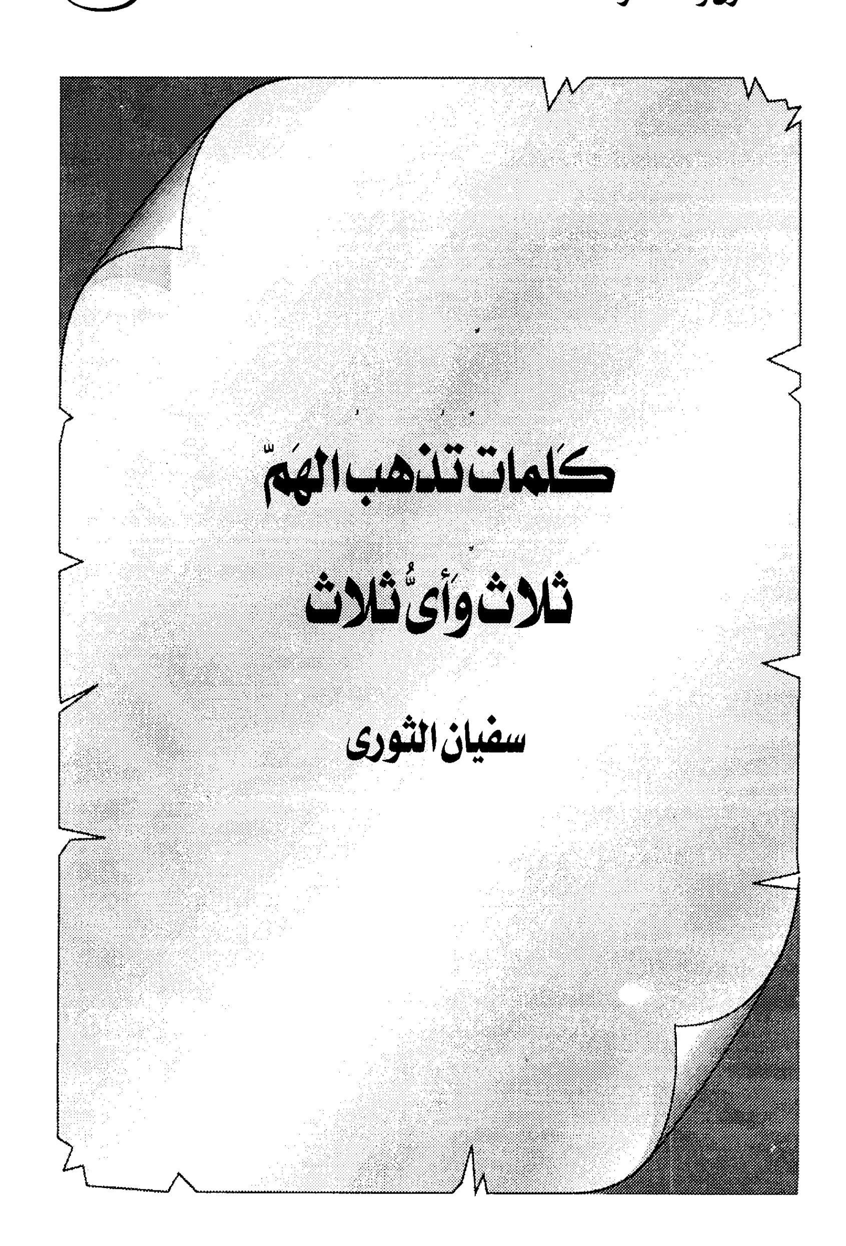
ولَيْس للنَّفْس آمال تُحققُها ... سوى رضاك فذا أقْصى أمَانيها

فنظرةٌ منْك يا سؤْلى ويا أمَلى ... خيرٌ إلىَّ من الدنيا وما فيها



(1) من كتاب (الصحة) منظمة اليونسكو.

(2) كتاب (نظرات من فيض الرحمن) الجزء الثانى للمؤلف ص 186.


كلمات تذهب الهمّ
ثلاث وأيُّ ثلاث
سفيان الثورى

ثلاث وأى ثلاث

دخل سفْيان الثَّورى رحمه الله على سيدنا جعفر الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال له : علِّمنى يا أخى ممَّا علَّمك الله؟ فقال جعفر ثلاث كلمات، قال : إذا تَظَاهرتْ عليك الذنوب فعليْك بالأستغْفار، وإذا توالت عليك النِّعم فعليك بشكْر الله، وإذا توالت عليك الهموم فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله . فخرج سفْيان وهو يقول : ثلاث وأىّ ثلاث . . ثلاث وأى ثلاث .

كلماتٌ معدودات، تُحدِّدُ طريق المسلم، وتَرْسمُ الخُطى للمؤمن، وتَفْتح له باب الرجاء إنَّها كلماتٌ نورانية، فيها الدواء لكُل الأدْواء، فيها العلاج لكل ما أصاب القلب منْ أمراض، كلماتٌ تذهب الهمّ، وتفرِّج الكرب، وتُعطى الأمل فيما عند الله من الثَّواب .

الأولى: إذا تظاهرت عليك الذنوب فعليك بالأستغفار:

كلُّ إنْسان على وجه الأرض قادر على فعل الخطأ والصواب، قادر على فعل الحسنات والسيئات، وعلى قدْر الأيمان يكون حال الأنسان .

فمن الناس مَنْ كمُل إيمانه حتى وصل إلى درجة اليقين، وصار فى عداد المخلصين (بفتح اللام) لا يسْتطيع الشيطان أنْ يقْربه، أوْ يحُومَ حوله لأن الله تعالى قال : ﴿**إنَّ عبادى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾(1)، وقال : ﴿**قَالَ فَبعزَّتكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعينَ** (٨٢) **إلاَّ عبَادَكَ منْهُمُ الْمُخْلَصينَ**﴾(2) (بفتح اللام) . هذا النوع تَرَاهُ بين الخلائق يسْعى، وقلْبُه فى الملكوت يرْعى، إنه يسْمى فى الدنيا كما يسْعى كل الناس، ولكنَّه لا يضَع رأسه فى التراب منْ أجْلها، ولا يكون أبداً عبداً لها بل سيداً لها، أدَّى ما عليه من حقوق وواجبات ومع هذا قلبه مع ربه، وجسده مع الناس . قال القائل :

ولقد جعَلْتُك فى الفؤاد مُحدِّثى	**وأبحْتُ جسْمى منْ أراد جُلُوسى**
فالجسْم منِّى للجليس مؤانس	**وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى**

ذاق طعْم الأيمان، وتمتَّع بحلاوة اليقين، وأسْتشْعر بهذا المذاق تمام العبودية :

(1) الحجر : 42 .

(2) ص : 82, 83 .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[1] .

ومن الناس منْ سما فوق رغبات النفْس ، وشهوات الجسد ، وحلَّق فى آفاق عالية منْ سماحة الخلق ، ونقاء الكفِّ ، ونظافة الضمير ، وأستقامة السلوك ، يحبُّ للناس ما يحبُّه لنفْسه ، ويكره لهم ما يكْرهه لنفْسه ، ولا يبيع دينه بعرض من الدنيا ، ولكن ربَّما تَزلُ به ألقدم فيقع فى خطأ مَّا ، أو يرتكب إثمًا أو فاحشةً مّا ، وكما قال ﷺ : «كل بنىَ آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[2] ، وكما قالوا : لكل جواد كبوة . لكنه لا يتمادى فى الخطأ بل يُسْرع الخطى للتوبة والندم ، ويسْتغْفر ويتعجَّلُ المغْفرة ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3] ، وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[4] ، ومن سماحة الأسلام أنه لا يردُّ تائبا ، ولا يَطْردْ طالبا ، ولا يخيِّبُ راجيًا ، بل يفْتح الباب لكل طارق ، ويمنح العفو لكل طالب صادق ، قال تعالى فى الحديث القدسى : «**يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم إستغفرتنى غفرتُ لك . يا بن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خَطَايَا ثم لقيتنى لا تشْرك بى شيئًا لآتيْتُك بقرابها مغفرة**»[5] .

فلا ينبغى للمسلم مهما كثرت ذنوبه ، أو تعدَّدت خطاياه ألا ييأس منْ رحمة الله فلا يَيْأسُ من رحمة الله إلا الكافرون ، ولا يقْنط من رحمته سبحانه فلا يقْنط من رحمته إلا الضالون قال تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[6] ، وهذه الآية الكريمة دعوة عامة لجميع العصاة والمذنبين من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والأنابة ، وإخْبارُ بأنَّ الله تبارك وتعالى يْغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنْها . جاء شَيْخٌ كبير إلى النبى ﷺ يتوكَّأ على عصا فقال : يا رسول الله إنَّ لى غدَرات وفَجَرات فهل يغفر

(1) الزمر : 18 .
(2) رواه مسلم .
(3) آل عمران : 135 .
(4) الأعراف : 201 .
(5) الأتحافات السنية بشرح الأحخاديث القدسية .
(6) الزمر : 53 .

لى؟ فقال ﷺ : «ألست تشهد أن لا إله إلا الله»؟ قال : بلى وأشهد أنك رسول الله . فقال ﷺ : «قد غفر لك غدراتك وفجراتك» تفرد به أحمد .

لقد مَدَدْتُ يدى بالذُل مفتـــقرًا — إليك يا خير مَنْ مُـدَّت إليه يَـدُ

أشْكو إليك أمورًا أنْـت تَعْلمُـها — ما لى على حملها صبرٌ ولا جَلَـدُ

والاسْتغْفار الذى ينْصح به الأمام جفر الصادق ليس هو ما يتبادر إلى ذهنك بقَوْلك : أسْتغْفر الله ، وإنما هو تحرى الحلال والبعد عن الحرام ، هو الندم على فعْل الخطأ ، هو كبْح جماح النفْس والهَوى ، هو الرغبة والرهبة .

الأستغفار كُلُّ ما يقربُك من الله ويبعدك عن سخطه وغضبه فهو إسْتغْفار حتَّى ولو دون ذكر اللسان إذا هو عمل قلبى فى المقام الأول ثم الجوارح كلها بما فيها اللسان ، أمَّا إسْتعْمال اللسان فقط مع فعْل المحرمات فهو إسْتهزاء بجلال الله عز وجل قال ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات وإنمَا لكل إمرىء ما نوى**[1] ..... **الحديث**» .

ولقد وعد سبحانه بالمغفرة فقال : ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾[2] ، وقال ﷺ : «**ألا أدلكم على دائكم ودوائكم ألا إنَّ داءكم الذنوب ودوائكم الاستغفار**»[3] أى : الاسْتغفار القولى مع الفعْلى ولقد قصَّ علينا القرآن الكريم نبأ نوح مع قومه ، فلقد دعاهم ليلاً ونهارًا ، سرًا وعلانية لكنهم رفضوا وبالغوا فى الرفض ، وأنْكروا وأشْتدوا فى الأنكار حتى جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، وغطُّوا وجوههم ورءوسهم حتى لا يَرُوه ولا يسْمعوه فأراد ربك رحمةً بهم أن يذكرهم حبس عنهم ألمطر حتى جفَّ الزرع ، وهلكتْ الماشية ، وأعْقم نساءهم فحرموا نعمة الولد فاستغاثوا بسيدنا نوح فقال لهم : ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾[4] أى : هلمُّوا إلى طاعة الله فإن فى طاعته درك الدنيا والآخرة . وفى هذه الآيات دليل على أنَّ الأستغفار يُسْتنزل به الرزق ، والمطر ، ويُرْفع به الفقر ، ويطلب به الولد ،

(1) متفق عليه .
(2) طه : 82 .
(3) رواه البيهقى .
(4) نوح : 10, 11, 12 .

شكا رجل إلى الحسن رضي الله عنه الجدبَ فقال له: إسْتغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر. فقال له: استغفر الله. وقا له آخر: أدع الله أن يَرْزُقنى الولد. فقال له: إستغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف أرْضه. فقال له: إسْتغْفر الله. فقال له الحاضرون فى ذلك فقال لهم: ألَم تقْرءوا قول الله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**﴾ (1).

وخرج أمير المؤمنين عمر يسْتسْقى فلم يزد على الأسْتغفار حتى رجع فأمطروا!!!! فقالوا: ما رأيناك إسْتسْقَيْت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمَجَاديح السماء التى يسْتنزل بها المطر ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ.... الآيات**﴾.

وقال الأوزاعى: خرج الناس يسْتسْقون فقام بلال بن سعد، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهُم إنّا سمعْناك تقول: ﴿**ما على المحسنين من سبيل**﴾ وقد أقْررنا بالأساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثْلنا؟ اللهم إغفر لنا، وأرحمنا، واسقنا فرفع يديه ورفعوا فهطل المطر!!!! إذا تظاهرت عليك الذنوب فعليك بالاستغفار.

الثانية: وإذا توالت عليك النعم فعليك بشكر الله:

الشكر: هو الثناء الحسن على من أحسن قال تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾(2)، وقال ﷺ: «**جبلت القلوب على حُب منً أحسن إليها**»(3)، وشُكْر الله عز وجل هو الأعتراف بنعمه ثم الثناء عليه بما أوْلى منْ نعم، ونعمه ظاهرة وباطنه نعم لا تُعد ولا تحصى ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ لذا كان ﷺ ما يقول: «**الحمد لله الذى يُطْعِمُ ولا يُطْعَم منَّ علينا فَهَدانَا، وأطْعَمنَا وسقانا، وكل بالأحسان أتْلانا**»(4).

والشكر خُلق إسْلامى رفيع، عريق المنْبت، أصيل المدلول والمفهوم، يُلَبّى فى الأنسان هواتف الروح، وأشْواق البدن، وضروراَت العيش، يقول العارف بالله سيدى أحمد الرفاعى: جَمالُ العقْل بالفكْر، وجمال اللسان بالصَّمت، وجمال

(1) نوح: 10, 11, 12.
(2) الرحمن: 60.
(3) رواه الترمذى والطبرى.
(4) أتلانا: أى: اتبع الأحسان تِلْوَ الأحسان.

الكلام بالصدق، وجمال الروح بالشكر، وجمال الكل توفيق الله عز وجل، ولا يوصف بالشكر إلا ألوا العزم من الرجال والوا العزم من الرسل، والمصْطفين الأخيار قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]، مدح الله به سيدنا نوح فقال: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[2]، وأثنى به على الخليل إبراهيم: فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ...﴾[3]، أمَّا سيد المرسلين ﷺ فكان سيد الشاكرين نهض من فراشه ذات ليلة، وتوضأ وصَفَّ قدميه قائما، راكعا ساجدًا يبْتَهلُ ويبكي حتى مطلع الفجر فَتَتَعجَّب أم المؤمنين عائشة وتقول مشفقة عليه: ما يبكيك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً» وكان كثيرًا ما يقول: سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

والشكر يكون بالقلب، واللسان، والجوارح.

فشكر اللسان:

هو النطق بالحمد والثناء على الله قال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتنا فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» وقال ﷺ لرجل: «**كيف أصْبحت؟**» فقال: بخير. فأعادها النبى وقال له: «**كيف أصْبحت؟**» فقال الرجل: بخير يا رسول الله (ولم يقل الحمد لله) فقال النبى فى الثالثة: «**كيف أصْبحت يا رجل؟**» فقال: أصبحت بخير والحمد لله يا رسول الله فتبسَّمَ ﷺ وقال: «**هذا هو الذى أردْتُ منك**» وقال رجل لأبى غنيمة: كيف أصْبحت؟ فقال: أصبحت بين نعْمتين لا أدْرى أيهما أفضل: ذنوبٌ سترها علىَّ فلا يستطيع أحدٌ أن يُعَيِّرنى بها، وأَبْقَى علىَّ نعمًا لا تُعَدّ مع قلَّة شكْرى عليها.

أما سيدُ الشاكرين ﷺ:

فلنا فيه الأسوة، ولنا فيه القدوة، كان إذا رأى ما يسرُّه قال: «**الحمد لله الذى**

(1) سبأ: 13.
(2) الإسراء: 3.
(3) النحل: 120, 121.

بنعمته تتم الصالحات» وإذا رأى ما يسوء قال: «**الحمد لله على كل حال**»، وإذا لبس الجديد قال: «**الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عَوْرتى، وأتجمَّلُ به فى الناس**»، وإذا وضع الطعام بين يديه قال: «**بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إجْعلها نعْمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة**»، وإذا فرغ من الطعام قال: «**الحمد لله حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه غير مكفى، ولا مودع، ولا مستْغنى عنه ربنا**» وثبت فى صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال: قال ﷺ: «**أحبُ الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

قدم وفدٌ على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقام غلام ليتكلم، فقال عمر: الكبر: الكبر. فقال الغلام: يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان فى المسلمين منْ هو أسَنَّ منك فكان أوْلى بالخلافة منك!!! فقال: تكلَّم يا غلام. فقال: يا أمير المؤمنين جئْناكَ لا رَغْبة فيما عنْدك، ولا رهْبةً منْك ولا فيمْن حوْلك، أما الرغبة فقد أوْصَلَهَا إلينا فَضْلُك، وأما الرهْبة فقد آمننا منها عدلك، وإنما جئناك لنشكُرك على ما أقمت حقَّ الله فينا، فَسُرَّ عمر، وشكر الله على شُكْرهم.

شكر اللسان:

أن تجعله على الدوام رطبًا بذكر الله، فلا تُخضْ مع الخائضين، ولا تعبث مع العابثين قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾[1]، وقال: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾[2].

وأما شكر الأعضاء والجوارح:

هو أنْ تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وماحوى. فكُلما تحرَّك مفْصل فى جسدك، أوْ تحركت خليةُ فى بدنك، أو جرت قطرة دم فى عروقك، فأعلم أنَّها نعمة مهداةٌ إليك، وكل يوم تَطْلع شَمْسُه وأنْت صحيح مُعَافى، معافًا فى سَمْعك، وبصرك، وفؤادك، معافًا فى جوارحك وأعْضائك فقد وجب عليك الشكر تغْفل

(1) الفرقان: 63.
(2) الأنعام: 68.

قال ﷺ : «**كل سُلامَى(1) من الناس عليه صدقة، كل يوْم تطلع فيه الشمس تعْدلُ بين الأثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فَتَحملُه عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكُل خُطْوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»[2]، وفى حديث آخر يقول ﷺ : «**ليْسَ مِنْ نَفْسٍ إبن آدم إلا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس**»[3] .

ففى الحديث الأول يُبين الرسول الكريم ويوضِّح أنَّ كلَّ سُلامَى فى الجسم وهى عظامه ومفاصله عليها فى كل يوم صدقة، والصدقة بهذا المعنى واسعة الدلالة .

وقد ذكر علماء الطب أنَّ عظام البدن مائتان وثمانية وأربعون عظمًا تقريبًا ينْبغى على المُسلم أن يؤدى زكاتها ولكُل نعمة زكاة إذا كثُرت دراهمك وجب عليك زكاة المال، وإذا أغلت أرضك وجب عليك زكاة الزروع والثمار، وإن نمت تجارتك وجب عليك زكاة عروض التجارة وكل هذه الزكوات على الأغنياء، أمَّا زكاة الصحة والعافية فهى على الأغنياء والفقراء وزكاتها شكر الله عليها، وأنْ تسْتعْملْها فى طاعة الله وأنْ تَخرَّ بها ساجدًا وتقول : «**اللهم لك ركعت ولك سجَدْت، وبك آمنت ، سجد لك سمعي وبَصرى، سجد لك لحمي ودمي. وعظمي، سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى، تباركت رب العالمين**» .

وأما شكر القلب:

فهذا مقام الأوابين، مقام المخلصين، وهو شُكْر الخواص الذين قال الله فيهم : ﴿التَّائبُونَ الْعَابدُونَ الْحَامدُونَ﴾[4]، هو رؤية المنعم فى كل نعمة فهم يحمدونه عند شهود جلاله وجماله، ويحمدونه على منعه وبلائه، كما يحمدونه على نفْعه وعطائه فقد يكون فى المنع العطاء، ولكن لا يفهم العطاء فى المنع إلا تَقيّ .

يقول القاضى شريح : إنى لأصَابُ بالمعصية فأحمد الله عليها لأرْبعة وجوه : أحمده إذا لم تكُن أكْبر مما هى، وأحمده إذْ رزقنى الصبر عليها، وأحمده حيث إدَّخر لى ثواب الصبر عليها، وأحمده إذْ جعلها فى دُنْيَاى ولَمْ يجْعلها فى دينى،

(1) سلامى مُفْردْ سلاميات وهى عظام الجسم ومفاصله .

(2) متفق عليه .

(3) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(4) التوبة : 112 .

ولكن بعض الناس غالبًا ما يذْكر المصائب ويتألّم ويذْكُر العلل ويتوجع، مكثَارًا من الشكوى وإليه يقول القائل:

يا أيها الظالــم فـــي فعلــه — والظلم مردود علـى مَنْ ظلــم

إلى متى أنْـت وحـتَّى متَــى — تشْكو المصيبات وتَنْسى النعـم

ومن الشُكْر شُكْرٌ خاص، إذا جاءتك البشرى بما يسرك فى المال أو الولد، أو فى النفس أو الزرع، أوْ جاءك البشير بخبر سار فعليك عند سماع البشرى أن تخر ساجدًا لله عز وجل ومن ثَمَّ شرع الأسلام سجدة تُسمى شجدة الشكر، ولا يشترط لها الوضوء ولا طهارة الثوب أو المكان ولا التسليم، وهى تستجب لمن تجددت له نعمة أو صُرفتْ عنه نقمة فقد كان ﷺ إذا أتاه أمْر يسرُه أو بُشّر به خرَّ ساجدًا لله عز وجل، (عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله فاتَّبعْتُه حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خفْت أنْ يكون الله قد توفاه فجئت أنظر فرفع رأسه فقال: **«مالك يا عبد الرحمن؟»** فذكرت ذلك له فقال: **«إنَّ جبريل عليه السلام قال لى: ألا أبشرك؟ إن الله عز وجل يقول لك: منْ صلى عليك صلَّيتُ عليه، ومنْ سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله شكرًا»**، ولَمَّا بُشَر سيدنا أبو بكر بقتل مسيلمة الكذاب خَرَّ ساجدًا لله عز وجل، ولَمَّا جاءت البشرى بقبُول تَوبة كعب بن مالك خر ساجدًا لله عز وجل. ولَمَّا وجد سيدنا على ذا الثُّدَيَّة فى قتل الخواج سجد شكرًا لربه.

الثالثة: إذا تظاهرت عليك الهموم فقل: (لا حول ولا قوة إلا بالله):

الهَمّ هو القلق النفْسى، والأضطراب العصبى، هو شُرُود الذهن وعدم الأسْتقْرار، هو قلْقَلَةُ الضمَير وتوتر الأعصاب، فيقُض المضْجع، ويشلّ التفكير، وإذا إسْتوْلى الهم على الأنسان فأنه لا يهْنأ بعيْش، ولا يشْعُر براحة بال، ولا ينْعم بحياة.

وأسبابه ضعف الأيمان، وعدم الرضا بقضاء الله، ولذلك منَّ الله على عباده المؤمنين بنزول السكينة عليهم فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ...﴾ فهى إحدى المنح الآلهية، والهبَات الربَّانية التى يهبها من يشاء من عباده ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وعلى كل فالحياة لا تخلو من المتاعب والمشاغل التى تعترى الأنسان وخاصة فى هذه الأيام وعلى الأنسان العاقل ألاَّ يسْتسْلم لهذا المرض ويفوِّضُ الأمر لصاب الأمر، وأن يستعيذ بالله من الشيطان،

وأن يُكْثِر من قَوْل لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهى كنز من كنوز الجنة ولها سرٌ عظيم. روى أن الله تعالى لَمَّا أمر الملائكة بحمْل العرش لم يقْدروا، فقال لهم: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فقالوها فحملوه فلا يدرى أهُم الذين يحملون العرش؟ أم العرشُ هو الذى يحْملُهم؟ أم الكُلْ محمول بقدرة الله عز وجل.

وقد أرْشدنا ﷺ إلى أذْكار، ودعوات نقولها لأزاحة الهم، وتفْريج الكرب منها قوله ﷺ: «**إنى لأعْلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرَّج الله عنه كلمة أخى يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾**». وقال ﷺ: «**ما أصاب عبد همّ ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك إبن عبدك إبن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فِىَّ حكْمك، عدْل فِىَّ قضاؤك، أسْألك بكل إسْم هو لك سمَّيْت به نفْسك، أو أنْزَلْتَه فى كتابك، أو علَّمْتهُ أحدًا منْ خلقك، أو إستأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجْعل القرآن ربيع قلبى، ونور بصرى، وجلاء حُزْنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله همَّهُ وحزْنه، وأبدْلهُ مكانه فرحًا**».

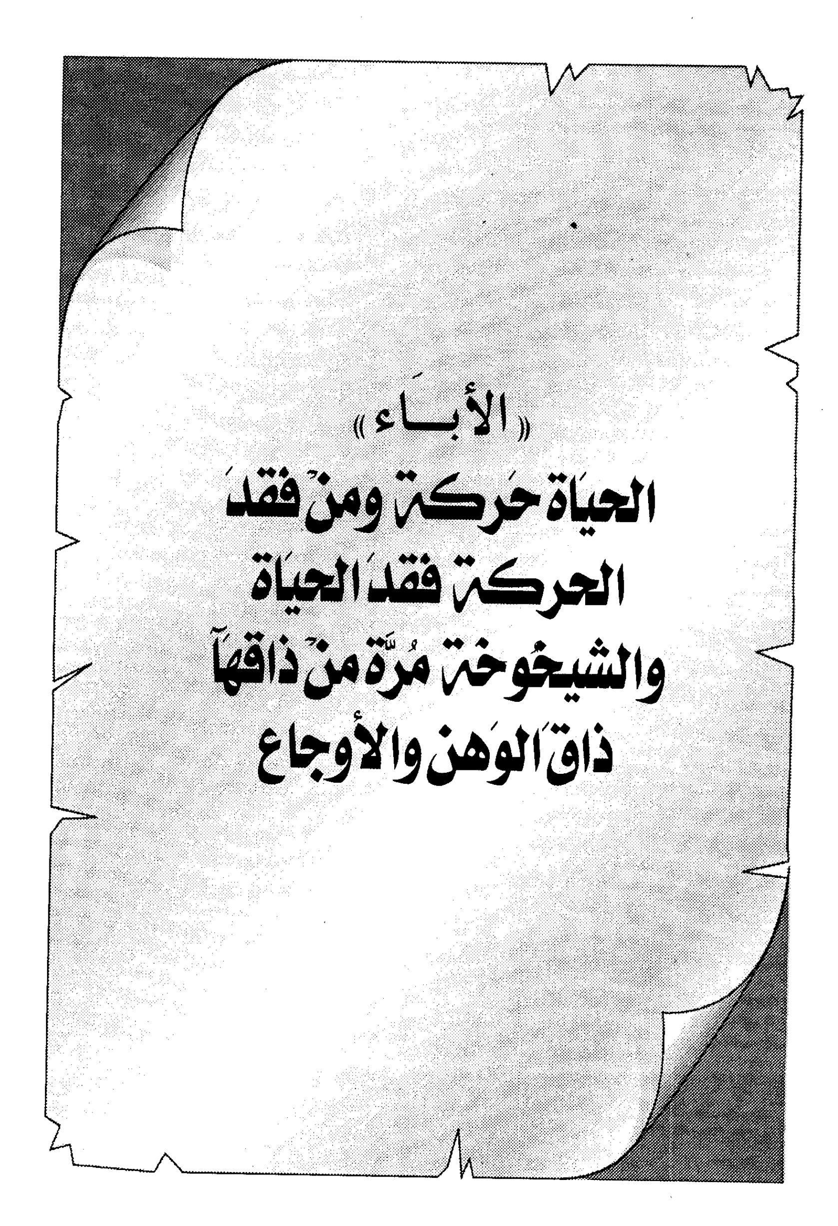
وأسوق لأصْحاب الهم هذه الأقْصُوصة: مرَّ سيدنا إبراهيم بن أدْهم على رجل مهمُوم، عابث الوجه، يْجلسُ القُرفصَاء، ويضع يديه على رأسه، فوقف أمامه سيدنا إبراهيم وقال له: يا صاحب الهم، إنى سائلك عن ثلاث فأجبْنى، الأولى: هل يْنقُص من رزقك شىءٌ قدَّره الله لك؟ قال: لا. هل يْنقص من عمرَك لحظة كتبها الله لك؟ قال: لا. هل يقع فى ملك الله شىء لا يريده الله؟ قال: لا. قال: فعلام ألهم إذًا.

ويقول قائلٌ:

يا صاحب ألهم إنَّ ألهم مُنْفرجٌ	**أبْشر بخير فأنّ الفَارج الله**
اليأس يقْطع أحْيانا بصاحبه	**لا تَيْأسنَّ فإنَّ الصَّانع الله**
اللهُ يحْدث بعد العُسْر ميْسرةً	**لا تجْزعنَّ فإنَّ الكَافىَ الله**
إذا بُليتَ فَثقْ بالله وارْضَ به	**إنَّ الذى يكشف البلوى هو الله**
والله مَالكَ غير الله منْ أحَدٍ	**حَسْبُك الله فى كُلٍ لك الله**

وأخيرًا نقول مع سفْيان الثوروى. ثلاثٌ وأى ثلاث، ثلاثٌ وأى ثلاث وبالله التوفيق.




« الأبَـاء »
الحياة حركة ومن فقد
الحركة فقد الحياة
والشيخوخة مُرّة من ذاقها
ذاق الوهن والأوجاع

بر الوالدين

فليعمل العاق ما شاء فلن يدخل الجنة

الحياةُ حركة ومنْ فقد الحركة فقد الحياة، والشَّيخُوخةُ مُرَّة، ومنْ مشَتْ فيه مشت فيه الأوْجاع، وزاملتْه الأسقام، يمْشى وهو قعيد، يأكل وهو سقيم، يتخاطب وهو كليل، نَسيَ ما كان، ولا يدْرى ما يكون.

قال القائل:

إذَا الرِّجَالُ ولدت أوْلادهـــــا	**وبُليتْ منْ كمْبر أجْسَادُهــــا**
وجعلت أسْقامها تَعْتادُهـــــا	**تلْكَ زرُوع قَدْ دَنَا حَصَادُهــــا**

فمن وصل هذه المراحل، ونزل تلْك المنازل، فقد وَهَن عظْمه، وخفَّ لحمُه، وثَقُل سمعُه، وضعُف بصره، وتنوعَت فيه الأوجاع، وأصْبح غير ما كان قال تعالى: ﴿ **وَمنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾[1].

قال بشر بن موسى:

ضَعُفْتُ ومن جاوزَ الثمانين يضْعُــف	**وينكر منه كلّ ما كــان يَعْـــــرفُ**
ويمْشِي رُوَيْدًا كالأسير مُقيَّـــــدًا	**يُداني خُطـاهُ في الحديد ويرسُـــفُ**

فمن كان هكذا وجبت رعايته، والعناية به، والأحْسان إليه، حتى ولَوْ لمْ يكُن منْ ذَوى القُربى فالأسْلام يأمر بالعناية بالضَّعيف، وألرحمة بالمريض، وألعطف على ألكسير، كما يأمر بأحترام الصغير، وتوقير ألكبير، وألأحسان إلى ذوى ألحاجات حتّى وصل ألأمر فى ذلك إلى أنَّ رسول الله ﷺ تَبرأ من ألذين لا يْرحمُونَ الضِّعفاء، ولا يُوَقِّرون الكبار ولا يهْتمون بهم، فقال ﷺ: «**ليس منّا مَنْ لمْ يرحم صَغيرنا، ويوقِّر كبيرنا**»[2]. وفى رواية: «**ويعرف شرف كبيرنا**» فما بالك بالوالدين أقْرب الأقربين إليك، إذا سرَتْ فيهما ألشيخوخة، دبَّ فيهما الوهن، وتراخت منهما الأعضاء، وتنوَّعت فيهما العلل، هنا يتعاظم الأمْر على الأبناء فيشْعُرون

---

(1) الحج: 5.

(2) متفق عليه.

بالضيق والقلق، والأشْمئزاز والضَّجر، ويَتَبرَّمُون بهما، ويسْتَثْقلونَ حياتهما، فهم يريدَون أنْ يسْعـدوا بأوْلادهم وزوْجـاتهم دون مُنَغِّصـات، ولا مُكَدِّرات، من هنا جاء هذا النصُّ الحكيم ﴿ **إمَّا يَبْلُغَنَّ عندكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾(1).

أى فى هذا السِّنِّ كُنْ عطوفًا عليهما أكْثر، باراًّ بهما أكْبر، رحيمًا فى المعاملة، رفيقًا فى المعَاشَرة، وتذكَّر بعض ما كان منهما من يوم مولدك حتى شَبَبْت وكَبْرت، وهما اللذان عَاونَاك، قَامَا لَك وقَعَدا، جَاءَا فيكَ وذَهَبَا، كَدًّا فيك وتعبا، يسْعدان إذا ضَحكْت، ولا تَسعْهُما الدنيا إذا حَبَوْت، ويطيران من الفرح وأنْتَ مع الصبيان تلْعب أَو إلى المدرسة تذْهب.

أمَّا يوم تخرُّجك فهو يوم يفوق يوم مولْدك، ينتظران الأيام الحاسمة فى حياتك، ولكن بعد الزواج هل لهما نصيبٌ فى حياتك؟ هل بعد الزواج تحس بهما وتشعر بوجودهما؟؟ وهل تعلم أن لهما حقًّا عليك؟ فإذا كنْت تعلم ولم تَعْمل فأعْلم أن دمْعتهما عند الله غالية!! إنها حارَّة ساخنة، دمعة الأم عند الله كالنار الحامية، وأن دعوتها لا ترد، فدعوة ألمظلوم يرفُعها الله فوق ألغمام، ويفتح لها أبواب السماء ويناديها وعزتى وجلالى لأنْصرنك ولو بعد حين. قال ﷺ: «**فليعمل العاق ما شاء فلن يدخل الجنة**»، وقال ﷺ: «**رضا الله فى رضا الوالدين، وسَخَط الله فى سخط الوالد**».

لقد جرى النَّاموس الآلهى أنْ منْ اغْضب والديه فقد أغْضبَ الله عليه، ومنْ أسَاءَ إليهما فلابُدَّ أن يُسَاءَ إليه. فكَما تدينُ تُدان، وبالكيل الذى تكيل به يُكْتَال لك قال ﷺ: «**البر لا يبلى والذنب لا يُنْسى والديَّان لا يموت إعمل ما شئت كما تدين تدان**» فكما فعلت لابُدَّ أن يُفْعل بك. ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾، ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾، وقال ﷺ: «**بروا آباءَكُم تَبرُكُم أبنَّاؤكم**».

لِمَ خُصَّت مرحلة الكبر بالعناية بالوالدين:

خصَّ الله مرحلة الكبر للعناية بالوالدين فى قوله تعالى: ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾، لأنها الحالة التى يتغيَّر فيها حالهما، من حدَّة الذِّهْنِ وقُوَّته، إلى ضَحالة الفكْر وبُرُودته، ومنْ قُوة

(1) من الآية 23 سورة الأسراء

الأحْساس إلى تبلُّد المشاعر، ومن البسْط إلى القبْض، ومن القُوة إلى الضَّعْف قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾(1).

هنا فى هذه الحالة يحتاج ألآباء إلى ألراحة، وإدخال السرور عليهم بالمحادثة، وألمجالسة وألمشاركة، وألمضاحكة، وتْنفيذ رغباتهم فى كل ما عَنَّ لهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سَرَّهُ أنْ يُمدَّ له فى عُمره، ويُزَاد فى رزْقه فلْيبرَّ والديه، وليصل رحمه»**(2).

عبر من التاريخ:

الأولى: جاء فى تفسير القرطبى جـ **5** ص **3973** ط دار الغد العربى. قال: روينا بالأسْناد المتصل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله. إنْ أبى أخذ مالى فقال النبى ﷺ للرجل: **«فأتنى بأبيك»** فنزل جبريل على النبى ﷺ فقال: إن الله يُقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فأسْألْه عن شيء قاله فى نَفْسه ما سَمعتْه أذناه» فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ: **«ما بالُ ابنك يشكُوك أتريد أن تأخذ ماله؟»** فقال سله يا رسول الله وهل أنْفقْتُه إلا على إحدى عمَّاته، أو خالاته، أو على نفسْى!!!

فقال ﷺ: **«إيه دعنا من هذا أخْبرنى عن شيء قُلْته فى نَفْسك ما سَمعتْه أذناك»**؟ فقال الشيخ: والله يا رسول الله مازال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا. لقد قلتُ فى نَفْسى شيئًا ما سمعته أذناى قال: **«قل وأنا أسمع»**.

قال: قلت:

غَذَوْتُك مولوداً وعُلْتُك يافعًا	**تُعل بما أجْنى عليك وتَنْهلُ**
إذا ليلة ضاقتك بالسُّقْم لم أبت	**لسقْمكَ إلا ساهراً أتململ**
كأنى أنا المطروق دونك بالذى	**طرقت به دُونى فعينى تَمهل**
تخاف الردى نفْسى عليك وإنها	**تُتعلم أن الموت حق مؤجل**
فلما بلغْت السنَّ والغاية التى	**إليها مدى ما كنت فيك أؤملُ**

---

(1) ألروم: **54**.

(2) رواه الطبرانى وابن ماجة.

جعلت جزائى غلظةً وفظاظة كأنك أنت المُنعم المتفضلُ

فليتك إذْ لمْ ترْع حقَّ أبُوَّتى فعلت كما الجار المصاحب يفعلُ

قال : فحينئذ أخذ النبى ﷺ بتَلابيب الولد وقال : «**أنت ومالك لأبيك**» . ومعنى هذا كأنَّ ألوالد يقول لولده : يا بنىّ لا تَنْس يوم أنْ غذوتُك وأنت جنين ، ومنحتُك حُبى وأنْت رضيع ، وأحْسنْتُ تَنْشئَتُك وأنْت صغير ، . . . . وإذا ألمَّ بك ألَمْ ، أو أصَابك مرض ، أوْ جاءك مكْروهَ ، لمْ يهْنأ لى بال ، ولمْ يغْمض لى جفْن ، وأظلَ ساهرْا أرْقُب النجوم ، وأعيد عدَّهَا ، أرفَعُ يدىّ إلى السماء ، والدموع تملأ عيْنى ، ومن قطراتها يعْتصر جسدى ، أتَملْمَلُ من القلق والضجَّر ، وكأنى أنا المصاب ، وكأنى أنا المريض بهذا المرض الذى أتاك دونى ، وكنت أتمنى أن يكون فىَّ وأنت الصحيح المعافى ، ولكنىّ لا أملك إلا الدعاء ، أنْ يحفظَك الله لى ، وأنْ يَطيل فى عمرك ، مع علمى اليقينىّ أنَّ الموت حق لاشك فيه . . .

ولَمَّا إسْتَجاب لى ربى ، وعلم ضعْفى ، فشفاك ومنحك ألقوة وألجمال وصرت شابًا فتيًا ، وبلغت مبلغ الرجال ، وتحقَّق حُلْمى الذى كُنْت أتمنَّاه ، وقُلت لنفْسىَ فى نَفْسى ، أنت أملى فى تحقيق سعادتى أنت أملى فى تحقيق ما عجزت عنه نَفْسى ، أنت رجَائى فى تخْفيف ألعبء عن كاهلى ، أنت عدَّتى وذخيرتى للنَّائبَات والمُلمات . . ولكن خاب أملى فيك ، وضاع رجائى الذى كنت أرجوه!!! تبخرت الأحلام ، وذهبت الآمال ، وطاشت الأفْكار ، واصبحت كل آمالى فى مهب الرياح ، لقد جعلت جزائى غلْظة فى قَوْلك وعَملك ، وفظاظةً فى سرك وعَلَنْك ، عاملتنى يَا بُنىّ بغلظة ما كنتُ أتَوقّعها ، وقّساوةُ ما كُنْتّ أعَّهدها ، جّعلْتَ الأساءة مقابل الأحْسان والله تّعالى يقول : ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ لقَدْ أنْكرت الجميل يا بُنى ، أنْكرت مّودَّتّى ، وجّحدّتّ أبوَّتى ، وأعْطيتنى بقدر ، ومَنَنْتَ بما أعْطيبت ، كأنَّك السيد وأنا المسود ، أنْت القائد وأنا المقُود ، وكأنَّكَ أنْت المنْعم المتفضّلُ!!!!

فَليتَك يا ولدى إذْ لم ترْعَ حقَّ أبوَّتى ، ولم ترْحمْ شَيبتى عَاملْتنى مُعاملةَ الجار أوْ مُعاملة الصَّديق ، أوْ معاملة الأخ لأخيه ، ولكنَّك عاملتنىَ بحذر ، وكأنِى لكِ العدُوَّ المنتظر ، الذى يتربَّصُ بك الدوائر .

يا بُنىَّ أنت الأمل الذى ضاع ، والحلم الذى لم يتحقق ، ولم يبْق لى إلا أنْ أرفع

شكواى إلى ربى وأقول يا رحمن الدنيا والآخرة أرْحم عبداً ضعيفًا لا يملك دنيا ولا آخرة. وفى ختام المظلمة أمْسك النبى بتلابيب الأبن وقال قولته المشهورة: «**أنت ومالك لابيك**».

الثانية:

قالوا: إنَّ الأمام على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه: كان يطوف بالكعبة ذات يوم ومعه ولده الحسن فَسَمع صوتًا حزينًا يردِّدُ هذه الأبيات:

يا منْ يجيب دعاء المضْطر فى الظُلم — يا كاشف الضُّر والبلوى مع السَّقَم

قدْ قام وفْدُك حوْل البيت وأنتبهوا — وأنْت يا حَى يا قيّومُ لم تَنم

هبْ لِى بجودك ما أخْطأت من جُرم — يا من يجُودُ على العاصين بالكرم

إنْ كان عفْوُك لا يرْجُوهُ ذوسفه — فَمنْ يجود على العاصين بالكرم

فقال الأمام لولده: يا بنىَّ أمَا تَسْمَعُ النَّادبَ ذَنْبه، والمعاتب ربَّه؟ إذْهب إليه وأتنى به يا حسنْ فَذهب الحسن وجاء بالرجل فَإذا هو رجلٌ مشْلُول، قدْ شُل جنْبُه، ويَمينُه، ويتوكَّأ على عصا وعلى ولَد لَهُ، فقال الأمام: ما شأنُك؟ قال الرجل: شأنى يا إمام شَأنُ مَنْ أخذ بالعَقُوبة، ثم عُجِّلتْ له: وما ربُّك بظلام للعبيد. !!!

قال الأمام: كيف؟ قال: لما بلغْت مبْلغ الرجال أنْعم الله علىّ بالعافية وهى النعمة لا تَتمُّ الحياةُ إلا بها ولكنى هَوَيْتُ بها إلى القاع، وسخَّرْتها فيما يُغضب الله وزيَّن لى الشيطان سوء عملى. كُنْتُ أفْعل ما أريد، وأتْرُكُ ما لا أريد، دُونَ وازع منْ خُلق أو دين، وكان هذا السلوك المعْوجَ يزعج وَالدى، ويثير حفيظَته، فلا يهْنأ بطعام ولا شراب، وكثيراً ما أرْشدنى وكان دائمًا يقَابَلُ بالصَّد والأعراض، فلمَّا ألحَّ علىّ كثيراً ضايقنى، وأقْلقنى فنصحته ألا ينصحنى ثانية، وزجَرته ألاَّ يتعقَّبنى. .

وذات يوم يا إمام دخل الوالد فجأةً فرآنى مع ثُلَّة من أصحاب، وكُنَّا نجْتمع على معْصية فغضب أبى وأخذ يصيحُ ويُهدِّدُنى، ويسبّ ويتَوعَّنى، وإحْمرَّ وجهه، وإنتفخت أوْداجهَ، فَلم أطق صبراً على إهانتى أمام زملائى فقُمت إليه ولطمْتُه على وجْهه وأنا لا أدرى فوقع أمامى على الأرض، نظرتُ إليه فوجْدتُ دمعةً تَتَأرْجحُ فى عيْنَيه، وكأنها تقول لى، لِمَ فعلت هذابأيك؟ لم فعلت هذا وأنت له ظالم

لم فعلت هذا؟؟؟

ثم نظر أبي إلى السماء وقال : يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين ، يا ارحم الراحمين ضَعُفَت قُوايَ وقلَّت حيلَتي يا سَنَدي فَخُذْ بحقِّي يا رحمنُ من ولدي ، وشُلّ بجود منك جانبه يا منْ تقدَّسَ لم يولَد وَلم يَلد : وكأن أبواب السماء كانت مُفَتَّحة ، فوالله يا إمام ما فرغ أبي من دعوته حتى وقعْتُ بجانبه صريعًا مشْلولاً كما ترى . قال الأمام : صدق رسول الله القائل : «**دعوةُ المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء وينادِيها وعزتي وجلالي لأنْصرنك ولو بعد حين**»(1) !!! .

هَاتَان صُورَتَان منْ صُور العُقُوق المظْلمة ، وهُما وإنْ كَانَتَا حَدَثَتا في الماضي ألا أنَّنا نراهُماَ كثيرًا فِيَ حياتناَ ، فكم من والد يعيشُ مُهَمَّشًا في أسْرته لا يَسْأَلُ ولا يُسْأل ، إذا تكلَّم فكلامُه ثقيل ، وإذا طلب فَطلبُه مرْفُوض ، وإذا إقترحْ فافْتراضُه غيرمقْبول ، ويقابل بالصَّدِّ ، والأعراض ، والأشْمئزاز ، كَمْ منْ والد يعيشُ معْزولاً في غرفة نائية محرومًا من الحنان والكلمة الطَّيبة !!!

كم من والد يعيش على ظهْر الأرض وبْطنُها خيرٌ له منْ ظهْرها ، يبْحثُ عن الموت والموتُ عنه لا يبْحثْ ، ولكنَّه يسْترجع فيقول : «**إنا لله وإنا إليه راجعون**»

مَلكٌ تقُوم الحادثات لعدْله — فَكُلُ حادثة لها ميزَانُ

تتصرَّف الأشْياءُ في ملكُوته — ولكلِ شيء مدَّةٍ وأوان

الثالثة: في العصر الحديث:

قصَّت علينا صُحف الأحداث المعاصرة أنَّ رجلاً من أهل اليسَار والسعة ، كان مُتبوِّءًا منْصبًا مرْموقا معروفًا ، في الأوساط المالية والقيادية ، والاجتماعية ، وكان يعيش مع زوجته وأمه وأولاده ، وضاقت الزوجة بالأم فضيَّقت عليها الخناق ، وأخذت ترمُقُها ببصرها ، وتعد خطواتها ، وكل يوم تشْكوها لزوجها ، حتى إنْقلب الزوج على أمه ، فأخذ يكيد لها ، ويشْكو سُوءَ تصرُّفها ، ومن كثرة الضّغط على الأم أُصيبتْ بالجنون ، فكانت تقوم من الليل وتصيح فقالت الزَوجة : هل سنظلُ في هذا الشقاء منْ أجل أمك ، ومكانتنا الأدبية لا تسْمح ، ووضْعنا الأجتماعي يْهتز ويتغير . فقال الزوج : وماذا أفعل وقد ضقْتُ زرْعًا بها؟ قالت : إنَّ أمك تصْعد كل يوم في الصباح والمساء إلى السَّطح فأصْعَد وراءها ثم إقْذفْها من فوق السطح ، فلا

(1) رواه مسلم .

يدْرى بموتها أحد، والجيران يعلمون أنها مجنونة، ودارت الفكرة فى رأس ابنها، وبعد صراع عنيف بين ضميره، وزوجته، بين عقْله وشهْوته هداه شيطانه أن يطيع زوجته ويقْذف بالأم منْ عَلُ، وصعدت الأم كعادتها، وصعد إبنُها وراءها، ووقف خلْفها ثم رماها من الدور الثالث فماتتْ، ونعاها فى الصحف، ونصب السرادق، وتوافد الأهل، والأصحاب، وجيىء بكبار الزَّوار، ودارت فناجين القهوة على المعذين ولا أحَدَ يعلم سرَّ موْتها، ولا أحدَ من أهْل الأرض يعلم من الذى قتلها، لا أحد يعْلم سبَبَ وفَاتهاَ أهى جنائية أم عادية وطبيعية؟ ولكنّ الله يعلم مَنْ قتلها، وعُرضت القضيَّة على أحْكم الحاكمين ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾(1) عُرضت القضية على أحكم الحاكمين، وتَقدَّمت الأم بشكواها:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتـــدراً … فالظلم آخره يفْضـى إلى النـدم

تنام عينـك والمظـــلوم منتبـــه … يدعو عليك وعـــين الله لم تنم

وجاءت حصة العقاب الدنْيوىّ «البر لا يبْلى والذنب لا يُنْسى والديَّان لا يموت أعمل ما شئت كما تين تدان أصيبَ الأبن بالجنون الذى كان سَبَبًا فى جنون أمه، وفى نفْس الوقت والمكان صَعَد عَلى السَّطح، وجاءتْ نَوْبة الجنون فَرَمى بنفْسه من الدور الثالث فسقط ميتًا فجاء الناس وأخذوه إلى أين؟ إلى محكمة العدل الآلهية التى كُتب على بابها ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾(2).



(1) الأنبياء: 47.
(2) إبراهيم: 42.



الأم
في الجاهلية والإسلام
هي كوثرُ الحب والحنان،
هي البلسمُ الذي يُداوي الجراح
المتربّعة على عَرْش القلوبِ في
كلّ زمانٍ ومكان
الأم

الأمر بطاعة الأم

الأم هي منْبع الخير والبركة، هي كوثر الحب والحنان، هذا أصل الخصُوبة والعطاء ومهْما تعاقبت الأيام، وكرَّت السنون والأعوام فالأم هي الأم في حنانها في وفائها في إخلاصها، هي صاحبة المكانة المرموقة المتربعة على عرش القلوب في كل زمان ومكان، هي ألملجأ الآمن ألذى يأوى إليه ألأبناء، والحصْنُ الذى يتحصَّنُون به عند الشدائد والملمات، تشرئب لها الأعناق، وترنوا إليهَا الأبصار، وتهفوا إليها القلوب، ويرتاح على صدرها ألأبناء، الصغار والكبار، الأغنياء والفقراء، العظماء والبسطاء كلهم يرْتَمون في حجرها، ولا تهدأ نفُوسهم إلا عل صدرها فهناك يجدون الراحة النفْسية، والسكينة القلبية، وهم يضعون رؤوسهم فوق صدرها؛ لأن أصالة ألأم تسْرى إلى الطفل مُنْذ نشْأته الأولى وهو في بطنها حيث يتغذى من صدرها من لحمها ودمها، ثم تسرى أصالته في نشْأته الثانية وهو رضيع حيث يرْتَضع اللَّبنَ من ثَدْيها وأللغةَ منْ فَمها وألحب وألحنان من قلبها لذلك...

أنزلها الأسلام منْزلاً رَضيًّا، ورفعها مكانً عليًّا، وأعطاها من التكريم ما يليق بها، فأمر ببرها، وألأحسان إلَيها، لأنَّها أصل أصيل في وجود الولد ومن لا يحترم أصله ويحْسن إليه فلا يسْتحق الأنتماء إليه، كما أعْلن أن هذا البر وذاك الأحسان لَيْسَا منْحةً من الولد لأمه، ولا تفضُّلا منه، أو تكرُّما عليها، بل هو حقٌّ ثابت لها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال تعالى في سورة النساء: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾(1) وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» (ثلاثا) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الأشراك بالله وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور. وشهادة الزور**» فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت. متفق عليه.

هذا الحكم المبرم لا يقْبل التبديل، ولا يعْترف بالتعديل أو التحريف، وكل الأبناء ملزمون بهذه النصوص، ومن شذ منه شَذّ إلى النار، ولا عذر لأحد أمام الله.

---

(1) ألنساء: 36.

الأمر بالطاعة والبر

وأنا هنا لا أكَرّرُ ألقول ألمعروف وألمشهور منْ أنّ ألأحسان إلى ألأم نظير ما لاقَتْ من أثقال الحمل ومشقّة ألولادة والسَّهر والتَّعب إلى آخر ما قيل فى هذا الباب وهو حقٌ وصِدْق نؤمنُ به ونضعه فوق رؤوسنا، ولكنّى أقول: إن الأحسان إلى ألأم أمْر . . . أمْرٌ صدر عن ألجناب ألأعلى عن ألحضرة ألألهية فى آيات مُحْكمات هُنَّ أم الكتاب، لم يتعرَّضْ لَهُنْ نسْخ، وليْست من ألمتشابهات فقال وقوْله حقّ، وقضي وقضاؤه ليس له مَرَد، من فوق سبع سموات. قال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا ﴾(1). وأمْر الله لا يحتاج إلى تَبْرير، أمْر الله لا يحتاج إلى تعليل ولا يقْبل السَّفْسطة أو التَّهْميش.

ولقد هدَّد ربَّ ألعزة كل منْ تمرَّد على أوامره، وكل من نقض ألعهد وألميثاق، فقد إسْتحقّ عقابه، وألطرد من رحمته بصرف ألنظر عن ألأم وَمَا قدَّمت، ولله تعالى حكمة فى هذا ألأمر، فقد علم سبحانه بعلمه ألأزلى ألذى لا يغيب عنه شيء أن الأم عندما تكون فى كنف ألأبن، وتحت رعايته، وأصبحت كَلاً عليه قد يصيبُه ألملل، ويشعر بالضيق والقلق، وتحْتويه الكراهية وألغضب، وخاصة عندما تزْحف عليها ألشيخوخة بأحمالها وأثْقالها، وألشيخوخة طفولة مُرَّة مرارة ألصبر، جامدة لا ليُونة فيها، مشوبة بالمنغّصَات، تكْتنفُها ألفواجع وألنوازل، فتصيحُ لا حول لها ولا قوة، فقد وهن عظْمها، ورقَّ لحْمُها، وأشْتعل ألرأس شيبًا، عندئذ لا ترى فيها إلا قلْبا مُحطمًا، وجسدًا مُهدَّمًا. لا يقْوى على ألحركة، لا تسْمع لها حسًا ولا خبْرا، تنْكفىءُ فى رُكْن منْزو بعيد، وكأنها ضيفٌ ثقيل، غير مرغوب فيه، منْ هنا جاء الأمر ألحكيم ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾(2).

جاء هذا الأمر الحكيم الذى يفيض رقَّةً ورحمة بألا يتَنَكَّر الأولادُ لأمهم، والا يكونوا حرْبًا عليها فوق حرب الزمن، وألا يتْركوها فريسة للأوْهام والظنون، والمرض وألشيخوخة، فهى فى هذا الوقت بالذات فى أمسَّ الحاجة إلى العناية والرعاية والحب والحنان، والعطف والترفّق وهدوء البال، وتوفير جَوّ من

(1) الأسراء: 23.
(2) الأسراء: 23.

السعادة بمشاركة ألأسرة لها، ولذلك أعْلن ألأسلام أنَّ مَنْ أرْضَاها، وخفَّف عنها ما بها فقد أرْضى الله تعالى، ومن أسْخطها وأغْضبها فقد أغْضب الله تعالى، منْ أحسن إليها فقد شكر ربه، ومن أساء إليها فقد كفر بنعْمته، وهى البابُ الموصِّل إلى الجنة أو النارعن معاوية بن جاهمة أنَّ جاهمة جاء إلى ألبنى ﷺ فقال: يا رسول الله أردْت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال: هل لك من أم؟ قال نعم قال: فَالْزَمْها فإن ألجنة عند رجْلها) (1).

أخى المسلم:

إن الله تعالى كرَّم الأم ولم يجْعل لهذا ألتكريم يومًا معَّينا، ولا زمنًا محددًا وهذا ألتكريم يتمثل فى طاعتها، والعمل على راحتها، وحُسْن معاشرتها وبرُّها دليل الأيمان، والأيمَانُ لا يسْتقيم مع الأساءة إلى الأم والصلاح والتقوى لا ينْفع مع غضب الأم، والجنة محرمة حتى ترْضى الأم، وهى الباب الموصل إما إلى الجنة وإما إلى النار **«فلْيعْمل العاق ما شاء فلنْ يدْخل الجنة»**.

موسى والعبد الصالح:

قالوا إن سيدنا موسى عليه السلام فى لحظة قُرْب مع الله عزَّ وجل قال: يارب أرنى رفيقى فى الجنة، فأوحى الله إليه بأنه أول مَار علَيه، وبعد برهة من الزمن، مرَّ عليه رجْل صالح فسلم عليه وأصطحبه موسى ومَّشى معه حتى دخل بيته، فقام الرجل، وأتى بقطعة لحم، وأطعم إمرأة عجوز حتى شبعت وسقاها حتى إرْتوت فقال موسى: من هذه؟ قال: أميّ. قال موسى: أراك باراً بها، فاطْلب منها الدعاء. قال الرجل: الحمد لله إنها تدعَو كثيراً ولكنها لا تزيد عن دعوة واحدة إنْها تقول: اللهم إجعل إبنى رفيق موسى فى الجنة!!! ولكن أين أنا من موسى!!! إنه كليم الله. فقال موسى: أبْشر يا أخى فأنا موسى وأنت رفيقى فى الجنة.

طاعة الأم مقدمة على طاعة الأب

لذلك أفْردْت لها بابًا خاصًا بها، ومقالاً أرجو أن يوفِّيها بعض حقوقها، فلقد مدحها القرآن الكريم، وأثْنى عليها رب العالمين، وأمر بحْسن معاشرتها ورغّب فى

(1) رواه إبن ماجة والحاكم وقال صحيح الأسناد والمقصود بقوله ﷺ إن الجنة عند رجلها: أى أن الجنة تكتب لمن ذَلَّ لأمه وبرَّ بها.

برِّها، وحَذَّر من غضبها قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ (1) وقال للأزواج: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(2) فكان ذلك تقديرًا لطول صبرها، وشدَّة ما لاقَت في الحمل، والأرضاع، والتربية. من هنا كانت طاعتها مقدمة علىَ طَاعة الأب، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحقُ الناس بحُسن صحابتي؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**أبوك**» رواه البخاري عن أبي هريرة.

وروى عن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل فقال: إنَّ أبي في بلد ألسودان وقد كتب إليَّ أنْ أقْدمَ عليه، وأمِّي تَمْنعني منْ ذلك!!! فقال له: «**أطعْ أباك ولا تعْص أمك**» وقد سُئل ألليْث بن سعد في هذه ألمسألة فقال ما معناه: على ألأبن أنْ يستجيب لكلام ألأم ولا يسافر. لماذا؟ لأن ألأم لها ثلاثة أرباع البر ٣/٤ والأب له ربع واحد وذلك على مقتضى حديث أبي هريرة، ومعنى هذا أن ألأم لها الحق في العناية، وألرعاية أكثر من ألأب.

نداء الأم حق مجاب

نداء الأم لابدَّ أن يُسْمع، وكلامها لابد أنْ يقْبل، وطلبها لا يُردّ، ويؤْخذ مأخذ الجد، ويقْبل بقبول حسن.

نداء الأحقٌ مجاب حتى لو كنْت واقفًا بين يدى الله في صلاة النافلة، روى الأمام البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**لم يتكلَّم في المهد إلا ثلاثة، عيسى بن مريم، وصاحب جريج**» وكان جريج رجلاً عابداً فأتخذ صومعةً فكان فيها فأتتْه أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج فقال: يارب أمي وصلاتي فأقْبل على صلاته فانْصرفت، فلما كان من الغد أتَتْه وهو يصلي فقالت: يا جريج فقال: أيْ ربِّ أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فأنْصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج؟ فقال: أي ربّ أمي وصلاتي فأقْبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تُمتْه حتى ينظر إلى وجوه ألمومسات(3)، فتذاكر بنوا إسرائيل

(1) ألأحقاف: 15.
(2) ألنساء: 19.
(3) المومس: المرأة البغي. الزانية.

جريجًا وعبادته، وكانت إمرأة بغيّ يُتمثَّلُ بحسْنها فقالت: إن شئتم لأفْتننَّه، فتعرَّضَت له فلم يلتفت إليها، فأتتَ راعيًا كان يأوى إلى صومعته فأمْكنتْه من نفْسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج فأتَوْهُ فاسْتَنْزلُوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغيّ فولدتْ منك، قال أين الصبيّ؟ فجاءوا به فقال: دعونى حتى أصليّ فصلَّى فلما إنْصرف أتى الصبيّ فطعن فى بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعى، فأقْبلوا على جريج يقبلونه، ويتمسَّحُون به وقالوا: نَبْنى لك صومعتك منْ ذهبْ قال: لا. أعيدُوها من طين كما كانت ففعلوا!!!!!.

هذه هى الأم، وتلك مكانتها، سمع الله قولها، وحقَّقَ مطْلبها فى ولدها وأعطاها من التكريم ما لم يعطه لأحد غيرها، فَقَرنَ طاعها بطاعته، وحكم حُكْمًا مبْرمًا لا يتغيَّر، بأن منْ أطاعها دخل الجنة، ومن عصاها دخل النار، وهذه الطاعة ليْستْ منْحةً من الولد، ولا تفضُلاً، ولا تكرُّمًا منه، بل هى واجب حتْمىّ، حكم بها الحكيم العليم من فوق سبْع سموات.

وأيضًا هذه الطاعة:

لا تُقيَّد بقيْد، ولا تُحدُّ بحدّ، ولا يُحْصيها عدّ، وليْس لها وقْت معيَّن، أو مكان محدَّدْ، بل هى فى كل وَقت وحين، باقية ببقائها مُمْتدَّة حتى بعد وفاتها، فَمَنْ غير الأم فى العالم يسْتحق هذا التكريم؟ ومن غيرها أوْلى برد الجميل.

الأم:

حملتك فى بطنها وهْنًا على وهن، وألمًا يعْقبه ألم، وكلَّما زاد ألألم، زاد رجاؤها فيك إنَّها تسْتعْذب ألعذاب، وتسْتحْلى ألصعاب، وتنْقلب ألدنيا فى عينيها إشْراقة كلّها أمل، فأنت ألنور ألذى يبدِّدْ ألظلام، وألأمل ألذى يمْلأ عليها أقطار ألحياة، فإذا قوى ساعدك، وإشْتد عودُك، وبلغت مبْلغ الرجال، تنكَّرت لمن أحسنت إليك، ونسيت ما قَدَّمت، فقابلتها بالصدِّ والأعراض، والجحود والنكران، فإذا تقدَّم بها العمر، وقعت تحت جناح الذّل والمسْكنة، فقد سُلب منها ما كان حقًا لها، وأصبحت عبئًا ثقيلاً على ألأسرة، لا حول لها ولا قُوَّة إذا تكلمت فكلامها ثقيل، وإذا طلبت فطَلبها مرفوض، وإذا إقترحت فاقتراحها غير مقبول،

وأصبحت أقوالها وأفعالها تثير ألسُخْرية وألأشْمئزاز، وتبعث الضَّجر وألقلق فى نفوس ألأبناء، تغيرت الدنيا، وأنْقلبت ألموازين، وإخْتلت ألمعايير وهنا يكون ألعقاب ألرادع قال ﷺ: « **فلْيعْمل العاق ما شاء فلنْ يدخل الجنة** ».

وفى هذا الحديث الشريف الذى رواه الأمام البخارى يقص علينا رسول الله ﷺ هذا ألقصص ألجميل، لعابد منْ عُبَّاد بنى إسرائيل لنأخذ منه ألعظة والعبرة هذا ألعابد إعْتزل النسا، وتفرَّغ للعبادة وهذا ألنوع من ألعبادة كان معْروفًا فى ألديانات ألسابقة بالرهبنة، وألراهب هو ألذى إعْتزل الناس، وتخلَّى عنْ أشْغال الدنيا، وملاذِّها من ألطعام، وألشراب، وألنكاح، وإنقطع للعبادة فى كهْف أوْ صومعة.

والسبب فى تلك ألعبادة أن الملوك بعد عيسى عليه السلام غيَّروا وبدَّلوا، وحملوا ألناس على إرتكاب ألمحارم، فأنْكرها عليهم مَنْ بقى على عهد عيسى فَقَتَلوهم، فقال قَوم بَقُوا بعدهم نحْنُ إذا تَصدَّينا لهؤلاء الظلمة قتلونا فَفَرُّوا بدينهم، إلى ألكهوف، وألصوامع، وإعتزلوا الناس، وتحملوا كُلفًا زائدة على ألعبادات ألتى كانت واجبة عليهم منَ اللباس الخشن، والطعام الخشن، وإعتزال ألنساء، وتَرْك الشهوات والملذات، فَلما جاء الزسلام أعلن أن العمل عبادة، وأن الأيمان والعمل قرينان متلازمان ولذلك قال ﷺ: «**لا رهبانية فى الأسلام**».

والراهب خلاف[1] الأرهابى فألأخير وصْفٌ لمن سلك سُبل ألعنف لتحقيق أهدافه بخلاف ألأول فهذا الراهب بنى لنفسه صومعة وإعتزل الناس، وتفرغ للعبادة، وبينما هو فى خلوته، مسغْرق فى عبادته. جاءتْه أمه فى حاجة لها، ولم ندْر ما هذه الحاجة، فنادتْهُ ثلاث مرات، وهو يسْمع لكنه لم يَرُد عليها لأنه كان فى حالَة قُرْب مع الله عز وجل، فلا يريد أنْ يصرفه صارف عن هذه اللذّة، أو أن يشْغله شاغل، حَتى لو كانت الأم، فانْصرفت غاضبة قالت: اللهم لا تُمتْهُ حتى يرى وجوه المومسات أىْ يرى وجْه زانية.

إنه لم يُرد إهانتها، ولم يقْصد إحراجها، ولم يتعمَّد إغضابها، ولكنه كان بين

(1) أالأرهابى . من أرْهَبَ يقال فلان أرْهبه أى خوَّفه وفزَّعه، وأالأرهابيون وصف يطلق على ألذين يسْلكُون سبل ألعنف لتحقيق أهدافهم ألسياسية أما الراهب ، فهو من رَهَبَ وألتَّرهب هو ألتعبُّد ومصده ألرهبه- وألرهبانية ألفعْلةُ ألمنسوبة إلى ألرهبان قال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾[الحديد :27]

خيارين كلاهما أحْلى من الآخر، طاعة الأم وطاعة الرب، فأختار فى نظره أحْسَنهُما وأفْضلهما يدلُّ على ذلك قوله: (أى رب أمى وصلاتى فأقْبل على صلاته) وذلك فى المرات الثلاث، فأنصرفت الأم غاضبة وَدعتْ عليه أن يُبْتلى بذنب لم يفْعله اللهم لا تمته حتى يبتلى بزانية، وفتحت السماء أبوابها لدعاء الأم، وأستجاب الله هذا الدعاء، فدعوة الأم لا تُردّ بالرغْم منْ أنه كان فى صلاة إذًا. . . طلب الأم أولى من صلاة النافلة، أولى من الذكْر، والتسبيح، لأن السنة لا ترقى إلى الفرض بل الفرض مقدم على السنة.

تذاكر بنوا إسرائيل جُريجًا وعبادته، وتناقلوا أخْباره فى ألتقوى، وألصلاح، وألورع وصار مضرب الأمثال، يضْرب به ألمثل فى ألسلوك وألخلق ألحسن، وكان هناك بغَايا معْروفون. قالت إحداهنَّ: لا تمدحُوه لأنه لم يفْتَتَنْ، . . . ولم يختبر والأنسان لا يُعرف إلا إذا أبتلى فصبر، أو مُنح فشكر، وإنْ شئْتم لأفْتننَّهُ لكم، فذهبت إليه، وعند الصومعة نادت عليه، مرة ومرة، لكن الرجل لمَ يلتفت إليها، ولم يسْتمع إليها، ولم يقْطع خلْوته، وحفظه الله من شرها وردّ كيدها فى نحرها، فنامت بجانب الصومعة، وكان هناك راع للغنم يأوى إلى الصومعة كلَّ ليلة يبيت عندها فوجد المرأة فأمْكنتْه من نفْسها فوقع عليها فحملت فلما وضعت قالت: هو من جريج.

وبدون ترو أو تفْكير خرج الناس كلُّهم رجالاً، ونساء، وأطفالاً بعصيِّهم ومعاولهم، فاسْتنْزلوه، وهدموا الصومعة، وإنهالوا عليه سَبًّا، وقذْفًا، ولعْنًا، وضربا، وهو لا يدرى ولا يعلم لذلك سببًا، قال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه المرأة فولدت منك. قال: أين الغلام؟ فَجىء به فقال: دعونى لحظات حتى أعرض الأمر على صاحب الأمر (دعونى حتَى أصلى) فلما فرغ أقبل على الغلام وطعنه فى بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ فنطق الغلام وقال: أبى فلان الراعى!!!

وذهل الجميع، وفتحوا أفواههم، ووضعوا أيديهم على رؤوسهم، وأقبلوا على جريج يقبلونه، ويتمسَّحُون به، ويطلبون العفو والصفح عمَّا بدر منهم وقالوا: نبنى لك صومعتك من ذهب؟ قال: لا. بل أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا.

أرَأيْت الأم؟ أرأيت كيْف إسْتقْبلت السماء دُعاءها؟ أرأيت كيف إسْتُجيب لها؟ أرأيت فضْلها وكرامتها؟ ألا فليْعلم الأبْنَاء هذا!!! حتى يعودوا لأمَّهَاتهم. ومن هنا أوجِّه إليهم هذا النداء فأقول:

أيها الأبناء: عودوا لآبائكم. عودوا إلى إمهاتكم وقَبِّلوا الأرض من تحت أقدامها. عودوا إلى ساحة الرضى فأبواب الرضى مفتَّحة «**الجنة تحت أقدام الأمهات**». لقد ابتُلى هذا العباد بهذا البلاء المُبين لماذا؟ لأنه شُغل بربه عن أمِّه، وإسْتَحْلى الطاعة عن الأجابة. لم يكن فى لهو، ولعب، وشرَاب، بل كان فى عشْق، وشوق وصفاء، كان واقفًا بين يَدَى الله، وهذه الطاعة لم تغْفر له إهْماله لأمِّه، لأن الأم لا تُهْمل، ولا تُهَمَّش، وحقهاَ ممتد فى حياتها وبعد فواتها.

الأم، نداء الأم حقٌ مجاب حتى لو كُنت واقفًا بين يدى الله[1]، لأنها أصْلٌ أصيلٌ فى حياتك، وسبب حقيقى من أسباب وجودك، ولولاها لم يكنْ لك ذكْرٌ ولا وجود.

الأم: برُّها لا يخضع للتفْصيل، وطاعتها لا تخضع للتعْيين، والبر كلمة جامعة لكلَ خير، وألعقوق كلمة جامعة لكل شَرّ من أدناه إلى أعلاه.

الأم: إنْ أحْسنت إليها أحْسن الله إليك، وإن أسأت إليها غضب الله عليك، هذا العابد.. لم يُرْد أن يقطع لذة العبادة، وهو فى إعْتقاده أنه لم يقْترف إثمًا، ولم يرتكب ذنبًا، فلم يعْبث فى وجهها، ولم يفضّل عليها غيرها، ولمْ يحرمها من متع الحياة، أو يتْركها عالة على الناس، ذنبه الوحيد أنه فَضَّل عليها طاعة الله، لذلك أجاب الله دُعَاءَها فيه، وإبتلاه بهذا الأبتلاء العظيم، ولكن بفضل الله ورحمته، صرف عنه السوء، وكشف عنه الضر، وأيده بنصره فأظهر براءته أمام العامة والخاصة، وعاد كما كان.

منْ يكْشفُ السُوءَ غيرُ اللهِ مُوجِدنا	**إنْ مسَّنا الضُر مَنْ نرجُو إلا هُو**
ومن يعينُ إذَا عظُمتْ شَدائدُنا	**وإنْ ألمَّ بنا شَرٌ دعَوْناهُ**
منْ ذَا الذى يسْمعُ الشكْوى ويرْفعُها	**ويسْتجيبُ لخلق الله إلاَّ هو**

(1) فى صلاة النافلة.

كلمة أم فى الجاهلية والأسلام

كلمة أم كلمة غالية، لا تكَادُ تُذْكر إلا ويذْكر معها ألتقدير وألأكْبار يذكر معها الحب والحنان، والدِّفء والعطاء.

والأم فى اللغة. أصْل الشيء وأسَاسَه، من الحيوان، والنبات، والوالدة، وكل شيء يتْبعه فروع. ويجمع على أمَّات وأمهات، وفى ألعصور ألموغلَة فى ألقدم قبل ألأسلام ظلَّ ألناس دهوراً طويلة يْنتسبُون لأمَّهَاتهم دون آبائهم، لأنَّهم يعْتقدون أنَّ ألأم هى سرْ وجودهم، وأصْل حياتهَم فالولاءلها أقْوم، والأنتماء إليها أصْلح.. كما كان بعَض العرب يتفاخرون بنسَبهم لأمِّهم، يتفاخرون بها إذا علَتْ وارْتفعت، ويتَقَاذَفُون بها إذا تَدنَّت وتسفَّلتْ، وفى ذلك يقول قائلهم..

أنا إبن خيار ألحجر بتًا ومنْصِبـا وأُميَ إبنةُ الأحرار لو تعْرفينَهـا

ويقول الشنْفرى فى لامِّيته..

أقيموابنى أمي صُدور مطيكم- فأنى إلى قَوم سَواكُم لأَ أميلُ

وبالرغم ممَّا قيل فإنَّنَا لو تصفحْنا دواوين ألشعْر ألعربى ألقديم، وبحثنا فيها عن الأم لا نجد إلا نُتفًا ضئيلة لا تُذكر بجانب أشْعارهم الغزيرة فى كل مجال، ولولا نفر قليل تكلموا فى هذا الميْدان لَوصَـمنـا ألعرب القدامى بألجحود وألعقوق، وتبلُّد الأحساس وألشعُور.

فى الأسلام

لقد إحْتفى ألأسلام بكلمة «أم» حفاوة بالغة، وأحاطها بهالة من ألتقْديس والأكْبار، وأنْزلها المنْزل اللائق بها، وجعلها وصفًا لكثير من ألمقدَّسَات العليا، وصف بها أقْدس المقدسات وهو أللوح ألمحفوظ ألذى به مقدَّرات ألكون كله، وألذى لمْ ولن يطَّلع عليه أحد لا ملك ولا بشر، ولا أنس ولا جان فقال تعالى فى سورة الزخرف: ﴿ **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾[1] وقال فى سورة الرعد: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾[2] وعندما تتصفَّح القرآن الكريم نجد

---

(1) الزخرف: 4.
(2) الرعد: 39.

أو لسورة منه الفاتحة سمَّاها أم القرآن فقد ثبت فى صحيح الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله رب العالمين أمُّ القرآن وأمُّ الكتاب، والسبع المثانى وألقرآن ألعظيم**» وسَمَّى مكة ألبلد ألحرام (أم القرى) قال تعالى فى سورة ألشورى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾[1] أى سيِّدةُ المدائن لأن بها ألبيت ألحرام أشرف بقْعة على وجه الأرض، ولأنها أول ألأرض ومنها دُحيتْ، ولإكْبارٌ الأم، وقداسة إسْمها منحه لنساء النبى ﷺ فكل إمرأة عقد عليها النبى ودخل بها نالت هذا ألشرف قال تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾[2] ومادامت زوجاته أمًّا لكل مؤمن فلا يجوز لأى مؤمن أن يتزوج أمه قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾[3]. وجاء ذكْر أم موسى فى القرآن أكثر من مرة قال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ** ﴾[4] ولمكانة إبراهيم الخليل، وسُمُوٌ منزلته سمَّاه (أمة) قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا**﴾[5] ولُقِّبت كل الديانات السَّماوية بهذا اللقب، الأمة اليهودية، الأمة المسيحية، أمة الأسلام، وقال: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[6]. ولقد تَوَسَّعَ الناس فى إسْتعمال لفظ (الأم) ففى الغرب مثلاً يطلقون لفظ الأم على كل إمرأة تتولى عملاً أسَاسيًا فى أى إدارة، ويطلقونه على كل إمرأة﴿ مسنة من قبيل ألاحترام وألأجلال لما تنطوى عليه هذه الكلمـــة من مكانة لدى كل إنســان، ويطلق على الوطن الأم، وعلى كل مجموعة من الناس إتَّحدُوا فى اللغة، أو الدين، أو الأرض.

ونالت الأم حظَّها فى الشعر الحديث منْ كلّ باب، فى المدح، فى الثناء، فى ألرثاء فهذا أحمد شوقى يبكى أمّه فيقول:

قم إبن الأمهـــات على أســـاس ... ولا تبْنى ألحصـــون ولا القلاعـــا

---

(1) ألشورى: 7.
(2) ألأحزاب: 6.
(3) ألأحزاب: 53.
(4) ألقصص: 7.
(5) ألنحل: 120.
(6) آل عمران: 110.

فهُنّ يلدْنَ للقصب المذاكي وهُنَّ يلدْن للغاب السِّباعا

وجْدت معانى الأخْلاق شتَّى جمعْن فكَنَّ فى اللفظ الرضاعا

كما يراها شاعر النيل حافظ إبراهيم أسْتاذه تبْنى المجتمع إن هى تعلَّمت وتَثَقَّفتْ فإنها تصنع ألرجال، وتؤلف ألشعوب، وتبنى ألقلاع وألحصول. فيقول:

ألأم مدرسة إذا أعْددْتَها أعْددت شعْبًا طيِّبَ الأعراق

ألأم أسْتاذ ألأساتذه الألى شغلت مآثرهم مدى ألأفاق

وتجلَّى العطاء الدافق للأم عند أدباء المهجر فيقول الشاعر نعْمت قاذان وقَدْ هَتى ألدمع فى عينيه شوقًا لرؤياها. فيقول:

تذكَّرتُ حتَّى همَّت دمْعَة فشاهدت أمِّى فى دمْعتى

ولاحت لعينى فى هالة عموداً من ألشعر فى غرفتى

وكثير، وكثير، أجادوا، وأبدعوا ورفعوا شأن الأم، وأسم الأم مكانا عَليًا لأنها بلثم الحياة، هى الدواء الذى يداوى الجراح، هى التى تجْعل البيت جنَّة وارفَة الظلال، هى التى تخفف الألام، وتزيل ألجراح، ويرتمى فى حجرها الأبناء، وتمسح بيدها الحانية ما أصابهم من آلام. فهى نعم الأنيس، ونعم الرفيق، دنيا وآخرة: هى التى تتحمَّلُ الآلام، وألمشاق بسعادة ورضى فى سبيل راحة أبنائها، وتؤدِّى رسالتها فى صمْت وسخاء ولا يستطيع أحدٌ أن يوفيها بعض حقها مهما بالغ فى الشكر والثناء.

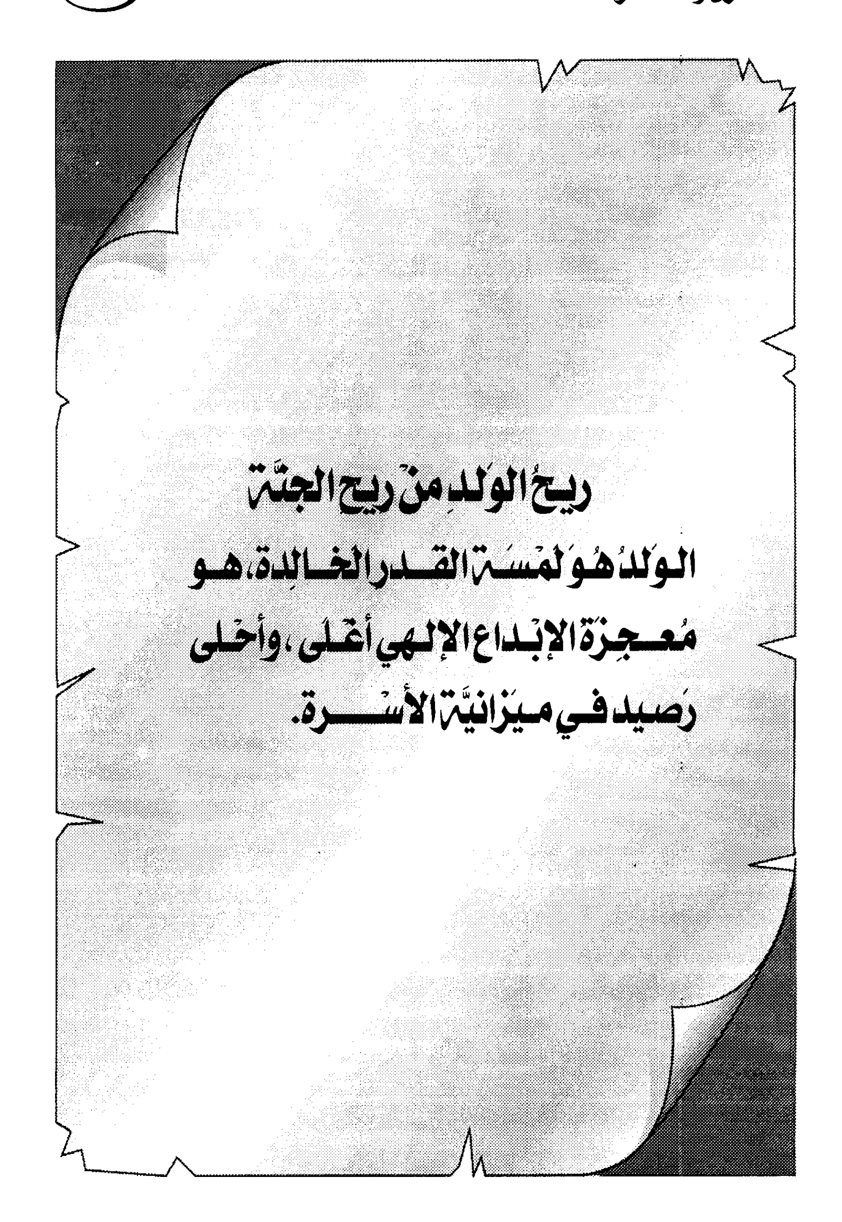
أمَّاه لسْتُ أوَفِّى بعْض مكْرُمةٍ ولَوْ أفضْتُ بأطراءٍ وشُكْرانِ

أماهُ أنْتِ حياتى أنْتِ منْبعُها لولاَكِ ماكُنْتُ فى ألدنيا بأنسان

حَمَلْتنى بجوار القلْب حَانيةً وصُنْتِينى فى حنانٍ بينَ أحْضَانِ

لو أنَّ هَمًا عميقًا باتَ يُثْقِلُنِى حَمَلْتِ عنِّى أشْجانى وأحْزانى

* * *


ريحُ الولدِ من ريح الجنّة
الولدُ هو لمسة القدر الخالدة، هو
مُعجزة الإبداع الإلهي أغلى، وأحلى
رصيد في ميزانيّة الأسرة.

حقوق الأبناء على الآباء

سـؤال هل جـاء نص فى ألكتـاب أو السنة يُوصى ألآبـاء ببـرِّ أبْنائهم أو ألأحْسـان إليـهم؟؟ إذا قـرأت مـا بين دَفَّـتى ألكتـابَ ألكريمَ، أو جُلْت فى رياض ألسنة ألنبـوية ، لا تجـد نصًـا صـرَيحًـا يأمـر ، أوْ يُوصى ألآباء ببـر أولادهم، أو ألأحسان إليهم، بل تجد العكْس هو الصحيح ، تجد الكثيرَ من نصـوص ألقرآن وألسنة تُوصى ألأبناء ببـر ألآباء وألأحسـان أليـهم : جاءت هذه الوصـايا فى سـبع سـور من القـرآن الكريم ، وكُلُّهـا تَدورُ حـوْل كلمـة واحـدة «ألأحـسـان بـالوالدين» قـولاً وعـمـلاً، وتُحـذِّرُ من أهْمـالـهم أوْ عقُوقهم ،

أمَّا حُبُّ الآباء لأبنائهم، فهو أمْر فطْرى، مَرْكوزٌ فى قلوبهم ﴿**فطْرَتَ اللَّه الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾[1] ومنْ شـأن الْفَطْرة أن تُعطى ولا تـأخـذ، تُحب ولا تكْره، تُعْطى ألعطاء ألجزيلَ، وتصْفح ألصفْح الجميل، ألولد عندها كَرَيْحَانَةُ من رياض الجنة، ترسل شذاها عليهما بكْرةً وعَشيًا ، قال ﷺ : «**ريح الولد من ريح الجنة**» [2]ولَمَّا بُشـر ﷺ بفـاطمـة قـال : «**ريْحَـانة أشُـمُّـهـا ورزقُـهـا على الله**»[3]، والولد زينة أَلحيـاة ألدنيـا ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَـاة الدُّنْيَا** ﴾ [4]هو لَمسةُ ألقدر الخالدة، هو مُعْجزة ألأبْداع ألآلهى، هو أعْلى وأغْلى رصيد فى ميزانيـة الأسْرة، وصدق مَنْ قَال : «إنَّما أولادنا أكْبادنا تَمْشى على الأرض. أفمن كانت هذه منزلته أيحتاج أمرًا أو توصية!!!!

سُئل الأحنف بن قيس عن ألولد فقال : يا أميـر المؤمنين . أولادنا هم ثمارُ قلوبنا، وعمَاد ظهورنا، ونحن لـهم أرض ذليله، وسمـاء ظليلة، فإن طلبوا فـاعْطهمَ، وإن غضبوا فَأرضـهم، يمْنحوك وُدَّهم، ولا تُكنْ عليهم ثقيلا فيملوا حياتَك، ويكْرهوا بقاَءك ، ولقد إهْتَم ألأسلام بالولد إهمامًا

---

(1) ألروم: 30.
(2) ألترمذى ، والبيهقى .
(3) ألطبراني والحاكم بإسناد حسن
(4) الكهف: 46 .

بالغًا، وأحاطه بالعناية والرعاية حتى قبل أن يوجد أو يُخْلق، فلما جاء ضيفًا عزيزًا على الدنيا، لم يتْركه همْلاً بل شرع له وعليه من الحقوق ما يكْفُل له حياة طيبةً آمنة.

وكما فرض الله للوالدين حقوقًا على أبْنائهم، فرض أيضًا للأبناء حقوقًا على آبائهم، وألحق حق، وألأحسان إحسان، وهناك بوْن شاسع بين ألحق وألأحسان، فإذا قَصَّر ألأولاد فى حقوق آبائهم كانوا عاقين، وحسابهم على الله، وإذا قَصَّر الآباء فى حقوق أولادهم كانوا أيضًا عاقين وحسابهم على ربهم، قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[1].



(1) ألنجم: 31.

حقوق الأبناء

الحق الأول:

وهو مازال فى عالم الغيب، قبل أنْ يَتكوّن وَيتخَلّق، وقَبل أنْ يكون بشرًا سويًا، ويَبْدأ ذلك من إختيار ألأم. فعلى ألرجل أن يختار أمًّا صالحةً، كريمَةُ المنْبت أصَيلةَ ألأعراق. فكل إناء يْنضح بما فيه، وكما قالوا: إن ألعصى من العصيَّة والحيَّةُ لا تَلدُ إلاَّ حيَّة.

من حق الولد على أبيه أن يخْتار لَهُ أمًّا ذات خُلق ودين، لتوفِّر ألأمن وألأمان لزوجها وأولادها، فالولد ينْهل من مَنْهلها، ويشْرب من مشْربها، ويسْتقْرىءُ ألأسلام رغَبات الناس حين يطلبون الزواج فبعْضُهم يْرغب فى ذات المال، لتْحقَيق ما يراوده من أمَانى وأحْلام وبعْضهم يرغب فى ذات الجمال لتكوَن وسيلة لكَفّ فَرْجه وغضّ بصره، وبعضهم يرغب فى ذات الحسب والنسب لتكون سُلَّمًا إلى ألمجدَ والرفعة، وكلُ هذه ألرغبات لا يمْنعُها الأسلام لأنّها إستجابة لنداء الفطرة ألأنسانية، وإنّما يحثنا على أنْ يكون أسَاسُ ألأخْتيار هو ألدين، والصلاح والتقوى ومن هنا جاء هذا ألحديث ألشريف: **«تُنكح المرأةُ لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظْفر بذات الدين تربت ذاك»**

وفى حديث آخر يحذِّرُ ﷺ من زواج السَّاقطة المبتذلة والتى لا تعبأ بقيم ولا أخلاق. قال ﷺ: «**إيَّاكُم وخضْراء الدِّمن**» قالوا: وما خْضراءُ الدمن يا رسول الله؟؟ قال: «**هى المرأة الحسْناء التى نبتت فى المنبت السوء**».

فى معركة القادسية فى عهد الفاروق عمر جَمعَت الخنساء أولادها الأربعة، وأخذتْ تُحدثهم عن الجهاد والحرب قالت: «يا بنىّ إنّكم أسْلمتُم طائعين، وهاجرتم مخْتارين، والله الذى لا إله إلا هو، إنّكُم لبنوا رجلٍ واحد، وأمٍّ واحدة، والله ما خُنْت أباكم، ولا غبَّرتُ نسبكم، ولا فَضعْتُ خالكمً، ولا هجّنْتُ نسبكم، وقد تعلمون ما أعدَّ الله للمجاهدين فى سبيله من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، فإذا أصْبحْتُم غداً فأغْدوا إلى قتال عَدُوْكم مسْتبْصرين». وفى الصباح نزلوا إلى ميدان القتال، وما هى إلا جوالات حتى سقطوا جميعًا شهداء فى ميدان القتال،

فلما بلغها الخبر قالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتْلهم، وأرجو من الله أنْ يجْمعنى بهم فى مسْتَقر رحمته». تلك هى الأم العفيفة الشريفة التى حفظت زوجها، وربّت أولادها، ولمّا علم بخبرها أمير المؤمنين عمر فَرضَ لها منْ بيت المال ما كانت تحْصل عليه منْ أبنائها الأربعة. فمنْ حق الولد على أبيه أنْ يختار له أمًا هكذا.

وهل أتاك نبأ هذا الأعرابى: مَنَّ الله عليه بعدد من الأولاد، وربّاهم حتّى بلغوا مبلغ الرجال فكانوا يتسابقون فى طاعته، ويتنافسون فى مرْضاته، والأحْسان إليه فَسُرَّ بما رأى وأعجبه ما رأى فجمعهم ثم قال لهم: لقد أحْسنْتُ إليكم قبل أنْ تُحْسنوا إلىَّ أحْسنْت إليكم صغارًا وكبارًا، وقبل أنْ تولدوا. فقالوا: وكيف أحْسنت إلينا قبل أن نُولد؟

قال: «إخْترتُ لكم أمًا لا تُعيَّرون بها» إخْترت لكم العفيفة الشريفة صاحبة الدين والخلق: ثم أنْشد[1]:

وأول إحسانى إليكم تخيُّرى ... لماجدة الأعراق بادٍ عفافُها

وفى مقابل هذه الصورة المضيئة لحُسْن الأختيار صورة سَيِّئَةُ لإسَاءَة الأختيار حدث خلاف بين الولد وأبيه فعيَّرَه أبوه بأمه قال له: أتعْصينى، وتَشْمخُ علىّ وأنت إبنُ أمة!! فأجابه الولد: والله يا أبت هى خيرٌ منك. قال: وكيف ذلك وهى أمةُ وأنا حُرٌ؟ فقال الولد: لأنّها أحسنت الأختيار فولدتْنى من حُر، وأنت أسأت الأخْتيار فولدتنى من أمة. !!!

وإذا كان منْ حق الولد على أبيه أنْ يخْتار له أمًا عظيمة فى الدين والخلق فَمنْ حقِّه على أمه وأوْليَائها أنْ يخْتاروا له أبًا شريفًا فى دينه عظيمًا فى خلقه قال ﷺ: **«إذا جاءكم مَنْ ترضوْنَ دينه وخُلقه فزوِّجوه إلا تفعْلوه تَكُنْ فتْنة فى الأرض وفساد كبير»**

الحق الثانى: وهو فى بطن الأم:

الوالدان هما السبب المباشر فى وجود الولد فمن حقِّه عليهما أنْ يأتيانه عن الطريق الشرعى «الزواج» لا عن طريق الزنا والسفاح قال تعالى لأبليس: **﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد﴾**. قال الفخر الرازى: «المشاركة فى الأموال عبارة

---

(1) هداية المرشدين.

عنْ كُل تصرف قبيح في المال سواء كان ذلك بسَب أخذه من غير حقه، أو في وضعه في غير حقه، والمشاركة في الأولاد الدعَاء إِلَى الزنا أي شاركهم في طريق تحصيل الولد بالدعاء إلى الزنا.

ومنْ حقه أن يكون مُطعمُهما ومشربهما حلال لأنه من الثواب اليقينيَّة أن الجنين يتخلق من نطفة الزوج وبويضة الزوجة قال تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [2] أي: خليط من جرثومة الذكر وبُويضة الأنثى ومصدر ذلك الغذاء فالأنسان كائن قائم علي التغْذية بأكل الطعام ويشرب الشراب، ثم تقوم أغْشيةَ الهضم مقام المصنع الكيمائي ويأخذ كل عضو كفايته بما فيه أعضاء ألتنامل ثم تخْرج النّفايات من مخارجها فتبارك الله أحسن الخالقين. . فإذا غُذّيا بالحلال فعسى أن ينْشأ الولد على تقْوى من الله ورضوان، وإذا غُذّيَ بالحرام كان حسابهما على ألله . . .

وعلى الوالد إذا أراد أن يباشر زوجته فقبْل أنْ يتكَشَّف، ويتعرَّى يذْكُر الله، قال ﷺ: «**لو أنَّ أحدكم إذا أتى أهْله قال: بسم الله أللهم جَنّبْنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا فقُضى بيْنهُما ولَد لم يَضُرُّه**» [3] وفي رواية للبخاري: «**لم يَضُرُّه شيطان أبداً**» متفق عليه

وصلاح الآباء يفيد الأبناء قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[4].

وفي قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما لسلام لما إسْتنْكر سيدنا موسى أن يقوما ببناء الجدار بعدما بخل عليهم أهل القرية ردَّ الخضر قائلاً:

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[5].

---

(1) الطارق: 7.
(2) ألأنسان: 2.
(3) مسلم.
(4) ألنساء: 9.
(5) ألكهف: 83.

الحق الثالث :

عندما ينْزل ضيفًا عزيزًا غاليًا على الأسرة ، والناس حوله يْضحكون سرورًا يسنْ على الوالدين فعل هذه الأمور الأربع :

أ- الآذان في أذنه اليمنى بصوت خفيض هادىء غير مُقْلق ولا مُذْعج فلقد ثبت أنْ رسول الله ﷺ أذْن في أذن الحسين بن علي رضي الله عنهما عنْ أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : «رأيت رسول الله أذّن في أذن الحسين بن علي حين ولدته أمه فاطمة بالصلاة » رواه الترمذي وقال حسنُ صحيحَ .

ب- يُسنُّ أنْ يُسَمَّى باسم احسن يوم ولادته أو يوم سابعه لقوله ﷺحين وُلد إبنه إبراهيم : «**وُلد لىَ الليلة غلام فسمَّيْتُه باسْم أبى إبراهيم**» رواه مسلم . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أنَكُم تدعُون يوم القيامة بأسمائكم فأحسنوا أسماءكم**»(1) فعلى الوالدين تَخير الأسماء التى تَدُلُ على العبودية للخالق سبحانه ، وعلى جمال صنْعته ، وأنْ يكون الأسم بعيداً عن الغلظة ، أو الميوعة ، وبحيث لا يخجل منه ألولد .

جـ- يُسنَّ أنْ يحْلق شعْره يوم سابعه ، ويتَصدَّقْ بوزْنه فُضّة إن أمْكن .

د- يُسَنْ أن يَعُق عن المولود ذكراً كان أمْ أنثى لقوله ﷺ : «**كل غلام مرتّهن بعقيقته**» ، تُذْبحُ عنه يوم سابعه ، ويحلق ويسمى» رواه أحمد والأربعة .

الحق الرابع: النفقة:

تجب النفقة على الصغير حتى يشْتد ، ويقْوى على الحركة ، ويسْتطيع العمل ، وعلى الأنثى حتى تتزوج قال ﷺ : «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول**»(2) وقال ﷺ : ﴿**كفى بالمرء إثماً أنْ يُضيِّع من يعول**﴾ (3)وعن الحسن عن رسول الله قال : «**إن الله سائل كل راع عمَّا إسْترعاه حفظ أم ضيَّعج يُسأل الرجل عن أهْل بيته**» (4) والحديث الصحيح المشْهود : «**كُلكم راع وكُلّكم مسئول عن رعيته.... الحديث**» . ولزيادة الحرص على ألبنات رَغَّب ﷺ في رِعَايتهنَّ ، والأنفاق عليهنَّ .

---

(1) رواه أبو داود في سننه .

(2) رواه ألطبراني وهو على شرط ألصحيحين .

(3) رواه أبو داود وألنسائى وألحاكم وقال صحيح ألأسناد .

(4) رواه إبن حبان

عن أبى وائل رضي الله عنه قال : « قال : قال ﷺ : « **من كانت له بنت فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، وأسبغ عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له حجابا من ألنار يوم القيامة** »[1] .

الحق الخامس: التعليم:

تعليم الأبناء حقّ واجب على الآباء لَيْس منحةً منهم لأبنائهم، ولا تَفضُلا ولا تكرُّما منهم عليهم وإن قصَّروا فيه كانوا عاقِّين لأبناءهم، ويُسْألون عنه أمام الله يوم القيامة، لأن العلم هو الحياة وهو ضرورة لبقاء الأنسان، وخاصة فى عصرنا الحاضر الذى أصْبح العَالُم فيه يسْتَنْشقُ العلم ويتَنفَّسُ العلم، ويتكلَّم بالعلم، ولا تخْلو حركة من الحركات الحياتية إلاَ بالعلم، وليس من المعقول أن نرى الأنسان الغربى يأتى بخوارق الصناعات، وعجائب المخترعات، ويطوف العالم فى ثوان معْدُودات، ويسْبحُ بمراكب الفضاء بين المجرات والأفلاك باحثًا عمًّا فى الكون من سرّ وأسرار، والأنسان المسلم لا يُجيدُ فَنَّ القراءة والكتابة!!!! إن هذا لشىء عُجاب!! هل يستوى الذين يعلموَن والذين لا يعلمون؟ هل يستوى الأعمى والبصير؟ هل تستوى الظلمات والنور؟؟؟

إنْ تعليم الأبناء أمانة فى عنق الآباء يسْألون عنه أمام الله يوم القيامة، ورسول الله ﷺ يأمر، ويحث، ويُرغّب فى العلم قال ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**» وقال: «**اطلبوا العلم ولو فى الصين**»[2] . . .

وقال ﷺ: « **العالم وألمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعد** »[3]

والتعليم هنا على إطلاقه فيشْمل كل أنواع العلوم، ولكن أشرفُها، وأفْضلها تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قال ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين**»[4] .

وعلى الوالد أن يُباشر الولد فى تربيته، وتعليمه وسلوكه، ولا يترك المسئولية

(1) رواه البيهقى وابن عبد البر : قال ألسخاوي في المقاصد الحسنه نصُ على ألمسلمة فى ألحديث وذلك لأهمية ألعلم .

(2) ابن عبد البر في جامع بيان العلم جـ 1 صـ28 .

(3) المصدر السابق .

(4) رواه مسلم .

ملقاة على عاتق الأم، والمربية، فهذا إهدارٌ لحقّ الأبوة، وتهاون في المسئولية، وضياع لحق البنوَّة قال ﷺ: «**إن الله سائل كل راع عمَّا إسْترعاه حفظ أم ضيَّع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**» ولذلك قال العربي:

ويَنْشأ ناشيء الفتيان منَا ... على ما كان عوَّده أبوه

والتعليم والتهذيب أفْضل من الثروات الهائلة، والأموال الطائلة.

قال القائل:

من خانه نَسَبْ فليْطلب الأدبا ... ففيه منْبهة إنْ حلَّ أوْ ذهبا

فأطْلب لنفْسك آدبا تعز بها ... حتى تَسُود منْ يملكُ الذَّهبا

قال ﷺ: «**لأنْ يؤدب الرجل ولده خيْرٌ له من أن يتصدَّق بصاع**»[1]. وقال ﷺ: «**ما نحل والدٌ وَلَداً من نحل أفْضل من أدب حسن**»[2].

فإنْ لم يحسن الآباء تربية أبنائهم، شَبُّوا على الرذيلة، وطبعوا عليها، وحينئذ يصْعب إصْلاحهم فإن منْ شَبَّ على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.

فالطَّبع لا يتَغيَّر.

روى الأمام البيْهقي في شُعبه عن الأمام الأصْمعي رضي الله عنهم قال: دخلتُ البادية فإذا بعجوز بين يديْها ذئْب صغير، وشاة مقْتوله، فنظرت إليها قالت: أتدْري ما هذا؟ هذا ذئْب صغيرَ ماتت أمه فأخذْناه ورَبّيناهُ، وأدْخلْناه معنا فلما كبر قَتَل شَاتي، وفَجع قَلْبي، وأنْشدتْ:

أكَلْتَ شُوَيْهتي وفَجعْت قَلْبي ... وأنْت لشَاتنَا وَلَدٌ رَبيبُ

غُذيت بلبنها ورُبيتَ فينَا ... فَمنْ أنْبأكَ أنَّ أبَاكَ ديبُ

إذا كان الطباعُ طباعَ سُوءٍ ... فلا أدَبٌ يُفيد ولا أديبُ

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم والترمذي.

ويقول الآخر :

أضْحَى يُمزِقُ أثْوابى ويَضْــربُنى أبعْد شَيْبِى يَبْغى عندى الأدبـــا

أما الأم فمسئوليتها أكبر، عليها أنْ تكون قدوة لبناتها، فى طاعتها لربها، وطاعتها لزوجها، عليها أن تُعلِّمهنَّ الأمور الخاصة بهن من الحيض، والنفاس، ومعاملة الزوج، وتربية الأولاد قال القائل :

الطفل من الطِّفْل عيــرك نَشّئيـــه على المكارم وأرفقى بفتـــــــاك

وإسْقه حُبَّ الدين والوطن الذى غذاه من خيراتـــــه وغـــذاك

للبنْت كونى خيًر أم إنْهـــــــا حَتْما تُقلِّد أمها وتُحاكـــــــى

وقال :

عودى لرشْدك وأرجعى لهـداك وكفاك سعيًا فى الضلال كفـاك

حتى متى تلجين أبــواب الرَّدَى وإلى المهالك تسرعين خُطـــاك

حاربت كل فضـــيلة ونبذْتهـــا نبذ النواة فأين منـــك نَهـــاك

حرية الغرب الخليـــع بريقُهـــا عن كل معنى فاضـــل أعمـــاك

عليهـا أن تُعلِّم بناتهـا أنَّ خَلْوتَهـا بالرجـال، ومُزَاحَمتهم فى وسائل النقْل، والأعمال خطر كبير عليها، وعلى دينها، قال ﷺ : **«لأنَ يزْحم رجُلاً خِنْزير ملطخ بطين خير منْ أنْ يزْحَم مْنكبيْه مَنْكِب إمرأةَ لا تحل له»**[1].

كما أنَّ عُريها، وكشف شيء من جسدها، وإظْهار ما يثير الرجال حولها هدم لقواعد الدين. إن حرية الغرب ألخليعْ أعْمت ألمرأة المسلمة عنْ كل معنى فاضل فَحَسبت ألوان ألمجون حضارة، ومَشَتْ على الأشواك طائعةً مختارة : يريد الأسلام من الَأم أنْ تعلِّم إبنتَهَا كيف تُحافظ علي أنُوثتها، وحيائها، علي طُهرها وعفَافها، عَلي مكانتها السامية التي اختارها الله لها، ولكنّ الشياطين يريدون لها أن تَتَبرَّجْ وعلي الشواطيء تَتَبخْتر، يريدون لها أنْ تكون عارضة أزْياء أو راقصة عارية الثياب يريدون لها أنْ تكون سلْعةً للدعاية والإعلان أو دُميةً تُذْبح في الليالي السَّوْداء،

(1) رواه الحاكم وابن ماجه .

يريدون لها أنْ تهْجُر البيت وتَتَولىّ القضاء لتحكُم بين الرجال، وتَفُضّ المنازَعَات وتَنَاسَي الجميع قول الله تعالي: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾(1).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنْفان منْ أهْل النَّار لمْ أرَهُمَا: قوْمٌ معَهُم سيَاط كَأذْناب البقر يضْربون بها النَّاس، ونسَاءٌ كَاسيَاتٌ عاريَاتٌ مُميلاتٌ مَائلاتٌ رُءوسَهُنَّ كَأَسْنمَة البُخْت المَائلة، لا يدْخُلنَ الجنَّة، ولا يَجدْنَ ريحَهَا وإنْ ريحَهَا ليُوجَدُ منْ مسيرة كذا وكذا**»(2).

علي الآباءأن يراقبوا أولادهم بحكمة وفطنة، وشفقة ورحمة، وبقوة وغلظة، عليهم أنْ يحسْنُوا أدبهم، وتعليمهم، فهم رجاَل المستقبل، عَليهم أن لا يتْركُوا بناتهم يعْبثْنَ بالفضيلة، ويمزّقْن الشرف، ويذبحْنَ العفَّة، ويخلعن الحياء ويتبرجْن تَبرُّج الجاهلية الأولي.. فإذا فَعَلُوا وفَعلْن!!! فقدت الأمة عزّها وشرفها، ومزّقت دينَها وعقيدتَها، ومن المعلوم أنَّ منْ سار في الطُّرُق المعْوَجَّة ذَلّ، ومن دخل الظَّلامَ بغير سراج ضَلّ، قال ﷺ: «**إلْزمُوا أولادكم وأحْسنُوا أدبَهم**»(3)، وقال ﷺ: «**مُرُوا أوْلادكم بالصلاة لسَبْع، واضْربوهم عليها بعشْر وفرّقوا بينهم في المضَاجع**»(4)، وقال بعض الحكماء: (لاعبْ ولدك سبعًا، وأدّبه سبعًا، وصاحبه سبعًا ثم هو عدُوُك أو صديقك) والحق إنَّ أكْبر جناية يجْنيها الآباء علي أولادهم سوء تَرْبيتهم، وإهمال أدبهم.. وعلم تهذيب النَّفْس صعْبُ المأخذ. منْ جهل قَواعدهُ خاب أمْرُه، وذهب خَيْرُهُ، وفَشَي في الناس عَيْبُهُ، وذلك هو الخسران المبين.

عن أبي حفْص عُمَر بن أبي سلمة رَبيب(5) رسول الله ﷺ قال: كُنْت غلامًا في حجْر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش(6) في الصَّفْحة(7) فقال لي رسول الله ﷺ:

(1) الأحزاب: 33.
(2) رواه مسلم.
(3) الترمذي والحاكم.
(4) رواه أبو داود باسناد حسن.
(5) ابن زوجته أم سلمة رضي الله عنها.
(6) أي لا يأكل من موضع واحد.
(7) إناء الطعام.

«يا غـلامُ سَـمِّ اللـهَ تـعالي، وكُلْ بيمـينك، وكُل ممَّا يليك فما زالت تلك طِعْمَتي[1]» رواه البخاري ومسلم.

علي الآباء أن يراقبوا الأبناء في إخْتيار الأصدقاء، فإذا وجدوا عوَجًا قوَّمُوه، وإذا وجدوا حسنًا حسَّنُوه، وغالبًا ما يقْتدي الخليل بالخليل.

علي الأم أنْ تذكِّر إبْنَتَها بالأصُول المحرِّمة عليها، ومنها: عدم الخلْوة بأي رجُل أجْنبي عنها، ألا تكْشف عن شيء من جسدها، ألا تلْفت الأنظار إليها بأي طريق، وخاصَّة في الثياب، والكلام، والمشْي، وأن تصون عفَّتها، وتحافظ علي أسْرتها، علي الأم أن تُعَلمَها كيف تسُوسُ زوجها، وكيف تربي أولادها وذلك بفعْلها قبل قولها:

وهل أتاك نبأ الحكيم العربي، الذي أوْصي ابته عنْد زَفَافها قال: يا بُنيَّة قدْ كَانتْ أمك أحقٌ بتأديبك مني أنْ لو كانت باقية، أما الآن فأنا أحقَّ بتأديبك منْ غيري، فأفْهمي عنِّي ما أقول: إنّك خرجت من العش الذي فيه دَرَجْت، وصرت إلي فراش لم تعْرفينه، وقرين لم تألفينه، فكون له أرضًا يكنْ لك سماء، وكوني له مهادًا يكنْ لك عمادًا، كوني له أمةً يكنْ لك عبدًا، ولا تَلْحفي به فَيْقلاك ولا تُباعدي عنه فَينْسَاك، إنْ دنا منك فأدْني منه، وإن نَأي عنك فَأبْعدي عنه وأحْفظي أنْفه، وسَمْعهُ، وعيْنهُ، فلا يشم منْك إلاَّ طيبًا، ولا يسْمعُ إلا حَسَنًا ولا ينْظر إلا جميلاً، وكُوني كَمَا قُلْتُ لأمك ليلة بنائي بها..

خُذي العفْو مني تستديمي مَودَّتي	**ولا تنطقي في سورتي حين أغْضبُ**
ولا تنْقريني نَقرك الدُفَّ مرَّةً	**فإنَّك لا تدْرين أيْنَ المغيبُ**
ولا تُكْثري الشَكْوى فتذْهب بالهوي	**فيأباك قَلْبي والقُلوبُ تَقلب**
فإني رأيت الحب في القلب والأذي	**إذا اجْتمعا لمْ يلْبث الحب يذْهبُ**

فياحبَّذا لو قَدَّر النساء هذه الوصية حقّ قدرها، وعَملْنَ بمقْتضاها إذًا لَسَعدْنَ وسعد بهن أزواجهن!!!

(1) طعمتي بكسر الطاء أي صفة أكلي.

الحق السادس: عدم المفاضلة بين الأبناء:

الإسلام يحْرصُ كل الحرص علي سلامة الأسرة، وعلي ترابُطها وتآلفها، ويحث علي جمْعها وعدم تَفرُّقها، ويكْرهُ بواعث الحقد والاختلافَ، والغضب والخصام لذلك.. يوصي الآبَاء بالتَسْوية بين الأبناء، في العَطيَّة، والوصية، والهبة، حتي في النَّظْرة والقُبلة، والكلمة، كما يوصيهم بعدم المفَاضَلة التي تُفرّقُ ولا تَجْمع، وتُدمّرُ ولا تُعمّر، ولا تجْني إلا سواد القلب الذي يطْمسُ نور الحَق، ويُفْسدُ الأعْمال الصالحة، ودائما عَيْنُ السخْط لا تنْظُر إلا من زاوية داكنة.

والعداوة إذا نمت في قلوب الأبناء، وغارت جذورها في نفوسهم فإنَّها تَحْرق الأخضر واليابس، ولا تفرِّق بين أخ وأخيه، ولا بين ولد وأبيه، ولا يستقيم معها إيمان. قال ﷺ: «**إن الشيطان قَدْ يئس أنْ يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكنه لم ييْأسْ من التَّحْريش بيْنَهم**[1]»، وقال ﷺ: «**ألا أخْبركم بأفْضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟**» قالوا: بلي يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البيْنِ، فإن فساد ذات البيْن هو الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تَحْلق الدين**[2]».

ولنا في حديث النعْمان بن بشير خير مثال علي هذا.. روي الإمام البخاري عن النعمان بن بشير قال: إنَّ أباه أتي به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلْتُ[3] إبْني هذا غُلامًا[4] كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «**أكُلُّ ولدك نحلتُه مثل هذا؟**» فقال: لا، فقال ﷺ: «**فأرْجعْهُ**»، وفي رواية «**فأشْهد علي هذا غيري فأني لا أشْهد علي جوْر**»[4].

قال الإمام النووي في شرح الحديث: (وفي هذا الحديث ينبغي أن يُسَوِّي بين أولاده في الهبة، ولا يُفضِّل، ويسوِّي علي الراجح بين الذكر والأنثي، فَلَوْ فَضَّل البعض، أو وهب للبعض دون البعض فالهبة صحيحة عند الشافعي، ومالك، وأبي حنيفة ولكنه مكروه، وليس بحرام، وأحتجوا بقوله ﷺ: «**فأشْهد علي هذا غيري**» قالوا: لوْ كَانَ حرامًا أو باطلاً لما قال هذا الكلام. فإنْ قيل: قال هذا تهديداً.

(1) رواه مسلم.
(2) الترمذي.
(3) وهبت.
(4) عبدًا مملوكًا.

قلنا الأصْلُ في كلام الشَّارع غير هذا)[1] .

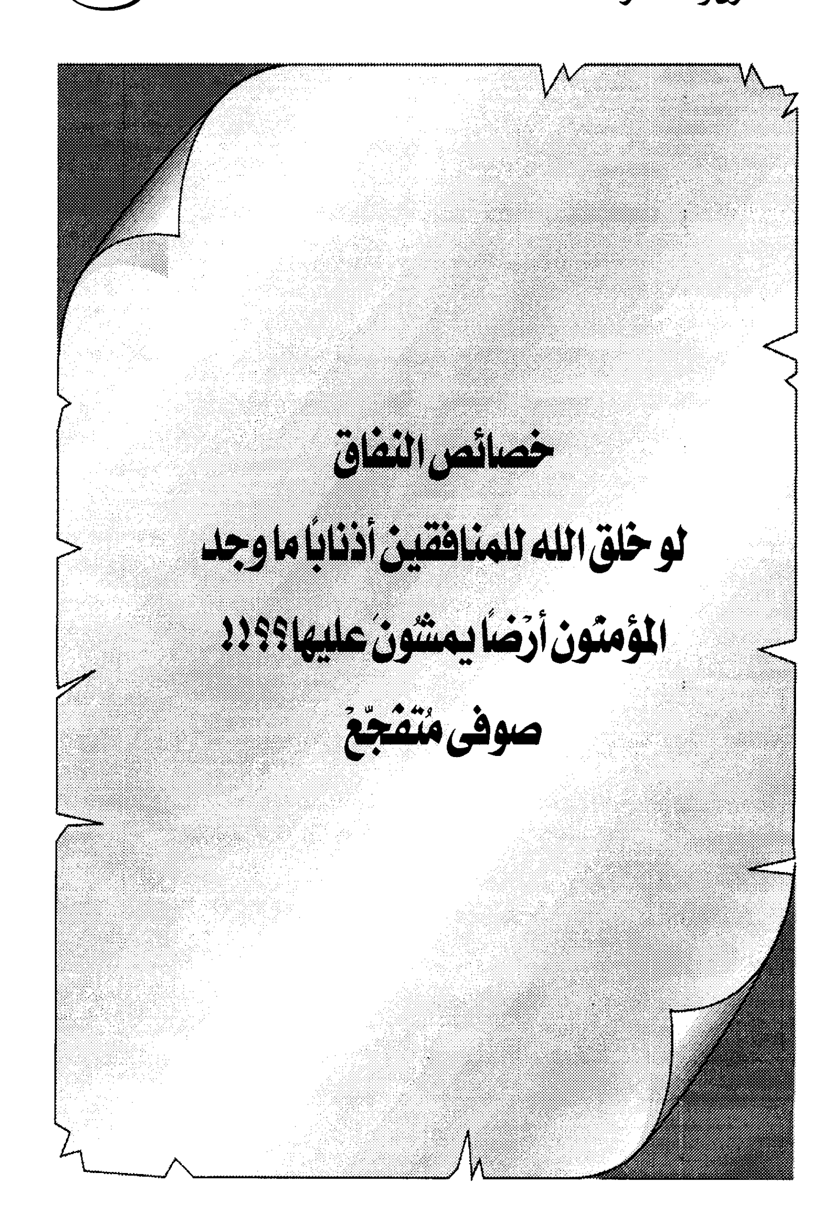
ولكن يجوز التفاضل إذا كان هناك مَا يدْعُو لذلك . مثل عجز أحد الأولاد لمرضه أو ضَعْفه ، أو إعاقته .

روي أن أحد الصالحين لَمَّا أحس بدُنُوِّ أجله قَسَّم تركته بين أولاده وأعْطي بنْتًا له ضعْف ما أعطي الذكر فغضب الأولاد وذهبوا إلي عالم المدينة ، وأخبرُوه بما فعل أبوهم ، فقال له عالم المدينة : ما حَمَلَك علي ما فعلْت؟ قال الوالد : إنْتظر حتي تري ثم أدْخله علي البنت فإذا هى عَمْياءُ مُقْعدة ثم قال بألم وحسْرة من الذي يتزوجها؟ لا أحد!!!

قال أبوها : هل أكون ظالمًا إذا أعْطيتُها من مالي ما تصون به عرضها ، وتَحْمي شرفها ، وتسْتغْني به عن أخيها وأختها . قال له : نِعم ما صنعت . وهذه روح الشرع[2] .



(1) متفق عليه .
(2) كتاب (قطرات من فيض الرحمن) للمؤلف .


خصائص النفاق
لو خلق الله للمنافقين أذنابًا ما وجد
المؤمنون أرضًا يمشون عليها؟؟!!
صوفي متفجع



خصائص النفاق

النفاق محله ألقلب، وشر ما تُطوى عليه ألقلوب هو ألنفاق، وشرّ ما تصاب به ألأمم هم ألمنافقون، ولقد أعلن ألأسلام كراهيته ألشديدة للنفاق، وبُغْضه ألعنيف لأهل ألملق وألخداع، ألذين لا خلاق لهم، ولا ضمير عندهم، ولا مبدأ ولا رأى لهم، يبيعون دينهم وعقيدتهم بأقل عرض من ألدنيا ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ يميلون مع كُل ريح حيث مالتْ، ويدُورون مع المنْفعة حيث درات ولا يبالون منْ أيِّ مسْلك جاءتْ، لأن الميزان عندهم هو ميزان المنْفعة والتعامل معهم بميزان المصلحة، إذا خاطبت أحدهم سمعْت قولاً يعْجبك، وإذا تعاملْت معه وجدْت أفْعالاً تُؤْلمك.

المنافق لَديْه ألقدرة على الأسْتمالة، وإقناعُ المستمع، وإيهامه بأنّ ما ينْطق به هو ألحق، وما يعْلنه هو ألصدق، ويؤكِّد قوله بالحلف بالله، وبالطلاق، وألنبى وألولى، وألمصحف وألكعبة، وإصْطَنع قواميس أيمان ما أنزل الله بها من سلطان، يحلف كذبًا وزورًا قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(1)، وقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾(2).

فإذا أسْديْت له النصيحة، وأبنْت له ألحق شمخ بأنْفه، وأعرض وأستكبر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(3)، وللأسف أصبح هذا التعامل هو العمْلةُ ألرائجة، والبضاعة الرابحة، واللغةُ السائدة بين العامة والخاصة ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾(4).

الناس ثلاثة:

ولقد حدَّثنا القرآن الكريم فى أول سورة منه بعد الفاتحة وهى سورة البقرة بجلاء ووضوح، عن نوعيَّات الناس وأخْلاقهم من حيث المعْتقد، والمذهب، والرأى نذكر أنهم ثلاثة:

(1) المنافقون: 2.
(2) التوبة: 56.
(3) البقرة: 206.
(4) ص: 24

أما الأول فهو واضح شديد الوضوح يتلقَّى ما يعْرضُ عليه من دين أو مذْهب أوْ رأى بالصدق والصراحة والتصديق، ويعْرض ما عنده بمثل ما تلقَّى وهؤلاء يعرفون باسم المؤمنين.

وأما الثانى فهو أيضًا واضح شديد الوضوح لكنْه يتلقى ما يعرض عليه من دين، أو مذهب، أو رأى بالصَّدّ، والجحود، والنكران، ويعْرضُ ما عنده بخلاف ما تلقى، وهؤلاء يُعْرفون باسم الكافرين.

وأما الثالث فهو غامض شديد الغموض يعيشُ حياته فى صورتين مُتَناقضَتَيْن ما يجْرى على لسانه يجْحده عقْله، وما يحْدث فى سلوكه ينْكره قلبه يعيشَ حياته في صورة مضطربة صورة توحى بالشك والحيرة، ويتْرك المستمع فى شك وحيرة قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[1].

هذه الآيات تصف المنافقين فى عهد رسول الله ﷺ أوضح وصف وأبيْنَهُ وهم الذين كانوا يُسَاكنونه ويعايشونه، وكان ﷺ ضائق الصَّدر بهم، شديد الحرص على نجاة المجتمع الوليد من شرورهم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ بعد موقعة حنين وفى حجر بلال فضّة ورسول الله يقبض منها ويعْطى الناس فقال الرجل: إعْدل يا محمد!!! فقال: «**ويلك، ومنْ يعْدلُ إذا لم أكُنْ أعْدل ـ لقد خبْت وخسرت إنْ لم أكْن أعدل**»، فقال عمر رضي الله عنه ألا تَتْركْنى يا رسول الله أقْتل هذا المنافق. فقال ﷺ: «**معاذ الله أنْ يتحدَّث الناس أنى أقْتل أصحابى**» ثم قال ﷺ: «**إنْ هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، ويمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية**».

وقام واحد من هؤلاء من أهل الملق مقام ثناء على الأمام علىّ كرّم الله وجهه فقال وأطال، وبالغ فى المدح والثناء فقال له الأمام رحمه الله: أنا فوق ما فى نَفْسك، ودون ما تقول.. ثم قال: اللهم إغْفرلى مالا يعلمون وأجْعلنى خيرًا مما يظنُّون.

كان ﷺ يصف هذه النوعية من الناس بأنهم أسْوأ نوعية بشرية قال ﷺ: «**تجد**

(1) البقرة: 10,9,8.

من شرِّ الناس يوم ألقيامة عند الله ذَا ألوجهين الذين يأتى هؤلاء بوجْه وهؤلاء بوجْه»[1]
ويفرض ألأيمان على ألمؤمن أنْ تكون سَرِيَرتُه كعلانيته، وظاهرُه كباطنه، فإذا تعارض ألظَّاهر مع ألباطن، أوْ تناقض القول مع ألعمل كان ألنفاق الذى أفْقده شَخْصيَّته فلم يسْتطع أنْ يقُول كلمة الحق ولا يقْدر أنْ يجابه ألباطل فيْخشى ألناس ولا يخشىَ الله . .

إذا السرُ والأعْلان فى المؤمن إسْتوى ... فَقدْ عزَّ فى الدارين وإسْتوجب الثَّنَا

فإن خالف الأعلان ســـراً فما لـــه ... على سعيه فضْلٌ سـوى الكدُّ والعنَـا

فَما خَالصُ الدينارِ فى السُوق نافـق ... ومغْشوشه المردود لا يقْـتضى المنـا

أخلاقيات المنافق:

من خلق المنافق: الخداع والتمويه. فمثلا يدّعى الأيمان، ويُظْهر الصلاح وألتقوى ويُسْرع بالأنْتساب إلى ألصادقين ألمخلصينَ، وينْخرط فى صفُوفهم، ويدَّعى أنه منهم، ومعهم، إذا علم وتأكَّد أنه بذلك ينال مكانةً لديهم، ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾[2] بل ويتميزّق غيرةً، وأسفًا على الأسلام والمسلمين، وأنَّ الأسلام أصبح غريبًا فى ديار المسلمين، وأنَّ أحوال المسلمين لا تعْجبه، فَهم غُثاءٌ كغثاء السَّيْل، ويسْتدل على ذلك بالأحاديث النبوية الشريفة، ويتَبَاكى على الأسلام والمسلمين وذلك أيضًا إذا علم أنّ هناك مغْنم، أو هناك ترقية، أو نفْع مادى أوْ أدبى ويشْتُّد ألخداع وألتمويه، إذا إلتقى مع رؤساءَ من ذوى الصلاح والتُقى، أو من ذوى النفوذ وأصحاب الجاه، أصْحاب المبادىء السَّامية، والأخْلاق العالية، تَزَيَّا بزيِّهم، وتخلَّق بأخْلاقهم، ليحقق مأربه، ويقضى حاجته، فإذا مال إلى قومه وإنصرفَ إلى عشيرته قال: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[3] وإذا كان الجو المحيط به دُنْيويًا، ومن المفسدين أسْرع بالتَّخلِّى عن ألدين، وألظهور بمظْهر المتحررين المتحضرِّين، وأعْلن أنَّ الدين رجْعيه، وأنه يدعو إلى العصَبيَّة ويعود بنا إلى عهود خَلَتْ، إنه يتْخذ الدين شعارًا للكسْب فإذا توهم أن النفع فىَ غيره إنسلخ منه كما ينْسلخ العريان من ثيابه. قال تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[4].

---
(1) متفق عليه.
(2) البقرة : 14.
(3) نفس الآية.
(4)البقرة : 9

المنافق متقلب المزاج:

هو متقلِّب المزاج، مُتلوِّن الشَّخْصيَّة، يلْبس لكل حالة لبُوسها كالحرباء فى الصحراء تُغيِّر لونها كلما تغيَّر المكان، ويتكفَّأ تكفُّأ السفينة كلما هبَّت ريح هبَّ معها، إذا جلس مع الناس ومَدَحُوا غائبًا مدح المنافق معهم، وإنْ ذَمُّوا وعَابوا زمَّ وعاب معهم نظرًا لضعْف إيمانه، وضعْف شخصيته، وسوء خُلقه وعقيدته، هو إمَّعه يقول مع الناس، ويَسير فى الركاب، والأسلام يكره هذه الشخصية، يقول ﷺ: **«لا يكون أحدكم إمعه[1] يقول: إن أحْسن الناس أحْسنت وإنْ أساءُوا أسَأت، ولكن وطِّنوا[2] أنفسكم إنْ أحْسن الناس أن تحسنوا وإنْ أساءوا أنْ تجْتنبوا إساءتهم»** هذا الحديث الشريف أصْلٌ من أصولُ الحياة وخُلقٌ لا يكون الانسان إلا به، ولا تصلح حياته إلا عليه بحيث يكون له رأى يُعْرف به، فأنْ أحْسنَ الناس أحْسن لا لأنَّه تَابعٌ، ولكن لأنَّ رأيهم وافق رَأيه، وإن أساءوا عليه أن يتجنَّب الأساءة ويلتزم جانب الأحسان، بل عليه أن ينْصح إذا وجد لنصحيته موْضعًا قال ﷺ: **«الدين النصحية»** قُلْنا لمن يا رسول الله؟ قال: **«لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم[3]»** وبهذا يكون خليقًا بالكرامة التى كرَّمه الله بها.. **﴿ولقد كرمنا بنى آدم ..... الآية﴾**.

ومن خلق المنافق الكذب:

الكذب كالحلْوى المسْمومة ينْعم الأنْسان بها حينًا من الدهر ثم يْعقُب ذلك الهلاك والدَّمار، لكنَّ المنافق تسْتهْويه هذه اللذَّة العاجلة، وتخْدعه تلك المتْعه الزائلة، وهو منْ داخله يعْلم أنَّها زائفة، وَبالرغم من ذلك يطْلق لخيالة العنان فى حَبْك الأحاديث الملفَّقة، وبَثَّ الأخْبار الكاذبة، ونشْر المعلومات المضَلَلَة، ولا يُحسُّ حرجًا فيما يقول، أوْ ينْقل، ولا يبالى بما يحْدثُهُ كذبه من خراب، وعذاب، وألم!!!

ولقد تكلمنا فى كتابنا الأول (قطرات من فيض الرحمن) عن الوليد بن عقبة الذى أرسله رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق ليجمع منهم زكاة أموالهم لكنه رجع

---

(1) الأمع والأمعة هو من يتابع غيره على رأيه دون أن يَتَثَبَّتَ ويتعقَّلْ وبلا تفكير يقول: أنا مع الناس والعرب غالبًا لا يصفون المرأة بأنها إمَّعْ أو إمعه.

(2) المواطنة على الأمر هى الموافقة عليه ومنه قيل المواطنون وتوطين النفس معالجة النفس ومحاولة حملها أنْ تألف ما ليس فى طبيعتها.

(3) متفق عليه.

من الطريق وكذب على رسول الله ﷺ. وماذا كانت العاقبة هَمَّ رسول الله بقتالهم ولكنّ الله سلم.

والمنافق يَلجُ كل باب، يْدخُل ويخْرج يتَلوَّى كالثعبان، ولا يبالى بما قال ولا فيمن وعلى مَنْ قال. حتى الكذب على خَيْر خلق الله ﷺ لذلك حذَّر الرسول ﷺ من الكذب عليه فقال: «**إنَّ كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد فمن كذب عليَّ متعمِّداً فلْيتبوأ مقْعده من النار**»(1)، لكنَّ المنافق عوَّدنا على حَبْك الأكاذيب، وخلْق الأباطيل، وتضْليل المستمع أيًا كان، وخاصة المدائح الفارغة التى يتملَّق بها الأكابر فيكيل الثناء جزافًا لمن يستحق ومنْ لا يستَحق، ويُمْطر الحكَام بوابل من تمجيد أعمالهم، ومقْدار حُبِّهم ومَحبتَّهم، ومدى إخْلاصهمَ وإخلاص النَاس لهم وقد يرتفع بهذا الخلق فعْلا لنه إرتفاع كارْتفَاع الجثث العفنة حينما تَطْفوا على سطح الماء لذلك:

أوصى رسول الله ﷺ بمُطَاردتهم، وفَضْح أكاذيبهم، وتسْفيه أرائهم، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قالْ: أمرنا رسول الله ﷺ أن نَحْثُوَ فى وجوه المدَّاحين التراب»(2)، وقال ﷺ: « **لا تطرونى كما أطرت النصارى إبن مريم فإنما أنا عبَد فقولوا عبد الله ورسوله**»(3). وقد نهى الأسلام عن الأطراء والمبالغة فى الثناء. سمع النبى ﷺ رجُلاً يثْنى على رجل ويُطْريه فى المدح فقال ﷺ: « **أهْلكتم الرجل، أو قطعتم ظهر الرجل**»(4)، وعن أبى بكر رضي الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبى فأثنى عليه رجل خيراً فقال ﷺ: «**قطعت عنق صاحبك، يقوله مراراً إنْ كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إنْ كان يرى أنه كذلك وحسبه الله ولا يزكى على الله أحدًا**»(5)، فالمدح الكاذب فَسَادٌ فى خلق المادح وربما يكون فسادًا على الممدوح حيث يدْفعُه إلى الغرور، ويقْلب فى نظره الموازين، من أجل ذلك لمَّا قيل للأمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ما أكْثر الداعين لك؟ فَتَغَرْغَرت عيْناه وقال: «أخافُ أنْ يكون هذا إستدْراجا». ولما قيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «جزاك الله عن الأسلام خيراً يا أمير المؤَمنين» قال: لا.. بل جزى الله الأسلام عنى خيراً.

---

(1) البخارى.
(2) الترمذى.
(3) رواه مسلم.
(4) متفق عليه.
(5) متفق عليه.

النفاق شر كله:

النفاق شر كله قليله وكثيرُه سواء، ولا يسْلم منه إلا مَنْ خُصَّ بفضْل من الله ومَنَّة منه قال الحسن: لو أعْلم أنى برىء من النفاق كان أحبَّ إلىَّ مما طلعت عليه الشَمس، وقد فسَّر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخْلوا عن شىء منه إلا صدِّيق، إذْ قال الحسن: إن من النفاق إختلاف ألسِّر والعلن وأختلاف القلب واَللسان، وإختلاف المدخل والمخرج، ومن الذى يخْلو من هذه المعانى التى صارت مألوفة بين الناس، مُعْتَادةً بين العامَّة والخاصة: حتى قال حُذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنْ كان الرجل ليتكلَّم بالكلمة على عهد رسولَ الله ﷺ فيصير بها منافقًا»[1].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنَّكم لتعْملون أعْمالاً هى أدقُ فى أعْينكم من الشعر كنَّا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر [2]. وقال بعضهم فى علامة النفاق: أنْ تكْره من الناس ما تأتى مثله، وان تُحبَّ على شىء من الجوْر، وأن تُبغض أىَّ شىء من الحق. وقيل من النفاق إذا مدحك مادح بشىء ليس فيك فأعْجبك.

وقال رجل لأبن عمر: إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون فإذا خرجْنا تكلَّمنا فيهم، فقال: كنّا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله[3]، وسمع ابن عمر رجلاً يذُم الحجاج ويقع فيه. فقال: أرأيت لو كان الحجاج حاضراً أكُنْت تَتكلَّم بما تكلَّمت به؟ قال: لا. قال: كُنَّا نُعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله. قال ﷺ: **«شرار عباد الله المشَّاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب»**[4].

أخى المسلم:

الأنسان هو الكائن الأعلى فى هذه الحياة، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه وأسْجد له ملائكته، وعلمه ما لم يكن يعْلم، وآتاه من الخصائص النفْسية والملكات العقْلية والإدْراكيَّة ما يُؤهِّله للخلافة فى الأرض فإذا كان أمْرُه كذلك فهل يجوز أنْ

(1) رواه أحمد من حديث حذيفة.

(2) البخارى من حديث أنس.

(3) رواه أحمد والطبرانى.

(4) رواه أحمد والطبرانى.

يكون معْول هدم. وجُرْثُومة فساد؟ هل يجوز أن يتَسَفَّل ويهْوى إلى القاع، ويوم القيامةَ في الدرك الأسْفل من النار؟ هل يليق به أن يكون عديمَ الثِّقة في نفْسه وفي الناس ويدور مع المنافع حيث دارت ؟

إن المنافق من شرِّ البريَّة، وأحطِّ أنواعُ الخليقة، بوجْه يُقْبل، وبآخر يُدْبر، صفيق الوجه، سَيِّء الطَّبع.

نعم قَدْ يكُون النفاق سُلَّمًا للرفْعة. لأنه حُلْو المذاق، سائغٌ في الأسماع، يجذب القلوب، وتستَهْويه النفوس كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لكنها رفْعة بتْراء لأنها سلبت الحق، وفَقَأتْ عين العدل، وأهْدرت القيم الأسلامية، وقدَ تكون المصارحة مُرَّة شديدة المرارة، مؤلمة شديد الأيلام لكنها عند الله بميزان، وعاقبة النفاق دائمًا تنْتهي إلى شر مستطير وعاقبة الصدق والمصارحة دائمًا تنْتهي إلى خير كثير، ومن هنا كأن أسْلافنا الصالحون تضيق صدورهم بأهلْ الملق، وتنْبسط صدورهم لأهل النصيحة.

أخي القارىء الكريم:

أقص عليك أربع صور بغيضة لأربعة رجال مُبغَضون (بفتح الغين):

الأول: لَمّا أحسَّ سيدنا معاوية بدُنو أجله، أراد أن يأخْذ البيعة لأبنه اليزيد، وكان اليزيد ماجنًا فاسقًا صاحب شراب، وكان ينافسه على الخلافه الحسين بن علي. ومنْ هو الحسين!!! شتان بين الثَّرى والثريا، ولكن معاوية بدهائه وذكائه أراد أنْ يأخذ البيعة لأبنه اليزيد قهْرًا وهو بذلك أول منْ سَنَّ توْريث الحكم في الأمة، ومازلنا نعاني منه إلى اليوم، فنصب قُبَّة حمراء وجلس فيها، ومعه اليزيد، وبعض أفراد الحاشية، وكان الناس يدْخلون فيسلِّمون على معاوية ثم يبايعون اليزيد على كُره ومضَض فدخل المنافق فسلَّم على معاوية وبايع اليزيد، وكان المفروض أن يخرُج ككُل الناس ولكنه رجع وإسْتدار، وهرْول إلى معاوية فقال: إعلم يا خليفة المسلمين إنك لوْ لمْ تولِّ هذا أمور المسلمين لأضعْتهم فهو خيْر من يحافظ على الأمة ويرعى شئونها وكان معاوية داهية عرف أنَّ الرجل ينافقه فمال على الأحنف بن قيس وقال له: مالك لا تتكلَّم يا أبَا بَحْر؟ فقال: أخافُك إنْ صدقْت، وأخاف الله إنْ

كذبت . فقال معاوية : جزاك الله عنا خيراً ، ولَمَّا خرج الأحنف وجد الرجل فى إنْتظاره فقال : يا أبا بحر إنى أعلم أنَّ معاوية وأبنه من شرِّ خلْق الله ، ولكنهم إسْتوْسَقوا من هذه الأموال بالأبواب ، والأقْفال ، ولا نستطيع إخْراجها إلاَّ بما سمعْت . . فقال له الأحنف : إتّقِ الله يا رجل ، وأمْسك عليك لسانك فإن ذا الوجهين خليقٌ ألا يكون عند الله وجيها فقد قال ﷺ : «**تجدون من شر الناس ذا الوجهين**»(1) .

الثانى: نافق حتى كذب على رسول الله:

أباح الأسلام التَّفكُّه ، والترويح عن النفس بكل مباح ، لأن فى الترويح عن النفس راحة للقلب ولذلك يقول الأمام على ﷺ : «روِّحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكْرهت عميت» ولا تستقيم الحياة بأن تؤْخذ كلها بالجد والصلابة والصرامة بل لابُدَّ لها من المزاح المباح واللعب ، والسبق وقيل : لا يكون العاقل طامعًا إلا فى ثلاث تزوُّدٌ لمعاد ، أو مرمة فى معاش ، أو لذَّة فى غير محرم .

ولما ذهب سيدنا حنظلة بن عامر إلى رسول الله ﷺ وقال له : يا رسول الله : نكُون عندك تذكِّرنا بالجنة والنار حتَّى كأنَّا نراها رؤى عين فإذا خرجنا من عندك . لاعبْنا الأولاد ، والزوجات ، وإشْتغلنا بالأمْوال ، ونَسينَا كثيراً . فقال ﷺ : «**يا حنظلة والذى نفْسى بيده لو تَدُومُون على ما تكونون عندى لصَافحتْكُم الملائكة فى فُرشكم وفى طُرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ساعة وساعة . ساعة وساعة**»(2) .

ومن الأمور التى رغب فيها الأسلام السباحة والرماية والسبق قال ﷺ : «**حقُ الولد على الوالد أنْ يعلمه الكتابة والسباحة والرمى**»(3) ، وكان يرى أصحابه يتسابقون على الأقدام فيقرهم عليه والتسابق إما أن يكون فى العلوم والمعارف وحفظ القرآن الكريم وإما أن يكون فى الألعاب الرياضية أوْ سبقًا بين الحيوانات ، ولقد حدَّد رسول الله ﷺ السَّبق بين الحيوان فقال : «**لا سبْق إلا خُف أو حافر**»(4) ، خُف كالبعير وحافر كالخيل لكن هارون الرشيد وهو فى أزهى عصور الدولة الأسلامية كان يُحب اللَّعب بالحمام ، وسبق الحمام وبينما هو كذلك إذ دخل عليه قاضى القضاة

(1) رواه مسلم .

(2) رواه مسلم .

(3) متفق عليه .

(4) رواه البخارى .

ورأى الحمام بين يدى الخليفة فأراد أن ينافقه فقال على الفور، ودون أنْ يُطْلب منه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا سبق إلا فى خف أو حافر**» (أو جناح) أى حمام فزاد فى الحديث كلمة أو جناح وكذب الرجل على رسول الله ﷺ ولكن الخليفة كان على علْم بالحديث ورواية الحديث وعلم أنَّ الرجل كذب على رسول الله إرضاء له فغضب الخليفة، وأمر بذَبْح الحمام، وعدم دُخُوله القصر، فقالوا: وما ذنْب الحمام؟ قال: منْ أجْله كُذب على رسول الله ثم أمر بعزْل القاضى. قال ﷺ: «**إن كذبا علىَّ ليس ككذب على أحَد فمن كذب علىَّ متعمدًا فلْيتبوأ مقْعده من النار**»[1].

الثالث: نافق حتى كفر:

كان من عادة الشعراء فى الأيام الخالية مدح الخلفاء والحُكام من أجل العطايا والهبات وكان الخلفاء يُغْدقون عليهم فى العطاء إمَّا لمدْحهم والثناء عليهم، وإما لخوفهم من هجائهم، وحث الشعب على عصيانهم، فدخَل أحدهم على الخليفة، ونافقه بقصيدة طويلة قال فيها:

وأخفْت أهْل الشرك حتى إنَّـــهُ ... لتَخافُك النُطفِ التى لمْ تُخلَــقِ

بل غالى بعضهم فى نفاقه حتى كفر بالله عز وجل حينما قال:

ما شئْت لا ما شاءَت الأقْـــدارُ ... فأحْكُم فأنْتَ الواحد القهَّـــارُ

وهذه صفات تَفرَّد بها رب العزة لا ينازعه فيها شريك هؤلاء الناس هم شرار الناس، وأسوأ نوعية بشرية قال ﷺ: «**تجدون خيار الناس فى هذا الشأن أشدهم كراهية له، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه...**».

كذلك كان المنافقون. وكذلك هم، وكذلك يكُونون، لا تخلو منهم أمة، ولا يفْقدهم زمان، ولا مكان وهذا هو نفاق العمل، أمَّا نفاق العقيدة فهو أشد خطرًا وأعظم جُرمًا من الكفر الصريح قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[2]، ثم بين مصيرهم فقال: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً** ﴾[3].

---

(1) متفق عليه.
(2) البقرة: 8.
(3) النساء: 145.

الرابع: شيخ المنافقين عبد الله بن أبى:

الأمراض التى تصيب ألنفْس الأنسانية كثيرةٌ ومتنوِّعة أخْطرها على ألأطلاق مرض النفاق، لأنَّ به تخْتل المعايير، وتسْقط الموازين، وتهْتز المبادىء والقيم، فلا تَصْلُح قوانين، ولا تستقيم موازين، وأصْلح ألقوانين فى ظل ألنفاق تصير حبْرًا على ورق، لأنّ المنافق يلْبس لكل حالة لبوسها، وعندما يُجابه بما قال يتَلوَّى، ويتَلوَّن كالحرباء فى ألصحراء ألتى تغير لونها كلما تغير ألمكان، يحْسد الناس على ما آتاهم ربهم، ويتميَّزُ غيظًا لكل نجاح، وهكذا كان عبد الله بن أبى، وهكذا كان تعامله مع ألجماعة ألأولى من المسلمين فمن هو عبد الله بن أبى الملقب بشيخ المنافقين؟؟

جاءت قبيلتا ألأوس وألخزرج من أليمن وأقامتا بيثرب، وإشْتغلتا بالزراعة والتجارة حتى فزع اليهود من هذه القوة ألأقتصادية النامية، وإشْتبكتْ القبيلتان العربيتان فى حروب طويلة مع اليهود، ولكن اليهود بخُبْثهم ومكْرهم أوقعوا بين القبيلتين، ولم يفْطن العرب لتلك الفتنة ودارت الحرب بين الأوس والخزرج سنين عددا، وفطن العقلاء فى القبيلتين لخداع اليهود فاتَّفقَتَا على إقامة حكومة مشتركة فى يثرب ويتَزعَّمُها زعيم الخزرج عبد الله بن أبى وبدأ عبد الله يُعدُّ التاج الذى يتوَّج به ملكًا على يثرب. وجاء الأسلام!!!

وصَل الأسلام يثرب فوجدها أرضًا خصْبة صالحة للأنْبات وفُتِّحتْ له الأبواب وعمَّ نوره كل بيت وكل أسرة، وآخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار وتكوَّن بالمدينة هذا المجتمع المثالى الذى إنصهرت فيه كل المبادىء والقيم، وألغيت الفوارق والطبقات، وضاعت آمال عبد الله فى الملك والتاج، ولمْ يجدْ بُدًا من التظاهر باعْتناق الأسلام، وشاركه فى ذلك بطانة وحاشية من المنافقين دُعاةُ الهزيمة والرجعية (الطابور الخامس).

وبدأ إبن أبى يكيد للأسلام من أول يوم فكان يحْضر الأجتماعات، ويسْتمع إلى رسول الله ليتعرَّف على أخبارهم، وأسرارهم ليضع العراقيل فى طريقهم قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ﴾[1].

(1) محمد: 16.

أى أنَّ هؤلاء المنافقين من أمثال إبن أبى، ورفاعة بن التابوت، وزيد بن الصليت، والحارث بن عمرو من لَفَّ لفَّهم يحضرون عندك **فيسْتمعون منك فإذا** خرجوا قالوا للذين أوتوا العلم من الصحابة: ماذا قال صاحبكم؟! إسْتهزاء بك. ولكنّ: ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾[1].

أى: أنَّهم يسْتمعون ولا ينْتفعُون، ويسْتعيدون ولا يسْتفيدون.

بعض المواقف المخزية لشيخ النفاق:

لأبن أبىَّ تاريخ أسود تَمازَجَ مع ألنِّفاق، وسأكْتفى بذكْر حَدَثَين من الأحداث اللا أخْلاقية التى غَيَّرتْ وجْه التاريخ، ولطَّختْ بالخزى والعار وجْه المنافقين.

الأول:

فى غزوة بنى المصطلق بينما المسلمون على الماء يسْتقون تزاحم رجلان أحدهما مهاجرى والآخر أنصارى فتشاجرا ثم تضاربا فصاح المهاجرى: يا معشر المهاجرين، وصاح الأنصارى: يا معشر الأنصار فاجتمع الفريقان، وكادوا يقْتتلون فذهب إليهم رسول الله مُسْرعًا فقال: «**أبدعْوى الجاهلية وأنا بين أظهركم دعوها فإنها مُنْتنة**» وأزال ما بينهما وخمدت الفتْنة، لكنَّ إبن أبىّ أراد أنْ يوقظها، ويشْعلها، ويزكىَّ لهبها فقال: أوَ قَدْ فعلوها (يقصد المهاجرين) قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما نحن وهم إلاَّ كما قال الأول: «سمِّن كلبك يأكلك» أما والله لئن رجعْنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منْها الأذل (يقْصد بالأذل رسول الله ﷺ) ثم أقْبل على الحاضرين من قومه فقال: هذا ما فعلْتم بأنفْسكم أحْللْتموهم بلادكم، وقاسمْتموهم أموالكم، أما والله لو أمْسكتُم عنهم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير داركم.

وعلم رسول الله بما قال، وعلم عمر فاشْتاط غضبًا وقال: دعنى يا رسول الله لأقْتل هذا المنافق. فقال صاحب الخلق العظيم، والسايسى الحكيم: «**كيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**» ولكن آذن بالرحيل ورحل ﷺ فى وقت لم يكُنْ يرتحل فيه وسار بالناس يوْمهم حتى أمسى وليلتهم حتى أصْبح وصدْر يومهم الثانى ثم نزل بالناس فعندما وجدوا مسَّ الأرض، وقَعُوا نيامًا وبهذا التصرف الحكيم قضى على الفتنة التى أحدثها إبن أبى قضاءَ مبْرما.

---

(1) ألبقرة: 15.

موقف إيمانى بطولى عظيم:

كان لشيخ المنافقين عبد الله بن أبى وَلَدُ صالح يُسمَّى عبد الله بن عبد الله بن أبى لَّما سمع بمقالة والده وهى (ليخرجن الأعز منها الأزل) أى أنهم إذا رجعوا إلى المدينة فإن عبد الله بن أبى العزيز سيخرج منها محمدًا الذليل، وفى تلك الحدا ينزل القرآن الكريم يفضح المنافقين قال تعالى: ﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[1]. سورة المنافقون) فذهب عبد الله الأبنْ إلى رسول الله وقال: يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتْل عبد الله بن أبى فيما بلغَك عنه، فإنْ كنْت فاعلاً فَمُرْنى بقتْله، وأحْمل إليك رأسه فوالله لقدعلمت الخزرج ما كان بها من رجل أبَرَّ بوالده منى، وإنى أخْشى أنْ تأمر به غيرى فيقْتُلَه فلا تدعْنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى يمْشى بين الناس فاقتله وبذلك أكن قتلت مؤمنًا بكافر فأدْخل النار!!!

فما كان جواب رسول الله؟؟ أيوافق فيسْتريح ويُريح أم يرفض ويبقى ألشر ألمستطير؟؟

عرف النبى ما يعْتمل فى صدر الأبن المؤمن، وأنه فى مأساة نفْسية، وعاطفة إيمانية، وأنه بحاجة إلى العلاج، وفعْلا وجد عند رسول الله ما يُثْلج صدْره ويُكفْكفُ دمْعه، ويطمْئن قلبه قال له محمد الأنسان صاحب الخلق العظيم يا عبد الله: «**بَل نترفَّقُ به، ونُحسن صُحْبته ما بقى معنا**» ويرْقَى الأيمان ثم يرقى فلا يرْضى الأبن منْ أبيه بالأعْتذار لرسول الله وإنْكارما قال بل وقف لأبيه عند مدْخل المدينة، وبيده السيف ثم قال لأبيه: قفْ فوالله لا تَدخُلْها حتى يأذن لك رسول الله!!!

وما كان من الرسول صاحب الصفح والعفو إلا أنْ عفا وصفح فأذن له وقد أشاح عنه بوجهه: «صدق من سماك الرءوفَ الرحيم يا محمد».

وإسْتراح عبد الله الأبن لردِّ الرسول، ثم ذهب من فَوْره إلى أبيه وأقْسم عليه يمينًا مُغلظًا إنْ لمْ يقُل: «أنا الأذل ورسول الله الأعز» لا يبقى فى المدينة، ولا يقيم بها أبدًا، فقالها صاغرًا، وبذلك أعطى لرسول الله حقَّه فى التكْريم الذى يليق به.

---

(1) المنافقون: 7، 8.

الحدث الثاني: حدث الأفك: وفي نفس الغزوة:

كان المفروض على إبن أبيِّ بعْد أن إفتضح أمْره، وَهَانَ فى أعْين الجميع أنْ يتوب ويقْلع عن هذا الغباء لكنه ظلَّ يحاور، ويداور، ويغْمز ويلْمز حتى رسَم الخطوط السوداء لتدْمير حياة أم المؤمنين عائشة، كيف ذلك؟

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أنْ يسهم بين زوجاته فأيتهن خرج سهْمُها خرجت معه وفى غزوة بنى المصطلق خرج سهم عائشة فخرجت معه، ولمّا أنْهى الجيش مهامه قَفَل راجعًا وإنْفرط عقْدٌ لأم المؤمنين وأخذت تبحث عنه فسار الجيش وتركها جاء صفْوان وكان فى مؤخَرة الجيش فعرفها فحملها على بعيرْ فلما رآها الناس تَقَوَّلُوا عليها، وإتهموها بالفاحشة، وتولى كبْر هذا الموضوع عبد الله بن أبى وقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها وكانت فُرصة عَظيمة للطَّعْن فى شرف عائشة، وشَاع الخبر وأصبح حديث الناس، واسْتمر شهْراً كاملاً والناس يفيضون ويخوضون فى هذا الحدث الجلل[1]، وعلمت عائشة وذهبت إلى بيت أبيها، وحزن النبى وأهمَّه الأمر، ولم ينزل وحْى فإسْتشار ﷺ كبار الصحابة، وكادتْ تحدثُ فتْنة حيث تشاجر الأوس والخزرج فى المسجد حتى كادوا أنْ يقْتتلوا ورسول الله على المنبر لولا أن الله سلَّم.

عائشة فى بيت أبيها لا يرْقأ لها دمع، ولا تكتحل عيناها بنوم، وأبوها عمَّه الحزْن، فلا يسْتطيع الكلام، ورسول الله إنقطع عنه الوحى، ولا يدْرى ما يْفعل، والناس فى أمْر مَريج، ما بين مشفق وناصح، عدا المنافقون فهم فى ضلال بعيد، ثم دخل رسولَ الله بيت أبى بكر فسلَّم وجَلس ثم قال: « **يا عائشة. إنْ كنْت بريئة فسيُبَرؤُك الله، وإن كنْتِ ألمتِ بذنْب فاستغْفرى الله وقولى فإن العبد إذا إعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه** » فنظرت عائشة إلى أبيها وقدْ جفَّ دمعها ثم قالت:

أجبْ رسول الله يا أبت. قال: والله لا أدْرى ما أقول. قالت: لأمها: أجيبى رسول الله. قالت: والله لا أدْرى ما أقول. قالت: أما أنا فأقول:

إنْ قلت لكم إنى بريئة والله يعلم إنى بريئة لا تصدقوننى، وإن إعْترفت بأمْر

(1) الجلل: هو الشيء الكبير العظيم ويتسعمل فى الشيء الحسن كما يستعمل فى القبيح كما تقول: استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم.

والله يعلم إنِّى منه بريئة صدقتمونى، ولكنِّى أقول كما قال أبو يوسف ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ (1) ثم إضْطجعت على فراشها باكية وهى تعلم أن الله لن يتخلى عنها أبدًا، ثم أخذ رسول الله ما يأخذه الوحى فلما سرى عنه ضحك ﷺ فكان أولُ كلمة تكلَّم بها أنْ قال: «**يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك**» ثم تلا الآيات العشْر ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**(2)..... **الآيات**﴾ فبكت ثم قالت: والله ما كنْت أظُنُّ أنْ ينْزل فى شأنى قرآن يتلى، إننى أحْقر منْ أنْ يتكلَّم الله فى شأنى وكان أقصى ما عندى، أنْ يرى رسول الله رُؤْيا منَامية يُبرؤنَى الله بها.

وفى هذه القصة عزاء وسلوى للعفيفات اللاتى يرمين زورًا وكذبا بالفاحشة فهذه الصديقة بنت الصديق، وزوج رسول الله قد رُميتْ بما هى منه بَرَاء من المنافقين ومَن شايعهم، ومنْ قبل رمى اليهود السيدة العذراء بالزنا فما دَنَّس ذلك من شرفها ولا حَطَّ من قدْرهاَ.

قال حسان فى مدح أم المؤمنين عائشة:

عقيلة حتّى من لؤى بن غالـــب كرام المساعى مجدهم غير زائـل

مهذبة قد طـيَّب الله خيمهـــا وطهَّرها من كل سوء وباطـــل

وزاد الحاكم:

حَليلةُ خير الخلق ديناً ومنْصـــبا نبىُّ الهدى والمكرمات الفواضل

وختاماً أقول:

لكل منافق نهاية، وأصبح إبن أبىّ فى بداية النهاية خرج فى غزوة تبوك ليُبَلْبل الأفكار، ويَغْتَنم المال فمرض مرضًا ثقيلاً، إنَّه مرضُ الموت زاره رسول الله فقال: يا رسوَل الله إنْ أنا متُّ فأحْضر غُسْلى، وكفِّنى فى قميصك الذى يلى جسَدَك، وصلِّ علىّ، وإسْتغفر لى رب العالمين. ومات رأس النفاق، ولكل بداية نهاية، ولك أجل كتاب.

هذه حياةُ رجل، ونهايةُ منافق، تزعَّم المنافقين، وكوَّن منهم جَبْهة تعْمل فى الخفاء لتفْتيت العربِّ، وضَرْب الجماعة المسلمة، ومع ذلك كان يدَّعى الإيمان!!!

إن ذا الوجهين خائن لنفْسه، ولدينه، ولوطنه، ومن هنا إسْتحقَّ لعنة السماء فى الدنيا، وفى الآخرة نارًا تلظَّى، وما ربك بظلام للعبيد.

(1) يوسف: 18 (2) ألنور: 11، 20

مختارات للذكرى والتذكرة

أبدأ بثلاثة من أولي العزم من الرسل، نوح، وإبراهيم، ومحمد ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر....﴾ الآية.

أولاً: مع شيخ الأنبياء نوح عليه السلام

دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وكأنه كان يَنْفُخُ في رماد، أو كأنه كان يخاطب حشْدًا من العجماوات ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(1).

ولَمّا يئسوا من دعْوته توعَّدُوه، وهدَّدُوه بالقتْل، قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾(2)، القتْل هنا رَجْمًا بالحجارة حتي الموت، فَبأيِّ ذنْب يُقْتل؟ وبأي جريمة يُرْجَم ما كان قوله إلا أنْ قال: قولوا: «لا إله إلا الله»، ولَم يسْتسْلم نوح لهذا التهديد وهو لا يملك لا أيَّ قوة من سلاح أو عُدَّة أو عتاد، ولا حول له ولا قوة..

فلما أصرُّوا في عنادهم، واسْتكبروا في موقفهم، لجأ إلي صاحب القوة التي لا تُغْلب، والسلْطَان الذي لا يقْهر دعا ربه فقال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾(2)، ﴿رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، عيلَ صبري، وضاق صدْري، فانْتصر لدينك ولنفْسي، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، فَتَفَتَّحت لها الأبواب، وجاء الإنتقام علي عجل: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾(3)، أمَرَ الله السماء أن تُنْزل ماءها وأمر الأرض أنْ تدْفَعَ ما بها، فالتقي الماءَان علي قَدَر، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(4)، إنْ أسرع إنْتقام هو إنْتقام المولي من الظَّلُوم، وأنْفذُ السهام دعوة المظْلوم فما بالك إذا كان من أولي العزم من الرسل؟

---

(1) الأعراف: 179

(2) الشعراء: 116.

(2) القمر: 10.

(3) القمر: 11 , 12.

(4) هود: 102.

وانْظر معي إلي هذا التعبير القرآني، قال تعالي: ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾ ولم يقل وفجرنا عيون الأرض لأنه لو قال هذا لكان المُفَجَّرُ هو العُيُون فقط، أمَّا التعبير الأول فمعناه أنَّ الأرض كُلّها صارتْ عيونًا ثم فُجِّرت، فَفَارَ ماؤها بقُوة حتي ارْتفع والتقي بماء السماء، وغاص نوح بغَوَّاصَته التي صنعها بيديه من الخشب والمسامير.

والعجب العجاب.. كيف سارت السفينة وسط هذه اللجَّة بلا قائد، ولا ملاح، ولا ربَّان ولم يتسرَّب بداخلها الماء، ولكنَّ الله تعالي قال: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[1] فَعَيْنُ الله هي التي ترعاها، عَيْنُ الله هي تُسيِّرها، عيْنُ الله هي التي تحفظها، عينُ الله هي التي حملت هذه القلَّة المؤمنة إلي بَرّ السلامة ليعْمُروا الأرض من جديد، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

يَا مَنْ يَحارُ الفَهْمُ في قُدْرتِــكْ	وَتَطْلُبُ النفسُ حمَي طاعَتِــكْ
تُخْفي عَنِ النَّاسِ ثَنا طَلْعَــتِكْ	وكُلُ ما في الكَوْنِ منْ صَنْعَتِــكْ

وقال الآخر:

أطَالَ أهْلُ الأنْفُسِ الباصِــرَة	تَفْسيرهُم في ذَاتِكَ القَــادِرَة
ولم تَزلْ يارَبّ أفْهامُهم حَيْـرى	كَهَـذ الأنْجُــم الحائِــرة

ثانيًا: مع شيخ العارفين «إبراهيم» عليه السلام

وجاء والد الأنْبياء، إمام الموحدين، وشيخ العارفين، وسيِّدُ الحنفاء المتوكلين، مَنْ كان أمَّةً وحْده، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3]، آتاه الحكمة وفصْل الخطاب ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[4]، ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[5].. دعا قومه لعبادة الله، ولكنَّهم كانوا أشدّ كُفْرًا، وعنادًا من قوم نوح، أخذ يحاورهم، ويجادلهم، ويناظرهم، ولكنهم أصَرُوا وأسْتكْبروا إسْتكْبارًا.

---

(1) القمر: 13، 14.
(2) يس: 82.
(3) النحل: 120.
(4) الأنبياء: 51.
(5) الأنعام: 75.

لم ييْأس سيد العابدين من دعوته، بل إسْتعْذب العذابَ في سَبيلها، وإسْتحْلي الصِّعاب من أجْلها، وأقام البراهين وألْزمهم الحجَّة، فَلَجأوا إلي القوة الغاشمة، حكموا عليه بالإعدام حَرْقًا ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1] والقرار مُجْمع عليه ولا رجْعة فيه وعلي عجل شرعوا في بناء بيْت للنَّار مُحْكم، حتي لا تعْبث بها الرياح، أو تعْبث هي بهم ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾[2] وتنافس المتنافسون في جمع الوقود، وتَسَابقوا في جمع وسائل الدَّمَار، رجالاً، ونساءًا، حتي الأطفال . . .

ثم خرج الملكُ في زينته، وتَبعهُ الملأ منْ قومه وحَاشيته، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[3] وذلك للتَّشَفِّي من إبراهيم، وليسْتمْتعُوا به وهو يتلوَّي في النار التي لا تُبقي ولا تذر، وليْستريحوا من هذا الذي سفَّه أحلامهم، وعاب آلهتهُم، . . وأشْعلوها نارًا تلظَّى، وَجيءَ بإبراهيم، فشدُّوا وثاقه، وأحْكَموا كتافه، وأعَدُّوا المنْجنيق ليقْذفوه من بعيد، وليس مع إبراهيم من يدافع عنه أوْ يحمْيه، ثم ألْقُوه في النار، وقبل أنْ يصلها ضَجَّت السموات والأرض بمن فيهن يطْلبُون نُصْرة إبراهيم، فقال الله إن إسْتغاث بكم فأغيثوه، وإن اسْتنْصَركُم فانْصرُوه، فقد آذنت له في ذلك وإن لم يدْعُ غيري فأنا حسبه، وأناكافيه . . . . .

وفي لحظات ما قبل النار ينزل الأمين جبريل ويقول: ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا، قال: فاسْأل ربك . . قال: حَسْبي من سؤالي علمه بحالي. روي البخاري في صحيحه عن ابن عباس. قال إبراهيم حين ألْقي في النار «حسْبُنا الله ونعم الوكيل» فقال تعالي: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[4] يا نار يا منْ أخصُّ خَصَائصك الإحْراق. كوني بردًا وسلامًا علي إبراهيم، واستجابت مع أنَّها لا تعْقل، ولَكنْ لمَّا كان الخطاب من الجناب الأعلي، فهي تَري وتسْمع وتعْقل فكانت لا نارًا مُحْرقةً تشوي الوجوه، ولا بردًا قارسًا يهلك الأعضاء والجلود جعل فيها خالقها حَرًا يرفَعُ بردَها، وبرْدًا يرْفع حرَّها، وسبحان من يقول للشيء كن

---

(1) الأنبياء: 68.

(2) الصافات: 97.

(3) الزخرف: 54.

(4) الأنبياء: 69.

فيكون، ولم تأكُل النار منْ إبراهيم إلا غُلَه وقيْده، فرآه النمرود من صرحه فقال: نعم الربُّ ربُك يا إبراهيم، ولم يُسْلم.

البلاءُ المُبين

بلغ إبراهيم من العمر ستًا وثمانين عامًا ولم يُنْجب علي أصَحّ الروايات وهو في جهاد، وابتلاء، واختْبار، ثم تزوج هاجر ورُزق منها بغلام، فكان قُرَّة عيْن له ولكنَّه لم ينْعم به إلا قليلا، فأخذه مع أمه لحكمة أرادها الله عز وجل، وتَركَهُما في واد قَفْر لا ماء فيه ولا نبات، ولا زرع ولا ضرعً، ولا أنيس ولا جليس، وتركهما فيَ تلك الصحراء الشّاسعة، وأراد أن يرجع، فتعلَّقتْ هاجر بثوبه وقالت: إلي أين أنت ذاهب يا إبراهيم؟؟ ولمن تَتْركْنا في هذا الوادي؟؟ فلم يَرُدَّ عليها، فتعلقت به وقالت: آالله أمرك بهذا؟؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يُضيعُنا ولا ينْسانا!!!!

ولما تواري عنهما في بطن الوادي رفع يديه إلي السماء وقال: **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾**(1).

ولما بلغ إسماعيل مبلغ الصِّبْيان وصار يسْعى حول أبيه، رأى إبراهيم رؤيا في المنام، رأي أنه يذبح ولده إسماعيل، ورؤْيا الأنبياء حق وصدق، وهي جزء صريح من الوحْي. لا يحْتاج إلي تأويل وإنما هي تصْوير للواقع المنْتظر، ولما بين له وجه الحق أصبح عازمًا علي التنفيذ...

لم يتردَّدْ، ولم يتَزعْزع، ولم يخْتلق الأعذار الواهية كَيْ يفْلت من هذا الواقع المر، إن الولد هو ريحَانة الفؤاد، هو البلْسم الذي يداوي الجراح، هو لمسة القدر الخالدة التي توهب للوالدين، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**ريح الولد من ريح الجنة**» فكيف يذبح إبراهيم ولده؟؟ حقًا إن هذا لهو البلاء المبين!!!

رأي إبراهيم أن يجابه ولده بما رأي: فقال: يا بني إني أري في المنام أني أذبحك فانظر ماذا تري؟؟؟

---

(1) إبراهيم: 37.

فماذا كان موقف الغلام الذي لم يبْلُغ الحلم؟ والذي أتي علي كبر، والذي تربي علي يدَيّ أمه وكان مُدَلّلاً؟ ونعلم أن الولد المدللْ غالبًا ما يكون ذَا هَوًى، إذا أمر فأمْرُهُ مُجاب، وإذا طلب فطلبه مطاع، إذا قال أسمع، وإذا تكلَّم أسْكت. هل وصف أباه بالجنون والتخْريف؟ أمْ وصفه بالكبر وضعف الذاكرة؟ هل ولَّي من البيت هاربًا؟ أم ذهب إلي أحضان أمه يشكو لها من قسوة أبيه؟؟ لا هذا ولا ذاك بل قال: يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فأنت مأمور وأنا مناط الأمر، وما علينا إلا الطاعة والتسليم، أسلم الأب إبنه لله، وأسلم الإبن نفسه لله في أعزّ ما يملكان، وبلغ اليقين منهما أسْمي درجات اليقين فهل أخذ أبناؤنا عظة من هذا الدرس الذي يتكرَّرُ كلَّ عام، وسيَبْقي ما بقي علي الأرض حياة وأحْياء، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾(1).

إنَّنا نري واقعنا عكْس ما نُردِّدُه علي منابرنا، نري الوالدين إذا تَقدَّم بهما السِّن وقعا تحت جناح الذُّل، والمسكنة، إذا تكلما فكلامُهما ثقيل، وإذا طلبا فطلبُهما مرفوض، وإذا اقترحا فاقتراحهما غير مقبول!!!

ومن هذا المنطلق أوجه ندائي إلي أبنائي وأقول: أيها الأبناء عودوا إلي آبائكم، عُودوا إلي أحضان أمهاتكم، وقبِّلوا الأرض من تحت أقْدامهما، عودوا إلي رياض الجنة فالجنة تحت أقدام الأمهات، عودوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض، اقْرءوا التاريخ وخذوا منه العبر، واعلموا أن دمعة الوالدين يجْعلها الله نارًا حامية وأيُّ دعوة منهما مستجابة ولو كانا غير مسلمين، فاتقوا الله في آبائكم وأمهاتكم، واجعلوا قصة الذبيح اسماعيل أمام أعينكم ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ.... ﴾(2).

قال القائل عن إبراهيم وإسماعيل:

أرأيتُم قلبًا أبَويًا يتَقَبَّلُ أمْرًا يأباهُ

أرأيتُم إبْنًا يتلقيَّ أمراً بالذَّبح ويرضَاهُ

(1) النازعات: 26.

(2) الممتحنة: 4.

يُجيب الابـــن بلا فَـــزَع	افْعلْ ما تُؤمَـــرُ يا أبتـــاهُ
لنْ أعْصـــي لآله أمْـــرًا	من يَعْص يومًـــا مـــولاهُ
وإسْتَل الوالـــد سكِّـــينا	وأسْتَسْـلم الابـــن لرداهُ
ألقـاه برفْـــقٍ لجبِـــين	كَـيْ لا تتلقي عيْنـــــاهُ
وتَهـزُّ الكون ضراعـــاتٌ	ودعـــاءٌ يسْمعـــه اللهُ
ويجيـــب الربُّ ورحمتـــه	سبقت في فضل عطـــاياهُ
صدَّقـــت الرؤيا لا تحْـــزن	يا إبراهـــيم فدينـــاهُ

ثالثًا: مع صَفْوة الأنبياء والمرسَلين

دعا نوحٌ علي قومه لَمَّا علم أنَّه لنْ يؤمن منْهم إلا منْ آمن فقال: ﴿**رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾[1] فكان الطوفـان الذي أباد الخلق، وطمسَ الأرض وأهْلك الزرع والضرع، ولم يَنْجُ منه إلا نوح، ومنْ آمن به . .

ودعا إبراهيم فقال: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾[2]، وقال: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[3]، واستجاب الله دعوة إبراهيم، وبعث محمدًا ليكون آخر الأنبياء والمرسلين.

قال ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسي، ورُؤْيا أمي**»[4] وسار علي نهْج أبَاه إبراهيم، واتبع شريعته وملته ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[5] وبالرغم مما أصاب إبراهيم منْ أحداث عظام تنْخلع لها القلوب، ويَظُم علي النفْس البشرية أنْ تتحمَّلَها، أو تثبت عند وقوعها، مثل إلقائه في النار، أو ابتلائه بذبح ولده عليهما السلام، إلا أنه ظل ثابتًا شامخًا كالطود

---

(1) نوح: 26.
(2) البقرة: 128.
(3) البقرة: 129.
(4) متفق عليه.
(5) النحل: 123.

الأشم، لم يضْعُف، أو يلين أو يسْتشْفع بشافع من قريب أو من بعيد، . . .

ولسْتُ هنا في مقام الموازنة بين نوح وإبراهيم ممَّا قد يتوهمه البعض فهذا مقام لا أدّعيه ولا أبتغيه، ولا أرْتضيه لنفْسي، فكلاهما من صفْوة الخلق، ومن أولي العزم من الرسل ومن المصطفين الأخْيار، ولكنّها مقدمة لأسْتفْتح بها الكلام علي سيد الخلق ﷺ.

«اللهم إهْدي قومي فإنهم لا يعْلمون».

صدق من سَمَّاك الرؤُوفَ الرحيمَ يا محمد: قالها جبريل يوم الطائف: في سفْح جبال مكة المتزَاملَة، وقيْظ الصحْراء المترَامية، وهُبُوب الرياح الغَاضبة، وعلى حبَّات الرمال السَّاخنَة، يجْلسُ النبي محمد ﷺ والعرق منْه يتَصبَّبُ، والدَّمُ منْ قدميْه يقْطر، في ظل شجرة ليْستريح، فتدمع عيْناه، وينْهمرُ الدمع علي وجْنتَيه ثم يرفع يديه إلي السماء، يشْكو لربه ما أصابه من قومه. فيقوَل وهو مهْمُوم: **«اللهم إليك أشكو ضعْف قوتي، وهواني علي الناس، يا أرحم الراحمين، أنْت ربُ المسْتضْعفين، وأنت ربي، إلي منْ تكلُني؟ إلي بعيد يتَجهَّمُني أم إلي عَدُو ملكْتَه أمْري إن لم يكنْ بك غَضَبٌ عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسعُ لي، أعوذ بنُور وجْهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنْزل بي غضبك، أوْ تَحلَّ عليّ سخطك، لك العتبى حتي ترضي، لا حول ولا قوة إلا بك»**.

دعاء ورجاء، منْ قلب مكْلُوم أصابه القَرح، وألَمَّ به الهَمّ، كلماتُ يتقاطر منها الألَم ويعْتصرُ منْها الحزن، والأسَي، إنها كلمات نورانية تَشعُ صدقًا وإخْلاصًا في مَوْقف لا يقفُ بجانبه أحد فليس معه أب ولا أم، ولا أخ ولَا أخت، ليْس معه منْ يدافع عَنه أو يحميه فيشْكُو إلي الله ضعْف قوته، وقلَّة حيلته، وهوانه علي الناس، يا أرْحَم الراحمين ويا مُجيب دعاءَ السائلين، إلي من تكلُني إلي بعيد يتجهَّمُني أم إلي عدُوٍّ ملَّكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالَي . . .

وعند قرن الثعالب يري سحابة قد أظلَّتْه فنظر فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداه فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمُره بما شئت فيهم ثم نَاداهُ ملك الجبال فسلَّم ثم قال: يا محمد إنّ الله قد بعثَني إليك لتأمُرني بما شئْتْ فقال ﷺ: **«أرجو أنْ يخرج الله من أصْلابهم من يعبد الله لا يشركُ به شيئًا، اللهم إهدي قومي**

فإنهم لا يعلمون» فقال جبريل : صدق من سمَّاك الرءُوفَ الرحيمَ يا محمد . وكانت هذه الرحلة من أصعب الرحلات وأشقها علي رسول الله ﷺ .

روي البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير رضي الله عنهم أنْ عائشة حدَّثَتْهُ ، أنَّها قالت لرسول الله ﷺ : هل أتي عليك يوم كان أشَدَّ عليك منْ يوم أحد؟ قال : **«ما لقيتُ من قومك أشَدَّ منه يوم العقبة ، إذْ عرضْتُ نفْسي علي إبن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يُجبْني إلي ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم علي وجْهي فَلمْ أسْتفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعْتُ رأسي فإذا بسحابة قدْ أظَلَّتْني . . . فنظرتُ فإذا فيها جبريل»** ثم ذكر الحديث .

كان جَوُّ مكة وما حولها مشْحُونًا بالعصبية ، وطقْسُها ساخنًا مُلَبَّدًا بميكروب الوثنية وأرْضُها قاحلةً لا تَقْبل ماء ولا تنْبتُ عُشْبًا ، دُعي أهلها للتَّوحيد فصمُّوا آذانهم وأعْموا أبْصارهم ، واستغْشوْا ثيابهم وأصرُّوا واسْتكبروا اسْتكْبارًا وكانوا أشدَّ كفْرًا وعنادًا من قوم نوح وإبراهيم .

كانت الجزيرة كلها جَائرة السبيل ، حَائرة الدليل ، تَتَخبط في ظلمات ثلاث : ظلمة الجهل ، والفقر ، والمرض فكان لابُدَّ أنْ يأتي من ينْقذهم من غَبَاوة العقْل وبراثن الجهل ، وشطط التفكير ، فكان هو محمد سيد المُرسلين ﷺ الذي جَاء إلي هذا العالم الغشوم ، فَهزَّه هزًا عنيفًا ، فقلبه رأسًا علي عقب ، وكان هذا أغْرب إنقلاب في تاريخ البشرية ، فنقلهم نقلةً قوية من القاع إلي القمة ، ومن الضعف إلي القوة ، وتكوَّن بالمدينة نواة الدولة الإسلامية الكبري ، ليس هناك فرق بين مكِّيّ ومَدَنيٍّ ، أو عربيّ وأعْجميّ ، أو أوْسيّ وخزرجي ، بل الجميع مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، صلي الله عليه وعلي آله وسلم .



وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

مع داهية العرب

مَعَاوية

حدث خلاف بين أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، وبين عبد الله بن الزبير ﷺ علي أرض زراعية كانت بينهما، فقدْ أغار عُمَّال معاوية علي عُمَّال إبن الزبير، واعتدوا عليهم فغضب عبد الله بن الزبير، وكتب كتابًا إلي معاوية قال فيه: من عبد الله بن الزبير إلي معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فَيَا معاوية إنَّ عمَّالك قد أغاروا علي أرضي، واعتدوا علي عمْالي، فإمَّا أن تمنعهم، وإلا كان لي معك شأن آخر!!!

فلما وصل الكتاب إلي معاوية، دفَعهُ إلي إبْنه يزيد، وهو وَليّ العهد المنتظر، والخليفة المرتقب وقال له: ما رأيك؟ ماذا تَريَ فيما تري؟ فقال يزيَد: أري أنْ تُرسل له جيْشًا يكونُ أوّله عنده، وآخره عندك ليأتينَّك برأسه، فقد تجرَّأ علي مقام الملك، والخلافة، ومَا هكذا تخاطب الملوك، ولا بهذا الأسلوب يخاطب السَّادة!!!

فقال الدَّاهية، وما هكذا يا بنَّي تُعالج الأمور، إنَّ الغضب لا يعالجُ بالغضب، والغلظة لا تعالج بمثلها، وإنما تُعالج بالحكمة، والحلم، والكيَاسَة، وإني والله يا بنيّ لا أسْتَعْمل سيفي طالما يُغْنيني لساني، ولا أستعْمل لساني طالما يُغْنيني قَلمي، ثم دعا بكاتبه وقال له: أكْتُب ما أمليه عليك:

.... من معاوية بن أبي سفيان، إلي عبد الله بن الزبير بن أسْماء ذات النطاقين، وإبنَ حواري رسول الله ومن شهد النبي لأبيه بالجنة، سلام عليك.. وبعد...

فإنَّ الدنيا كلها عندي لا تساوي شيئًا أمام غضبك، إنّ أرضي، وعمَّالي، وعبيدي كلهم ملْكًا لك، فافْعل بهم ما تشاء، ومن يقْدر علي غضب منْ أحبَّه رسول الله، والسَلام.

فلما وصل الكتاب إلي عبد الله بن الزبير فرح واسْتَبْشر، وزال عنه ما كان به من الغضب وبهذا الخلق ساد معاوية.

روي المدائني عن صالح بن كيسان قال: رأي بعض مُتَفرسي العرب معاوية وهو صغير فقال: إني لأظنُّ هذا الغلام سَيَسُودُ قومه، فقالت هند: ثَكلْتُه إن لم يَسُد العربَ قاطبة.

وهل أتاك نبأ «هند» أمُ معاوية؟

ذَكَر الرُّواةُ فقالوا: كانت هند بنت عُتْبة زوجًا للفاكه بن المغيرة، وكان الفاكه من فتيان قريش المعدودين، وكان له بيت للضيافة يغْشَاهُ الناس من غير إذْن فَخَلا ذلك البيت يَوْمًا، فاضَّطجع فيه الفاكه وهند وقْت القيلولة، ثم خرج الفاكه لبعْض شأنه، وترك هند، فأقْبل رجلٌ ممن كان يغْشي هذا المكان، فلما رأي المرأة ولَّي هاربًا فرآه الفاكه وهو خارج، فأقْبل إلي هند وهي مضطجعه فضربها برجْل وقال: مَنْ هذا الذي كان عندك؟ قالت: ما رأيت أحدًا، ولا إنْتبهْتُ حتي أنْبهْتني أنْت. قال لها: ألْحقي بأبيك، وتكلم فيها الناس..

فقال لها أبوها: يا بنيَّة، إن الناس قد أكْثروا فيك المقالة، فأنْبئيني نبأك، فإنْ يكن الفاكه صادقًا دسَسْتُ إليه منْ يقْتله فتنْقطع عنك المقالة، وإنْ يكَ كاذبًا حاكمْتُه إلي بعض كُهَّان اليمن، فعند ذلك حلفت هند لأبيها - بما كانوا يحْلفُون به في الجاهلية - إنه لكاذب عليها، فقال أبوها «عتْبة بن ربيعه» للفاكه: يا هذا إنك قدْ رميت إبنتي بأمْر عظيم، وعار كبير لا يْغسله الماء، وقدْ جعلْتنا في العرب بمكان ذلة ومْنقصة، ولولا أنك مني ذو قرابة لقَتلْتُك، ولكن سأحكِّمُك إلي كاهن اليمن.

فخرج الفاكه مع أقاربه من بني مخْزُوم، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرجوا بهند ونسْوة معها من أقاربهم، فلما شارفوا بلاد اليمن، قالوا: غدًا نأتي الكاهن.

فلما سمعت هند ذلك تنكرت لحالها، وتغيَّر وجْهُها، وأخذت في البكاء، فقال أبوها: يا بنيَّة، إني أري ما بك من تنكّر الحال، وما ذاك إلا لمكروه أحدثْته وعمل اقْترفْته، فهلا كان قبل أن يشيع في الناس، ويشْتهر مسيرنا؟ فقالت: والله يَا أبتاه ما هذا الَذي تراه مني لمكروه وقع مني، وإني لبريئة، ولكن اعلم أنكم تأتون هذا الكاهن، وهو بشر يخطيء ويصيب، وأخاف أن يخْطيء في أمْري بشيء يكون عَارُه عليَّ إلي آخر الدهر...

فقال أبوها: لا تخافي فإني سوف أخْتبره وامتحنه قبل أن يتكلّم في شأنك وأمْرك فإن أخْطأ لن أدعه يتكلم في أمرك. ثم انفرد عن القوم حتي تواري خلف رابية فنزل عن فرسه ثم صَفَّرَ له حتي أدْلي إحْليله، ثم أخذ حبَّة بُر فأدخلها في إحْليل الفرس، وأوْكَأ عليها بسير حتي أحكم ربْطها، ثم صفر له حتي اجتمع إحْليله ثم أتي القوم، فظنوا أنه ذهب ليقضي حاجته.

ثم أتوا الكاهن، فأكْرمهم، ونَحر لهم، فقال له عُتْبة: إنَّا قدْ جئْناكَ في أمْر ولكنْ لا أدعك تتكلم فيه حتي تُبين لنا ما خبَّأتُ لك، فأنِّي قد خبَّأت لك خَبيئًا فانْظر ما هو؟ فأخْبرنا به.

قال الكاهن: بُرَّة في كمرة، قال: أريد أبْينَ من هذا، قال: خبَّأت بُرًا في إحليل مُهْر، قال: صدقْت، فخذ لما جئناك له، أنْظر في أمْر هؤلاء النسْوة، فأجْلس النِّسَاء خَلْفه وهند معهم لا يعْرفُها، ثم جعل يَدنُو من إحداهنَّ فيضْربُ كَتفَها ويُبْريها، ويقول: إنْهضي، حتي دَنَا من هند فضرب كتفها وقال: إنهضي حصَان، رزانَ، غير رسحاء ولا زَانية، ولَتَلدنَّ مَلكًا يقال له: معاوية، فوثب إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنثَرتْ يدها منه، وَقالَت له: إليك عني، والله لا يجمع رأسي ورأسك وسادة، والله لأحْرَصَنَّ أنْ يكون هذا الملك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجات منه بمعاوية هذا...

وبعد أنْ تولي الخلافة والملك ذهب في عام حاجًا إلي بيت الله الحرام، ومعه جُنْده من أهل الشام فَزَحَمُوا رجلاً إسمه «السائب بن عبد الله» وكان من ألمعَمِّرين فسقط علي الأرض من شدة زحام الجُند حول معاوية فنظر إليه معاوية ثم قالَ: إرْفعُوا الشيخ فلما قام السائب إتَّجه بالخطاب إلي معاوية وقال: ما هذا يا معاوية «بدون لقب» تصْرعوننا حول البيت، أما والله لقد أردَّتُ أنْ أتزوج أمك هند....

فلم يغضب معاوية بل قال: ليتك فعلت فجاءت منك بمثل عبد الله بن السائب «يعني ولده».

إن هذه الكلمة التي قالها السائب تُزلزل قواعدَ الحلم في أنفس سواد الناس، ولكنها عجزت أبْلغ العجز أنْ تثير حفيظة معاوية، وهذا لسعة صدره، ورحابة أفقه، وهي مكانة لا يرقي إليها إلا كبير، ولا يطمع في بلوغها إلا ذو خلُق عريق.

كلمة عن السائب:

هو السائب بن عبد الله، أسلم عام الفتح، وأخذه عثمان بن عفان إلي رسول الله ﷺ وجعل يُثْني عليه خيرًا، فقال ﷺ: «**لقد كان السائب صاحبي، وشريكي في الجاهلية**» فقال السائب: نعم يا رسول الله، كُنْت نعم الصاحب والشريك.

فقال ﷺ: «**يا سائب، انْظر إلي أخلاقك التي كنْت تصْنعُها في الجاهلية فاصنعْها في الإسلام، إقْرِ الضَّيف، وأحْسن إلي جارك، وأكْرم اليتيم**».

العلم يُؤتي إليه

قال مقاتل: دخلتُ علي حمَّاد بن سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلم أجد عنده إلا حصيرًا يجْلس عليه وشيئًا من كتب العلم، وهو جالس يقْرأ، ويصنِّف، ثم ما لبثْنا أنْ دَقَّ الباب، فقال الشيخ لجاريته: انظري من بالباب. فعادت تقول: يا سيدي إنَّ رسول الأمير بالباب، فأذن له حمَّاد بالدخول، فإذا معه كتاب من الأمير ففضَّه حماد وقرأه فإذا فيه، أما بعد:

فَصبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه، وأهل طاعته، وقد وقعت لنا مسألة نحتاج إلي فتياك فيها فجئنا نسألك والسلام.

فما كان من حماد إلا أن قلب الكتاب، وكتب علي ظهره، أما بعد..

فصبَّحكَ الله بمثل ذلك، لقد أدْركْنا العلماء لا يأتْون أحدًا، فإن كان لك سؤال فَأتنَا نُجبْك، ولا تأتنا بخيْلك ورجلك، فلا نَنْصحُك والسلام.

ثم دفع الكتاب إلي رسول الأمير، فلما قرأه الأمير جاء إلي الشيخ في بيته، فلما أخذ مجلسه أخذته هيبة ورهْبة، فقال للشيخ: مالي إذا نظرت إليك وجدت رهْبة؟ فقال الشيخ: إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد به الدنيا هاب من كل شيء. ثم سأله مسألته، وقبل أن ينْصرف رَمَي بكيس من الدراهم في حجر الشيخ، فقال الشيخ: خُذْه واعْطه للمحتاجين، فأنت مسئول عنهم يوم القيامة وقد كفانا الله أمورنا.

الشيخ عبد المجيد سليم

في العصر الحديث: طلب شيخ الأزهر الشيخ/ عبد المجيد سليم من القصر زيادة الميزانية للأزهر. فقالوا: الخزانة لا تتحمل، ثم سافر الملك فاروق إلي نابولي بإيطاليا، وأنفق الملايين علي الغانيات، والكاسيات العاريات، فصعد الشيخ علي منبر الأزهر وكان مما قاله كلمته الشهيرة: «تَقْتير هنا وإسراف هناك» ولما عاد الملك أطلعه رئيس الوزراء علي كلمة الشيخ، فأرسل الملك رسولاً يقول للشيخ: إنَّ مولانا غاضب عليك فردَّ الشيخ قائلاً: وهل غضب مولاك يحول بيني وبين بيت الله!!

رجال لا تشغلهم الدنيا بزخارفها، وإنما يشغلهم رضا الله عز وجل وياليت قومي يعلمون.

وذكر
الرِّشْوة، والهَدِيَّة

الرشْوة جرْيمة منْكرة، وفعْل قبيح، وذنب عظيم، يزجُّ بأصحابه في جحيم الفاسقين راشين، ومرتشين، ووسطاء بينهما، فالأسْترْشاء هو طلب الرشوة، والأرْشَاءُ هو إعْطَاؤُها، والأرْتشَاءُ هو آخذها، أو بمعني آخر نقول: الراشي هو مُعْطيها، والمُرتشي هو آخذها، والرائش هو الوسيط أي الساعي بينهُما، وكلهم مشْتركُون في تشْكيل مأثمة الرشوة.

والرشوة مال خبيث أخذ علي وجه الدَّنس. وهي خيانة عظْمي لأمانة عظمي، حمل المرتكبون لها أمانتها فخانوها، واسْتُحفظُوا علي آدائها لأرْبابها فاغْتالوها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(1) فهي تعْطيل لأحكام الله، وإفساد للروابط الإنسانية.

والرشْوة تطفيء نور الحق، وتَفْقأ عين العدْل، وترفَعُ رأس الظلم ولذلك حَرَّمْتها وجرَّمتْها، وعاقبت علْيها كل الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية، قال تعالي: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾(2) وقال عبد الله بن مسعود: السحت الرشوة. وقال: السحت أن يسْتعينَك الرجل علي مظلمته فيهدي إليك.

(1) النساء: 58.
(2) المائدة: 42.

ولقد وردت عدَّةُ أحاديث بلعن أركان الرشوة الثلاثة بلا تفْرقة بينهم، فعن ابن عمر، وأبي هريرة، وثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**لعنة الله علي الراشي والمرتشي والرائش**».

معْيار الرشوة

لقد وضع الإسلام معياراً تشْريعيًا دقيقًا، ومبْدَءًا هامًا لتحديد مدْلُولها، وهو أنَّ كل ما أخذ بعد المرتب من أيدي الناس بسببالوظيفة، أوْ ولاية عمل من أعمال المسلمين يكون رشوة محرمة، عن أبي سعيدالخدري رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ رجلاً من الأزْد يقال له (إبن اللتبيَّة) علي جمع الصدقات، فقال: هذا لكم وهذا أهْدي إليّ، فقام النبي ﷺ فحمدَ الله وأثني عليه ثم قال: «**ما بالُ العامل نبْعثُه فيجيء فيقول: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ، ألا جلس في بيت أبيه فينظُر أيُهْدَى إليه أم لا؟** والذي **نفس محمد بيده لانَبْعثُ أحداً منكم فيأخذ شيئًا إلا جاء يوم القيامه يحملُه علي رقبته**»، ثم رفع ﷺ يَدّه حتي رأيت عقدة إبطه، فقال: «**هل بَلغْت، هل بلغت، هل بلغْت**»[1] والرشوة سوّاء كانت مالاً أو منْفعة فهي حرام[2].

ولقد اخْترع الناس للرشوة أسماءًا غير أسمائها، وخلعوا عليها أوصافًا غير أوْصَافها مثل قولهم، إكرامية، أو هدية، أو (بقشيش) وغير ذلك من المُسميات ليحلوا بذلك ما حرَّم الله عز وجل.

موقف الشريعة من مال الرشوة

اتفق فقهاء الإسلام علي أنَّ المرتشي إذا أخذ الرشوة مالاً، أو منْفعة، لا يمْلكُها ولا يحل له الانتفاع بها، لأنها كالمال المغصوب، ولقول ﷺ: «**علي اليد ما أخذت حتي ترد**».

وإذا أراد الإنسان أن يتُوب فَلمن يَرُدُّ ما أخذ؟ هل تُردُ إلي صاحبها، أو إلي بيت مال المسلمين (وزارة ألمالية) ذهب بعض الفقهاء إلي أنها تردُّ لصاحبها لأنه مال مأخوذ بغير وجه حق فلا يخْرجُ عن ملك مالكه.

وذهب بعضهم إلي أنها ترد لبيت المال وحُجتهم أنها مال أخذ بسبب العمل

---

(1) متفق عليه.

(2) منبر الإسلام للدكتور/ عبد المقصود شلتوت.

والعمل هو من مصلحة المسلمين فيردُّ عليهم وبهذه الوجهة أخذ القانون المصري فنص علي مصادرة هذه الأموال بجانب العقوبات الأخري.

الهبة

الهبة نوعان:

(أ) هبة تقدم طيبة خالصة، لا غرض من ورائها إلا المودَّة في القربي، والمحبة الخالصة لوجه الله تعالي، وكان الرسول ﷺ يُرغّبُ فيها ويحث أصحابه عليها «**تهادوا تحابوا**» وكان يقبل الهدية كهدية ولا يقبل الصدقة.

(ب) هبة: ليست خالصة لوجه الله تعالي بل نظير مصلحة ستقضي أو جزاء علي شفاعة، أو لترقية في العمل، أو لتخليص مصلحة. ولو كان الآخذ في عمل آخر ما أهْدي إليه ولكن يهدي إليه للمنفعة، وهذه الهبة هي رشوة مُقَنَّعة، ولقد نهي ﷺ عن الهبة إذا كانت بابًا من أبواب الرشوة، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**من شفع لأحد شفاعة فأهْدي له هدية عليها فقبلها فقد أتي باباً عظيماً من أبواب الربا**».

بلغ الحاكمَ أن بعض عماله قَبل هدية من بعض الناس فأحْضره فوقف بين يديه قال له: هل قَبلْتَ الهديَّة؟ قال: نَعم. قال له: إنْ قبلتها لتُكَافئه عليها فأنت خائن لدينك ووطنك، وإنْ لم تكافئه فأنت خسيس لئيم، وإنْ قَبلَ المعْطي فهو لصٌ حقير. ثم عزله، وياليت قومي يعْلمون!!!

«هَلْ من مُدَّكِرْ»

منْ مَصَارع الطُّغَاة

1- الطَّاغية الفلبيني «ماركوس» الذي طغي في البلاد، وعاث في الأرض الفساد وظنّ أنه من المخلدين في هذه الدَّار، وزيّن له الشيطان سوء عمله، بلغت غَطْرستُه أن أمر بذبح المسلمين، ونَفْيهم من أرضهم، وكانت زوجته تمتلك المليارات من الدولارات في الوقت الذي لا يجد فيه المسلم لقْمة العيش، ودارت الأيام والأيام دول، فأخذ قهْرًا، ونُفي بعيدًا عن وطنه، وذاق نفس الكأس الذي سقاه للمسلمين فعاش في منفاه في فزع، وفي خوف وقلق، وبعد أنْ هلك رفضت أرض الفلبين أن تواري جسده، ولم يقْبر بها.

2- الملك فاروق عاش في الأرض الفساد، وسيْطر علي بَنَانه بنات حواء، وكان علي خلاف مع الشهيد حسن البنا فأمر بقتْله، وأمر بأن يتْرك دَم الشهيد ينزف حتي يلفظ أنفاسه الأخيرة، وبأن لاتُشيَّع له جنازة، وبالرغم من أن الجنازة كانت في وضح النهار إلا أن أحداً من المدنيين لم يشْترك فيها سوي والد الشهيد ومكرم عبيد، ودار الأيام والأيام دول، أخذ قهراً، ونفي إلي إيطاليا ولقي مصرعه علي يَدّ غانية أخذت مقابل ذلك مليونا من الدولارات، ووصل الجثمان بعد منتصف الليل إلي القاهرة، ومن الطائرة إلي القبر ليلاً، ولم يشيّع جنازته مدني واحد، وكما تدين تدان، وبالكيل الذي تكيل به يكتال لك، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1] .

3- كان الأفغاني معارضًا شديدًا للملك الأفعان، فَدَبَّر له من دسّ له السُّم في الطعام وقُتل الأفغاني شهيدًا بالسُّم، ودات الأيام والأيام دُول، فيلقي الملك مصْرعه علي يَد شاب مسْلم طَعَنه في صدْره بخنْجر مسْموم، وهو يصيح في وجْهه، خُذْها يا ظالمَ من يَدّ جمال الدين الأفغان ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2] .

ومروراً بالطُغاة الذين لوَّثوا صفحات التاريخ، دمًا، وحقْدًا، وكراهية إلي طُغاة اليوم الذين جعلوا الدنيا أكْبر همهم، ومبْلغ علْمهم، فباعوا الآخرة بما فيها وأقْبلَوا علي الدنيا، وتنافسوا فيها، لا يعْدلون في قضيْة، ولا يقْسمُونَ بالسَّوِيَّة رَمَّلُوا النساء، ويتَّمُوا البنين والبنات، وشَرَّدَوا الأطفال، وأكلوا أموال الناس، إلَي هؤلاء وهؤلاء أذَكِّرهم بقول الله تعالي في الحديث القُدسي. قال تعالي: «**وعزَّتي وجلالي لأنْتَقمنَّ من الظالم في عاجله وآجله، ولأنْتَقمنَّ ممن رأي مظلوما فقَدرَ أنْ ينْصره ثم لم يْفعل**» وكَمَا وَرَدْ: «أسْرَع إنتقام هو إنتقام المولي من الظَّلوم، وأنْفذُ السهام دعوة المظلوم» وصلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين واللهم تقبَّل يارب العالمين.



(1) فصلت: 46.
(2) هود: 123.

المراجع

1- أمهات كتب التفسير ـ ابن كثير ـ القرطبي ـ الفخر الرازي ـ الكشاف .

2- كتب الأحاديث الشيخان ، سنن النسائي ـ أبو داود السجستاني ، الترمذي ، ابن ماجه ، الترغيب والترهيب ، رياض الصالحين ـ اللؤلؤ المرجان .

3- مختار الصحاح ـ المعجم الوجيز .

4- البداية والنهاية لابن كثير ـ السلوك الإجتماعي ـ مجلات منبر الإسلام .

5 - السيرة التحليلية ـ سيرة إبن هشام .

6- فقه السنة ـ الفقه على المذاهب الأربعة .

7- فقه الزكاة للقرضاوي .

8- إحياء علوم الدين للغزالي .

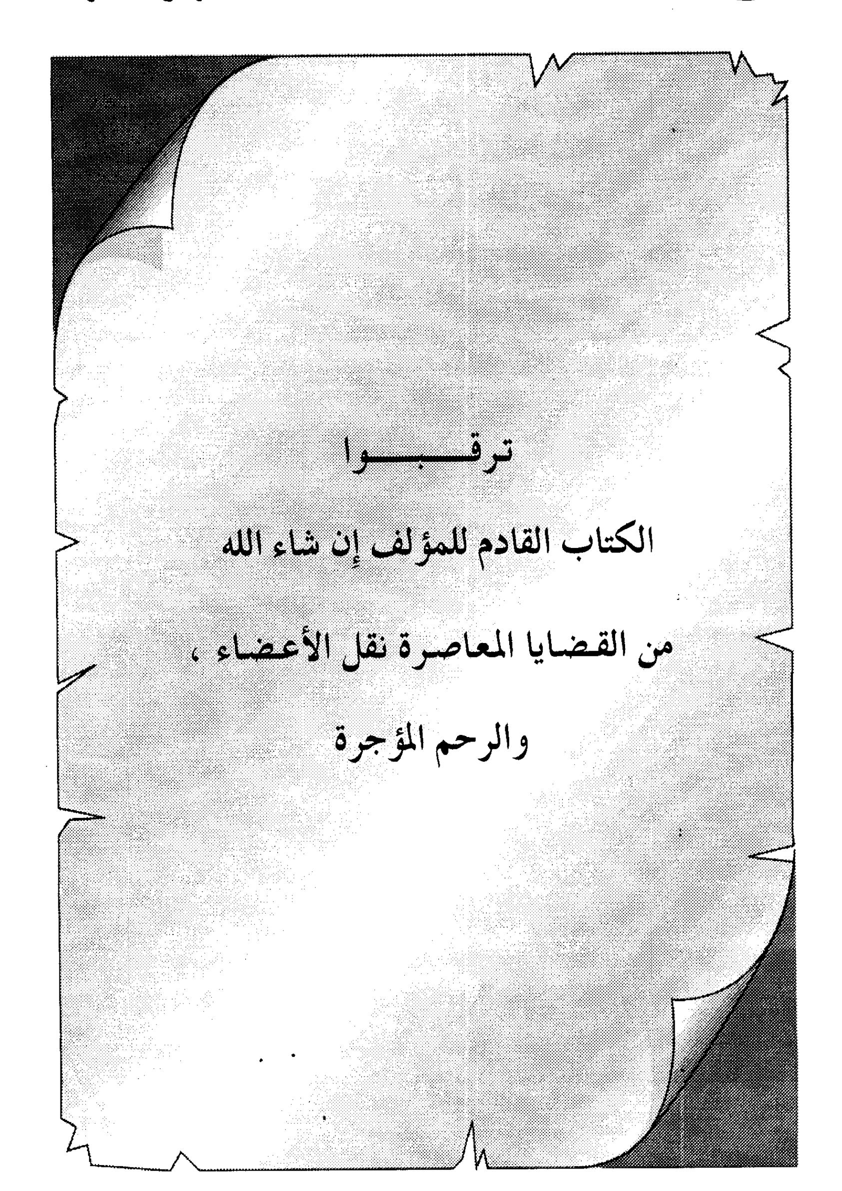
9- قطرات من فيض الرحمن للمؤلف .

دراسات قرآنية ـ من أسرار النبوات في القرآن .

الموضوع | الفهرس | الصفحة

المقدمة 5
دعاء ورجاء 9
ذكري مولد الهادي البشير 13
في رحاب الهجرة 30
فارس بني مدلج 41
يوم وفاء وبر 47
بدر 53
على هامش بدر 57
وقفات مع الذكريات 59
الواقع المر 60
شهيد أحد 63
عمارة بن سيد الشهداء 70
المسلم أخو المسلم 73
القلوب أربعة 81
واقع المسلمين 91
معاول الضعف 91
هبة الله الغالية (السكينة) 95
أحداث نزلت فيها السكينة 99
السكينة لا تعطي إلا بقدر 101
القرآن والسكينة 103
ثلاث وأي ثلاث 105
شكر اللسان وشكر الأعضاء 112
شكر القلب 113
الآباء ـ بر الوالدين 119
لم خُصت مرحلة الكبر بالعناية 120
عبر من التاريخ 121
الأم في الجاهلية والإسلام 127

الأمر بطاعتها 129
طاعة الأم مقدمة على طاعة الأب 131
نداء الأم حق مجاب 132
كلمة (أم) في الجاهلية والإسلام 137
ريح الولد من ريح الجنة 141
حقوق الأبناء 145
الحق الأول 145
الحق الثاني 146
الحق الثالث 148
الحق الرابع 148
الحق الخامس 149
الطبع لا يتغير 150
الحق السادس 154
خصائص النفاق 157
الناس ثلاثة 159
أخلاق المنافقين 161
النفاق شر كله 164
موقف بطولي عظيم 170
مختارات للذكري والتذكرة 173
داهية العرب معاوية 173
طلاق هند من (الفاكه) 181
وزواجها من أبي سفيان 182
رجال ومواقف 184
الرشوة والهبة 185
من مصارع الطغاة 187
المراجع 189
الفهرس 190


ترقـــبـــوا
الكتاب القادم للمؤلف إن شاء الله
من القضايا المعاصرة نقل الأعضاء ،
والرحم المؤجرة